
كتاب الهلال
المنقذ
قراءة لقلب افلاطون
د. عبد الغفار مكاوى

كتاب الهلال

سلسله شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة : مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير : مصطفى نبيل

سكرتير التحرير : عايد عياد

مركز الادارة
دار الهلال ١٦ محمد عز العرب
تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعه خطوط
KITAB ALHILAL
العدد ٤٤٠ - ذو الحجة ١٤٠٧ - اغسطس ١٩٨٧
No 440 - ANGST 1987

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات بالبريد العادى وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان ثلاثة عشر دولارا او ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج م ع نقدا او بحوالة بريديه غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر موسسه دار الهلال وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة اعلاه عند الطلب

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغلاف بريشة الفنانة
سميحة حسين

اهداءات ٢٠٠٣
اسره المرحوم الاستاذ/محمد سعد البسيوني
الإسكندرية

المنقذ

قراءة لقلب أفلاطون

بقلم

الدكتور عبد الغفار مكاوى

دار الهلال

المنقذ غادر بيته

ـ اجمع امره . صمم ان يتحدى قدره ، ان يأخذ معه سره . الرحلة كانت خطرة ، والمحنة مرة ـ ماضر اذا اخفق مرة ؟ فليعد الكرة ، وليحمل للعالم فكرة . فالفكرة ان كانت حرة ، فستصبح فعلا او ثورة ، تنقده وتحطم نيره .

ـ الرسالة السابعة : سيرة فشل مر ، وثيقة اعتراف ودفاع وتبرير « طالما اثير الشك حولها . واليوم ينعقد اجماع العلماء او يكاد على صحة نسبتها اليه . لعلها هى الوحيدة من بين رسائله الثلاث عشرة التى نجت من الشك ، وربما شاركتها الرسالتان الثالثة والثانية » . فيها نقرأ قلبه ، نعرف همه . فلقد وقف القلب وراء الفكر ، طول العمر ، يشعل فيه نار العدل ويلهمه الحكمة والشعر .

ـ الاصل والطبع والرقبة فى « انقاذ » مدينته توجه خطاه على درب السياسة . ففى طفولته وشبابه شاهد مواطنيه يمزقون لحمهم بأيديهم ، فى أقسى حرب عرفتها بلده « حرب البيلوبنيز بين اثينا واسبرطة ، استمرت من ٤٣١ الى ٤٠٤ ق.م » ورأى الكارثة بعينيه ، ونظام اثينا ، حريتها وحضارتها ، تنهار أمامه : « كنت لا ازال فى ريعان الشباب عندما حدث لى مايحدث للكثيرين . فقد تطلعت للالقاء بنفسى فى أحضان السياسة بمجرد بلوغى سن الرشد » .

ـ كانت صورة الاحوال السياسية مضطربة عجيبة . فالناس في مسقط راسه ناقمون على النظام الخائن الذي تسبب في الكارثة وجلب عليهم الهزيمة . وتمت ثورة نقلت زمام السلطة المطلقة الى حكومة الثلاثين . كان بعض هؤلاء من اقاربه « فرئيسهم ـ كريتياس ـ هو عم امه ، واحد زعمائهم ـ خارميدس ـ هو خاله » وعلى الرغم من اعجابه بهما ـ فقد سمى محاورتين من محاوراته باسمهما ـ لم يملك نفسه من السخط على حكمهما . لقد توقع ان ينقلوا المدينة من الظلم الى العدل ، ويستبدلوا بالادارة الفاسدة ادارة رشيدة . غير أنه سرعان ماكتشف أنهم استطاعوا في أقصر وقت ممكن أن يجعلوا الحكم السابق يبدو بالقياس الى حكمهم اشبه بالجنة او بالعصر الذهبي . ساد الظلم وغلب الشر . واشتد العسف وكتم الصدر . وابتعد بنفسه ، فلقد خاب الأمل وفر .

ـ لم يمض وقت طويل حتى انهار حكم الثلاثين . وخلفت حكومة الاقلية « الاوليجاركية » حكومة شعبية « ديموقراطية » معتدلة .

لكن الحظ الاسود بالمرصاد . فلقد شاء رجال السلطة الجديدة أن يقدموا للمحاكمة صديقه ومعلمه الشيخ « سقراط » اعدل الناس واطهرهم عنده . اتهموه بتهم خسيسة هو أبعد الناس عنها . وادانته المحكمة وقضت عليه بالموت . واصابه الدوار امام الاضطراب الشامل . فالعاملون بالسياسة اشرار وطغاة ، وفساد التشريع والاخلاق العامل يستفحل بصورة مخيفة ، والمبادىء التي عاش عليها الاجداد تتداعى وتنهار .

ـ انشقت الهاوية بينه وبينهم ، تحطمت كل الجسور

مع ذلك لم يتوقف من التفكير فى الاصــــلاح وترقب الفرصة المواتية للعمل « فلا يزال القلب مفعم الحمــاس للتغيير والانقاذ » . حتى اقتنع اخيرا بصعوبة حــكم الدولة حكما ترضي عنه النفس . بل اقتنع بأن احــوال الدول الحاضرة كلها تدعو للرثاء ، وان دســـــاتيرها المريضة لن يشفيها الا معجزة تأتى معها بالاصلاح ، معجزة يتولاها الحظ الطيب او ترعاها عين الله : « وهــكذا وجدتنى مدفوعا الى الاعتراف بقيمة الفلسفة الحقــة ، والتاكد من انها هى وحدها التى تمكن الانسان من معرفة العدل والصواب الذى تصلح به الدولة والحياة الخاصة وان البشرية لن تتخلص من البؤس حتى يصل الفلاسفة الاصلاء الى السلطة ، او يصبح حكام المدن ـ بفضل معجزة الهية ـ فلاسفة اصلاء » .

ـ البوم يحوم فوق ربوع اثينا . والتهم تشـــير اصابعها نحوه . فليهجر هذا البلد الخرب سنين طويلة . وليبدأ رحلته الكبرى ، يتزود من بحر العلم ، يزور رفاق الدرس « من حوالى ٣٩٩ حتى حوالى ٣٨٨ ق . م » ترسو المركب فى ميجارا ، ثم تطوف بمصر وقورينا ، حتى تصل الى « تارنت » وتقف على شطئان صقلية » .

ـ مازال الحلم يداعب عينه : حلم الحاكم حين يكون حكيما ، رجلا يجمع بين القدرة والعلم ، بين الســـلطة والحكمة .

ـ هلّ زار صقلية فى نهاية هذه الرحلة وتعرف بحبيب عمره ديون ، ام عرفه فى بلاط صديقه الحاكم والحكيم الفيثاغورى النبيل « ارخيتاس » فى «تارنت » ؟ لاندرى على وجه التحديد . لكن الرسالة تشير الى هذه الزيارة

الاولى « التى تمت حوالى سنة ٣٨٨ ق.م عندما كـان يناهز الاربعين من عمره » وان بقيت دوافعها غامضة . لم يكد يصل الى هناك حتى اصابه الاشمئزاز والنفور من حياة القوم هناك ، فهي حياة ينفقها اصحابها على ملذات الطعام والشراب والعشق ، ولا يمكن أن تتيح لانسان فان ان يصبح حكيما . والاخطر من هذا أن مثل هذه الدولة التي يتهالك أهلها على الملذات لا يمكن أن تنعم بالطمأنينة والسلام ، ولابد أن تقع تحت سـيطرة طاغية فرد أو استبداد بعض الاسر او حكم الغوغاء ، ولن يتحمل حكامها سماع كلمة « الحكم العادل » . وافى لها بالعدل وقـد فقد الحاكم والمحكوم كل احساس بالتدبر والاعتدال .

ـ كان ديونيزيوس الاول يسيطر بقبضته على اقـدار الجزيرة ومعظم الجزر اليونانية فى جنوب ايطاليـا . اقام فيها مملكة عسكرية مستبدة واحتفظ فى الظـاهر باشكال الحكم الديموقراطى ، ولكنه كان فى الواقع من أبشع الطغاة الذين عرفهم التاريخ القديم أو الحـديث « لعل صورته هى صورة الطاغية المطلق الذى يهاجمـه افلاطون فى الجمهورية وغيرها من محاوراته ، فهو الذئب الليل ، السكير الاحمق ، مجنون يتصور أن يحكم غيره ، وهو العاجز من أن يحكم نفسـه ، يلبس ثوب الطغيـان ويمسك سيفه ، وهو العبد بمعنى الكلمة ، هو اشـقى من اشقى الناس » ..

ـ لا ندرى فى الحقيقة هل اتصل افلاطون مباشرة بهذا العسكرى المحترف أم لم يتمكن من الاتصال به . فبعض الروايات تحكى عن خلاف وقع بينهما ادى الى مشادة حادة اتهمه فيها افلاطون بالاستبداد فلم يكن من القائد

المحترف الا أن أهانه وطرده ، ومن الغبي الا يحس بقيمة الثقافة او يحترم قدر الفيلسوف . وبعض الروايات تقول انه أمر بترحيله الى سوق الرقيق فى جزيرة « ايجينا » وكان من حظه ان رآه أحد مواطنى قورينا — ويدعى انيكريس — فافتداه ومكنه من العودة سالما الى وطنه .

— مهما يكن الامر فى هذه الروايات والحكايات فيبدو انه تعرف فى بلاط الطاغية بشاب ذكى متحمس فى حوالى العشرين من عمره ؛ سحرته عصا المعلم فانقاد لسحرها حتى النهاية . ذلك هو « ديون » شقيق احدى زوجتى الطاغية ، وصديق افلاطون ويده اليمنى فى تحقيق الحلم الاكبر : يبدو اننى عندما التقيت بديون فى ذلك الحين — وكان لايزال شابا صغيرا — قد عملت دون قصد منى على انهيار الطغيان ، وذلك عندما افضيت اليه برأيى عن افضل الامور للبشرية وحثثته على اتباعها بصورة عملية . تحمس له ديون تحمسا فاق ماعرفه من الشباب الذين قابلهم فى حياته . تشرب بتعاليمه حتى تحولت نفسه بكليتها الى الحكمة ، واصبحت الفضيلة عنده اسمى من اللذات والمباهج الحسية ، وانطوى على نفسه مع احلام معلمه حتى اثار حقد الحاشية .

— واستمر ينسج احلامه حتى مات الطاغية سنة ٣٦٧ ، وخلفه ابنه ديونيزيوس الثانى الذى كان ابوه قد اقصاه عن مهام الحكم ، وفرض عليه الجهل . حانت الفرصة ليلقى ديون شبكته على الصيد الثمين ، ليصنع منه الحاكم الفيلسوف . اخذ يلح عليه حتى اقتنع بدعوة افلاطون . ثم اخذ يلح على افلاطون لكى يقبل الدعوة : أهناك فرصة انسب من هذه الفرصة التى هيأتها

العناية الالهية ؟ ان الملك الشاب شغوف بالعلم ، وأقاربه يمكن أن تكسبهم بسهولة ، والامل كبير ان يتحقق حلمك ، أن يتحد الحكم مع الحكمة فى شخص واحد ، وبذلك تسعد سراقوزة والبشرية . أسرع لا تبطيء عنا ، فالمثل الاعلى يوشك أن يتجسد فى أنسان حى » .

ـ واستجاب المعلم للدعوة . انتصرت ارادة الحلم على مخاوف التردد : « فقد كنت الان بحاجة الى اقنـــاع انسان واحد بآرائى لكى احقق كل الخير الذى قصــدت اليه » . وما قيمة آرائه عن القانون والحكم ان لم توضع موضع التنفيذ فى الواقع الملموس ؟ فليقدم اذا عـلى المخاطرة « حتى لا اخجل من نفسى ، أو ابدو فى عينى مجرد رجل نظرى لا يحسن الا الكلمة » ، حتى لايتهم بنسيان الواجب او خذلان الحق . سيكون عليه أن يتخلى عن عمله ، يهجر اخلص ابنائه ، ليعيش ببلد يتحكم فيــه الطغيان ، ابغض شيء عنده ، لكن هذا أهون من أن يوصم يوما بالجبن وايثار الراحة .

ـ ويقدم على المخاطرة . ويفاجأ ببلاط يموج بالدسائس والمؤامرات على ديون . ثم يفاجأ بعد وصوله بقليل بنفى صديقه وتلميذه من صقلية . وتسرى الشائعات بأنه تآمر معه على خلع الملك الشاب عن العرش ، وانهما أرادا أن يوقعاه فى سحر الفلسفة لينشغل عن مهام الحكم . هل يمكن ان يبقى فى هذا الجو الخانق ؟ هل يملك شيئا بعد رحيل صديقه ؟ أيجرب ان يهدى الملك الاخرق لطـريق الحكمة ؟ لكن الشر استشرى فيه وفى حاشيته . وسهام الحكمة تتكسر فوق صخور الغلظة . بل ان الهمس يردد ان ديونيزيوس قتله ، او امر بقتله . فليطلب اذنا بالعودة

ويتردد الملك ، فسمعته مرهونة ببقاء الفيلسوف ببلاطه . وتوسل اليه ان يبقى ، وتوسلات الطغاة تهديد ووعيد . ووافق الفيلسوف على أمل ان تخالجه الرغبة في الحياة الفلسفية . لكنه ظل يقاوم الى النهاية ، بل أمر بأن يحبس الفيلسوف في برج لا يخرج منه الا باذنه . واخيرا وافق ان يرحل على وعد بأن يرجع عندما يستقر السلام في الجزيرة ويعود ديون من المنفى .

ـ وتمر ستة أعوام . ويعود أفلاطون الى صقلية سنة ٣٦١ ق . م . فقد ألح عليه ديونيزيوس ان يقبل دعوته ، ووعد بأن ينفذ العهد الذي قطعه على نفسه بتسوية شئون ديون . كيف استجاب الفيلسوف على الرغم من سوء ظنه بالطاغية ؟ الم تكفه مرارة التجربة السابقة ؟ يبدو أنه لم يشأ أن يضيع الفرصة الاخيرة لهداية ديونيزيوس الى الطريق ، ولم يفقد الامل في مساعدة ديون ، ولم يقطع كل رجاء في « انقاذ » سكان الجزيرة والعمل على سيادة القانون واقامة نظام عادل يحل محل الحكم المستبد . ارتفع شعاع الامل الاخير فوق ظلمات الشك والريبة . لكن ماذا يجد أمامه ؟ .

ـ تتحول الزيارة الى كارثة . فلم يف ديونيزيوس بوعوده ، ولا استدعى ديون من منفاه . لم يدخل في حوار مع الفيلسوف الا مرة واحدة ، ومع ذلك فسوف يدعي الاحاطة بمذهبه . وتثور ثورة المرتزقة طالبين رفع أجورهم . ويتهم الفيلسوف بمساندة المتمردين . ويجد نفسه سجينا في حديقة القصر كالطائر الحبيس في قفصه ويحاصره التهديد بالقتل من كل ناحية . ولولا شفاعة صديقه النبيل أرخيتاس لما قدرت له النجاة .

ـ فشلت المغامرة الثالثة وخاب الامل . تحطم الح على صخور الغدر والحسد واللؤم ، وتهاوى في أوحال الواقع برج الفكر . ماذا يفعل ؟ هاهو يرجع ، ماذا في جعبته الا المر ؟ فليلزم دارا لا يدخلها الشر . وليعط صغار الطير حصاد العمر . وليزرع في الافئدة بذور الخير فلعل النبتة تنمو في بستان الوعي ويثمر ، والقوة تسقى من ماء العلم فتزهر ، في فردوس العدل ـ الحلم الاكبر ، يتولاه راع يحكم .. ويفكر ..

ـ مسئولية من ؟ ومن الجاني والمجني عليه ؟ اهو ديون ام ديونيزيوس ؟ ام قدر خاف بين حنايا العصر ؟

ان كلامه عن ديون يفيض بالعرفان والحنان « لا تخفى منه نغمة احساس بالذنب ! » لقد استمع اليه وفهم عنه ، شرب من نبعه وتطهر بمائه . وربما تحمس أكثر مما ينبغي ، والحماس المشبوب وراء كل علم او ابداع او أصلاح . لكن التطرف فيه مفسد ، لانه بداية طريق لا منهج سير ، كما أن الانفعال شيء غريب على عالم العقل والنظام والتدبير ..

ـ كان ديون طيب القلب ، تسقط كلمات الفلسفة في بحيرة وجدانه فتثور وتمور ، لكن قلما تلمس الموجة قمة جبل العقل . وهو يذكرنا بشخصية شاب آخر يتحمس للفلسفة كالمجنون وينفعل بها الى حد البكاء والهياج . أنه « أبوللودورن » الذى نراه في اللحظات الاخيرة من محاورة فايدون « ٥٩ » ومن حياة سقراط يشهد مع أصحابه آخر فصل في حياة المعلم الكبير . فلا يكاد سقراط يضع كأس السم على فمه حتى ينفجر وحده من بين الحاضرين بالبكاء والنشيج . ويلتفت سقراط ـ الذى

احتفظ بسخريته الجنون الى آخر لحظة — لاحد تلاميذه ويقول عنه : انك تعرف هذا الشاب وتعلم طبعه ! وهو نفس ابوللودور « المجنون » الذى نراه فى محاورة المأدبة « ١٧٢ ومابعدها » يروى ماجرى من حديث الحب فى بيت الشاعر « أجاثون » . ان لقاءه بسقراط قد بدله وحوله : « كنت قبل لقائى به أهيم هنا وهناك كيفما اتفق ، وكنت اتوهم انني اصنع شيئا ، بينما كنت فى الحقيقة وحيدا منسيا ، اتعس من اى انسان آخر . الناس تدعوه ابوللودور المجنون . وهو فى كل مكان يحكى فى طيبة قلب عن شعوره بالفرح والسرور كلما امكنه ان يتكلم عن الفلسفة أو يستمع لمن يتكلم عنها . ثم لايلبث ان يرتد الى الحزن واليأس كلما وجد انه لم يتوصل بعد الى التشبه بسقراط .

— هنا وهناك تحول التلميذ وتبدل . لكنه لم يكن التحول الذى يقصده المعلم والمربى من تحويل النفس بكليتها نحو الحكمة . كلاهما طيب القلب ، حسن النية ، مندفع فى حماسه الى حد السذاجة والطيش ، والنيات الحسنة اقصر الطرق الى الجحيم . يصدق هذا فى الادب وفى الفلسفة فما بالك بالواقع ؟.

— بذل ديون كل مافى وسعه للتأثير على الأب والابن الطاغيين ، احسن الظن فى الحالين فلم يتعلم مما لقى من الصدمات . ولم يقف طموح آماله عند « انقاذ » سراقوزة لينعم أهلها بسعادة تجل عن الوصف وتستحق أن تشرف اسمه ، بل أراد ان ينقذ البشرية كلها بمجرد أن ينجح فى تحقيق مثال الحاكم الحكيم والملك الفيلسوف فى شخص الطاغية . واسترسل مع الاحلام واخذ يلح على المعلم

لاقتنام الفرصة النادرة . واندفع المعلم ايضا مع حماسه حتى أفاق على الصدمة تلو الصدمة : نفى التلميذ وابعد عن بلده ، نهبت ثروته ، بيعت فجاة ، بعد سنين ثار لنفسه ومعلمه واغتصب الحكم ، لكن اصبح طاغية اقسى من كل طغاة صقلية واخفق فى تطبيق الحكم العادل أو اصلاح الدستور ، ثار عليه الشعب ، حتى انغرز الخنجر — بيد صديق — فى أعماق القلب ..

— مامن أحد منا خالد . ولقد مات ديون ميتة رائعة : « وانه لشيء جميل وجدير بالسعي اليه في كل الاحوال أن يتحمل المرء كل شقاء يصيبه به القدر ، مهما تكن وطاته ثقيلة ، في سبيل كفاحه لبلوغ أسمى الخيرات لنفسه ووطنه » . فهل استجاب حقا لتعاليم أستاذه ؟ هل جنى عليه الاستاذ دون أن يدرى ؟ أم كان الذنب أخيرا هو ذنب « الحلم » ؟ فعل ديون كل ما يستطيع ليغير الطاغية . لكن هل تتجه النفس الى الخير اذا لم تك خيرة بطبيعتها ؟ نفاه الطاغية واهان أستاذه فانتقم منه وحرر الجزيرة منه ليصبح طاغية مثله ! قتل أخلص اعوانه ، نشر الخوف والرعب ، نسى على عرش السلطة مالا ينسى من تعليم الاستاذ : « لا يجوز لصقلية ولا لغيرها من المدن أن تخضع للسلطة المطلقة « او الطغيان الفردى » ، بل يجب ان تخضع لحكم القانون . فالسلطة المطلقة مضرة بالحكام والمحكومين ، وهى مؤذية لهم ولابنائهم وابناء أبنائهم ، لان مثل هذه التجربة لابد أن تؤدى الى الخراب » ..

— لكن المعلم يتحسر على مصير تلميذه « الذى كانت لديه الرغبة الحارة في تحقيق العدالة » ، يعتذر عنه

بانه لو تمكن من تعليم حكامه لبدأ على الفور بتزويد مواطنيه بافضل وانسب مايستطيع من قوانين » . هل يجهل افلاطون أم يتجاهل انه سرعان ماتحول الى طاغية قاس ؟ هل تمنعه عاطفة الحب من الاعتراف بانه اهمل تعاليمه ؟ أم أن بذرة التسلط كانت كامنة فى هذه التعاليم ؟ يبدو ان قلبه يمنعه من سماع صوت العقل ؛ او ان هدف الرسالة كلها ـ وهو تبرير رحلاته والدفاع عن فلسفته ومدرسته ـ يحول بينه وبين السير فى الاعتراف الى آخر مداه . هاهو يلقى الذنب على أكتاف المجهول . « ولكن يبدو ـ بعد أن تحولت الامور على هذه الصورة ـ ان روحا شريرا « أوربة من ربات الثأر » قد هاجمنا واستطاع ـ بما جبل عليه من احتقار للقانون والدين وبما هو أسوأ منهما من رعونة الغباء ـ ان يقلب كل خططنا ويفسدنا للمرة الثانية » .

ـ ويتذكر الصديق المسكين الذى يحتل من قلبه أغلى مكان . وينصح أصدقاءه واتباعه بان يقتدوا به فى حب الوطن ، ويهتدوا بحياته التى اتسمت بالبساطة وضبط النفس ، ويحاولوا تحقيق أهدافه ـ التى هى نفس أهدافه ! ـ فى ظل ظروف انسب . صحيح انه يؤكد لهم ضرورة احترام القانون الذى يكفل الحقوق المتساوية للجميع ، ولابد أن يخضع له الفريق المنتصر قبل الفريق المهزوم ، بل ينصحهم باختيار مجموعة من حكماء اليونان لوضع هذه القوانين . فهل أنسته عاطفة الحب لصاحبه انه تجاهل المبادىء التى عمل معه على تحقيقها « مدفوعين بالحب لاهل سراقوزة » ؟ هل صحيح أن

« قدرا يفوق قدرة البشر » هو الذى حال دون نجاح خطتهما ؟ .

— ويواصل الاعتذار عن « ديون » والتحسر عليه . فقد كانت آراؤه « هى نفس الاراء التى يفترض فى وفى اى انسان عاقل ان يعتنقها » . لقد وضع نصب عينيه الا يصل الى السلطة واسمى الوظائف الا عن طريق التفانى فى خدمة الصالح العام ، وكان هدفه وضع دستور حقيقى واقامة قوانين طيبة عادلة تنفذ بغير قتل او اعدام او نفى . فهل كان هذا حقا هو المثل الاعلى الذى وضعه ديون لنفسه مؤثرا تحمل الظلم على اقترافه ؟ هل غاب عن المعلم ان تلميذه اغرق يديه ومثله الاعلى فى الدماء؟ وهل كان سبب سقوطه انه انخدع فى المدى الذى وصلت اليه خسة الاشرار الذين لم يغب عنه انهم اشرار ؟ كالملاح البارع الذى يتوقع هبوب العاصفة ، ومع ذلك تداهمه بقوتها وعنفها المفاجىء فتغرقه ؟ ام أن القلب المحب يصعب عليه الاعتراف بأن « الحلم المنقذ » بحاجة الى انقاذ ؟ وأن طريق « الحكمة » اشق مما تصور المعلم والتلميذ ؟!

— هل المسئول ديونيزيوس ؟

لقد تعب افلاطون وديون فى توجيهه نحو الخير . بذلا له النصيحة تلو النصيحة ليبدأ بتغيير حياته من اساسها . لكن عبثا يحاولان علاج مريض يصر على رفض تعاليم طبيبه . عبثا تكره انسانا على شىء يأباه طبعه . فالخير يسعى للخير — وطريق الحكمة وعر ، درب يرقاه السالك بالعرق المر ، تحويل النفس برمتها نحو الخير ، هل تصلح نفس جبلت من طين الشر ؟.

ـ علماه ان يصادق نفسه . فالذي لايحب نفسه لايحب غيره . لكن كيف يصادق طاغية نفسه ؟ كيف تعرف الصداقة طريقها الى قلبه ؟ انه عدو نفسه الاول . ولهذا فهو عدو الناس جميعا ، والناس جميعا اعداؤه ، ان لم يجدهم في الداخل فهم وراء الحدود ، وان لم يهددوه من الخارج فكل من حوله يهدده : الذئب يهاجم أو ينتظر هجوما .

ـ نعم لقد دعا الفيلسوف لضيافته . واستقبله بالترحاب اللائق والتكريم . لكنه لم يدع فكره وحكمته ، بل أراد ان يستغل سمعته ، ان يباهي به امام الرأى العام الاغريقى ، ان يجعله زينة قصره ، تحفة تحفه ، ان يروى الناس ويحكى التجار وملاحو السفن بأن ديونيزيوس صاحب افلاطون ، بل يفهم عنه أيضا ويحاوره فى آرائه ! فاذا همس رجال الحاشية بأن افلاطون يريد أن يوقعه فى سحر الفلسفة ويشغله عن واجبات الحكم ، أسرع بحبسه فى برج لا يخرج منه الا باذنه ، ولا يستطيع الملاحون ان يأخذوه منه الى وطنه ..

ـ وتردد الشائعات ان الطاغية تحمس فجأة للفلسفة ! وتصله الرسائل التي تؤكد ـ حتى من اصدقائه الفيثاغوريين فى تارنت ـ أنه تغير وغير نفسه ، وانه عازم على سلوك طريق الحق والفضيلة . ويصدق الفيلسوف على الرغم من سوء ظنه به وبحماس الشباب الذى يشتعل فجاة ويخبو فجاة . ويسرع اليه على أمل ان تتحقق الفرصة الاخيرة ويصنع منه تمثال الحاكم الحكيم . لكن الطينة نجسة ، وغناء الضفدع لا يحلو الا فى قلب المستنقع . هاهو ذا قد أخلف وعده ، لم يستدع ديون

إنقاذ العالم

ـ العالم بؤس وفساد . لم نحيا فيه أن لم نسع لانقاذه ؟ ماممناه أن لم نضف عليه المعنى ؟

ـ معرفة الوجود الخالد الحق والمشاركة فيه لانقاذ الوجود الارضى المحسوس بقدر الامكان : تلك هى مشكلة افلاطون .

ـ ليست مشكلته هى الخلاص من الثانى وافناؤه ، ولا الاتحاد مع الاول والفناء فيه « فهذه آثار فلسفة افلوطين وشراحه على التصور الشائع عن افلاطون ! » بل حمل النفس على المشاركة فيه « من هنا تأتى وظيفة التربية وتقسيم العلوم » .

ـ عالم الحس والتجربة هو عالم التغير والفساد ، والحركة والفناء . كل ماهو جسدى محسوس ، وطبيعى مادى ليس وجوداً حقا . أن له صورة ، لكنه ليس صورة « لهذا أخطأ الفلاسفة « الطبيعيون » فى البحث داخل هذا العالم عن أصله ومبداه ، عن سببه وجوهره .. » فالوجود الحق فى المثل او الصور ، فى الافكار او الانواع « صورة الدائرة ، العدالة ، المساواة .. الخ » (1) .

---

(١) إرنست هوفمان ، افلاطون ، مدخل الى تفلسفه ، ميونيخ ، روفولت ، ١٩٦١ ، ص ٣٠ ـ ٣٧

ـ ارتباط الطبيعة بالاخلاق : من تعلق بهذا العالم الحسي أصبحت القيم الاخلاقية عنده متغيرة وقابلة للتحول لا عدل ولا حق ولا واجب ، بل كلمات تغوي وتؤثر ـ كل شيء كما يبدو لكل انسان « أوضح من عبر عن هـذا : كالليكيليس في « جورجيـاس » وثرازيماخوس في « الجمهورية » من هنا كان فساد السفسطائيين ،وانحلال اثينا ، وتضليل الجماهير بالكلمات . من هنا كان خداع كل الدجالين ، ينتظر الناس الحق فلا يجدون ، غير بريق الكلم الزائف من فم مجنون .

ـ الهوية هي مجال الوجود الحق ، مجال «الموضوعية» حين يعرف العقل حقائقه ، والغيرية « او الاقل والاكثر » هي مجال الصيرورة ، مجال النسبية التي لا يستطيع العقل أن يثبت فيها ، واللا وجود ـ او الموجود في الظاهر فحسب ، بينهما هوة وانفصال ، انشقاق وثنائية حاسمة هل يمكن ان يلتقيا ؟!.

الاساس الاكبر لفلسفة افلاطون هو هذا الانفصال التام ، هذه الثنائية الحاسمة ، هذه الهوة السحيقة (١) بين عالم الوجود وعالم الصيرورة . والمشاركة (٢) هي التي تحاول التقريب بينهما .

ـ ابينهما تناقض أم بينهما تضاد ؟
اتصدق عليهما : اما أ أو ب ، ام أ عكس ب ؟

فرق كبير بين التضاد الذي يسمح بوجود حـدود متوسطة بين الضدين ، كالصيف والشتاء وبينهما خريف

---

(١) Chorism —
(٢) Methexis —

وربيع ، والابيض والاسود وبينهما عدة الوان ، وبين التناقض الذى لا يسمح بالتوسط : حياة وموت ، حركة وسكون ، ذكر وانثى ، زوجى وفردى ، جوهر وعرض ، صدق وكذب .. الخ .

ـ مع ذلك تسمح بعض المتناقضات بحدود وسطى من جانب واحد : كالظلم بالنسبة للعدل ، فقد يقترب من العدل او يبتعد عنه « بعكس الزوجى والفردى والحياة والموت ... الخ » .

ـ بين عالمى الصيرورة والوجود تناقض من النوع الاخير ، الاول يسمح بالتقارب ، يمكن ان يبتعد او يقترب من الثانى . فالوجود مطلق ، ولابد من معرفته معرفة مطلقة فى ذاتها . والصيرورة أو اللاوجود الذى يقترب منه او يبتعد عنه يناقضه ، لانه يشتاق للوجود ويسعى للمشاركة فيه « اذ لو كان مثله لصار منافسا له ولم يسمح بالمشاركة ! » .

ـ عالم الصيرورة نوع من اللاوجود « لسعيه الدائم الى الوجود » لكنه لا وجود ينطوى على درجات « مثل الظلم والكذب » .

فالحكم الصادق « يناقض » الحكم الكاذب « وأن كان هذا على درجات تقترب من الصدق او تبتعد عنه » .

والسرمدية + « تناقض » الزمانية « وان كان من الممكن أن تمتد وتدوم بعد موتها وانتهائها ، كالفكرة العظيمة ، والعمل الفنى الكامل . ولهذا كان لهما خلود نسبى فى عالم الصيرورة » .

والاله + « يناقض » الانسان « وأن امكن — في حدود الارضية والبشرية — ان يوصف بعض الناس — وهم الصفوة والقلة النادرة — بأنهم الهيون » .

والايدوس (١) + « يناقض » الايدولون (٢)

« النموذج والاصل ، الحقيقة والوجود المطلق ، الماهية والجوهر . هنا نجد نموذج كل صيرورة . والنماذج او المثل متعددة — اخلاقية ورياضية — لكنها تمثل وحدة حياة وجماعة مشتركة (٣)

« النسخة الناقصة والظاهرة المتغيرة . تتفاوت بين وجود مظهري خداع وآخر مشارك في الماهيات والحقائق الثابتة ، والصور او المثل الخالدة . تتفاوت أيضا في طبيعتها ، فهي جسدية او جمالية او نفسية . .

وهي لا ترى بالعين ، حتى لو كانت عين العقل !

لكن العقل يفترض وجود المثل او الصور الاصلية كأساس منطقي لابد من الاقتناع به .

— ثنائية حاسمة ، هوة وانفصال : بين المعقول والمحسوس ، والوجود والصيرورة ، والمثل والاشياء ، والمعرفة والجهل ، والنور والظلام ، والحرية والعبودية .

— علينا نحن أن نقرر : هل نريد البقاء في عالم

---

(١) Eidos — وربما استطعنا ان نسميه بتعبير كانط : النومين Noumen (مع الفارق بينهما !)

(٢) — Eidolon

(٣) — Koinonia

الصيرورة والضرورة ، والتجربة والحس ، أم نريد الارتفاع الى عالم الفكر والعقل ، والارادة والسلوك ، الاول ينقصه كل مايميز العالم الحق من قيم « الثبات والتصدد ، الجوهرية والاستقلال » لانه عالم التغير والفساد . اما الثاني فيحتوى على كل معيار المعرفة ، كل قانون للفكر والعلم . لهذا تقاس به المعرفة التجريبية ولا يقاس هو بها .

— هل يمكن ان يلتقيا ؟

— لا يقطع افلاطون بشيء ، بل يترك الامر للهيئة الالهية . . (١) .

— فاذا شاءت ولد « المنقذ » : سيكون شبيها ببروميثيوس الذى جلب النار للبشر او اسكلبيوس الذى وهبهم فن الطب والعلاج . سيكون مفاجأة : حدثا فريدا وجديدا قد يتبعه غيره ، وقد ينتهى الامر عنده ويأتى بعده الفساد . .

— هذا المنقذ هو الذى سيوحد بين العالمين : عالم التجربة وعالم الحكمة . سيحقق الدولة المثالية العادلة ، اذ يجمع بين القوة العملية والرؤية الفلسفية .

— فلقد عرف السر الاكبر ، لا يشبهه سر الطب او النار : فهم مثال العدل وطلب الخير المطلق .

— الامر اذا لله — لا للعالم التجريبى « الدينامى » ، ولا لعالم المثل « الوجودى » ، فهو القادر أن يوحد بينهما لانه هو القوة الوحيدة الفعالة فيهما .

---

(١) — Theia Moira

ــ لن تنشأ الدولة المثالية من عالم التجربة ؟ بل ستكون ــ شأنها شأن كل المثل ــ مخالفة له . لن تتحقق مهما توافرت الشروط المطلوبة « من تجريد الطبقة العليا من الملكية واختيار الحراس والفلاسفة . والتجنيد العام .. الخ » . ولن تتم عن طريق الثورة والعنف ــ بل ستتحقق حين يشاء الله أو المصادفة ان يولد هذا المنقذ ، فيخلص كل البشر من البؤس ، ويبدد ليل الظلم وينصب ميزان العدل ..

ــ حتى يحدث هذا ، ماهو واجب الفلاسفة ؟ عليهم أن « يربوا » الناس تربية فلسفية تهيئهم لتحقيق الخير المطلق على الارض ، أن يعلموهم كيف يحافظون عليه كما علموهم كيف يفكرون فيه . عليهم أيضا أن يعـــدوهم لاستقبال المنقذ والعمل معـــه ، حتى لايدمروه باللؤم والحســد والغدر والغباء ..

ــ ماذا يطلب منهم ؟ ماالشروط الواجب أن تتحقق فى من يطمح للحكمة ؟ فى من يريد أن يكون فيلسوفا ، وقد يتاح له فرصة تدبير أمور الناس وتصريف شئون حياتهم السياسية والعملية ، أى فرصة انقاذهم بالحـــكمة والحكم ؟.

ــ عليه أن يعرف هذه الامور الثلاثة معرفة دقيقة :

١ ــ عالم التجربة .

٢ ــ عالم المثل .

٣ ــ عالم الخير الالهى .

عالم التجربة لكى لا يخدعه السفسطائيون ويسرقوا منه آذان العامة بكلامهم المختلط البراق ، وعالم المثـــل

والماهيات الذى يحتوى وحده على معايير المعرفة الحقة وموضوعاتها ، وعالم الخير الالهى الذى هو « شمس نهار الاخلاق » . .

ــ اما عالم التجربة فلابد أن يعرف انه عالم الظواهر والقيود ، عالم النقص والعذاب « لانه ان رضى به لن يستطيع « انقاذه » بالفلسفة . . » لابد ان يعرف خداع الكلمات التى تغرى ، والاحساسات التى تغوى ، والقوى المادية التى تضل . لابد ان يعرف أن هذا العالم « عالم الزمان والمكان والظواهر » هو الضد من عالم الحقيقة والمعنى الثابت الاصيل .

ــ لابد أيضا أن يقتنع بالوجود المطلق الثابت للمثل « فوق الزمان والمكان » . وبعد أن يتمرس بالطريقة المنهجية فى التفكير ، ويتدرب على الحياة العملية والعسكرية ، عليه ان يرجع من حين لآخر الى المجال الموضوعى الوحيد للعلم ، لكى يعرف ان التصورات والافكار الحقة ليست مجرد تجريدات من الاشياء التجريبية ، بل ان الامر يتعلق بالمعايير الثابتة التى ينبغى أن نقيس الاشياء بمقياسها لنعرفها معرفة صادقة من شعر بانه يعيش فى عالم المثل الخالدة كأنه يعيش فى وطنه فهو وحده الذى يمكنه أن يتجه بفكره نحو المطلق والخالد ، ومن أحس المسئولية التى تنتظره ليكون مرشدا للناس ، ينبغى أن يكون ثابت الفكر والرأى كالكواكب الثابتة فى السماء . أن لم يفعل هذا ضل وتاه بعالمنا التجريبى ، فتش عبثا عن سند يعتمد عليه .

ــ اما اسمى واجبات الفيلسوف فهو ان يعرف

طبيعة الواحد الالهى ، الخير المطلق الشامل الفـــريد « فليس له مبدأ مضاد كالشر الاصلى الحاسم مثلا » .

ــ فاسوا مايوجد على الارض أو يمكن ان يوجــد على ظهرها هو الطاغية ، سواء اكان طاغية فرداً (۱) ام كان هو الغوغاء (۲) التى افسدها المحرضون والمشوشون ، لان الطاغية هو الذى يحاول ان يجعل الشر مبدأ عاما . غيران هذه المحاولة لن تنجح ابدا ــ مهما ادت فى عالم الحس والتجربة الى الدمار والخراب ــ لان الشر لا وجود له فى الواقع « فى هذا يتاثر افلاطون بالايليين ! » ولان كل مايوجد فهو موجود بقدر مايشارك فى الخـــير « مايوجد فى الدائرة هو دائما مايتفق مع وجود الدائرة الكاملة فى ذاتها ــ مثال الدائرة او الدائرة الخيرة ــ ، وهى التى نقصدها عندما نتصور الدائرة او نقــوم بتعريفها . كل ماعدا ذلك فهو لا دائرة ، نفى وســـلب لوجود الدائرة .. » .

ــ كيف نعرف الطاغية ، كيف نعرفه ؟

هو ــ مثل كل ماهو شر ــ نفى الحاكم الخير ، كما ان اللادائرة هى نفى الدائرة الحقة ، والسفسطائى هو نفى المعلم الصحيح ، والمرض هو نفى الصحة .

ــ واذا فموضوع التعريف ، وبالتالى موضوع كــل معرفة صحيحة تعبر عن ماهية الوجود بالمعنى العقــلى

---

(۱) — Tyrannos

(۲) — Ochlos

اليقيني (١) ، هو دائما مايشارك في الخير . والموجود الذي يمكن ان نسميه الها هو وحده العلة والمبدأ الذي يتيح هذه المشاركة في الخير ، لانه هو نفسه الخير في ذاته او الخير المطلق « الخـالي من الحسـد لانه خير ! » .

ـ هذه المشاركة تتحقق على اكمل وجه في عـالم الصور أو المثل . فكل صورة او مثـال على حدة ـ كالحقيقة او الجمال او العدالة او المساواة او الدائرة او الدولة والمجتمع .. الخ ـ هي التي تكون لوجود الحق على نحو نموذجي أو معياري اصيل ـ وكل مثـال او صورة يمثل مع سائر المثل او الصور جانبا من الخـير الواحد « فالدائرة التجريبية الناقصة تشارك في مثال الدائرة ، والدولة في عالم التجربة تشارك في مثـال الدولة . كل الموجودات في عالم التجربة ناقصة متغيرة ، وهي تشارك في ضدها ، اي في وجود كامل في ذاته »

ـ هل يناقض هذا مبدأ عدم التناقض الايلي ؟

ـ لا يناقضه . لان هذا المبدأ لا ينطبق الا على عالم الواقع والتجربة ، ولان الفكر عندما يكون في مجـال المشاركة لا يكون في مجال وجود افقي بل في مجـال وجود راسي يعبر عن مشاركة الموجود الناقص المتغير في الوجود الكامل الثابت ، عن علاقة اللاوجـود بالوجود نفسه .

ـ الله ـ او الخير الواحد الاسمى ـ هو علة هـذه المشاركة . فالحياة تكون في هذه المشاركة ، والله هـو

---

(١) noëtic (من nus او nous اي العقل) .

علة كل خير ووجود . (١) وليس للاشياء ولا لعالم التجربة والظاهر من وجود الا بقدر ماتقاس بالنموذج أو المثال الذي يضمه الفكر ، بقدر مايمكنها ان تشارك فيه .

ـ المشاركة هي شرط الفكر الموضوعي والمعرفة نفسها .

ثم يقرر افلاطون طبيعة هذه المشاركة الا في مرحلة متاخرة من تطوره :

نقول في الاحكام والقضايا الحملية : أ هي ب « هذه دائرة » « اوس هي م » « أثينا مدينة » . والكينونة هنا تعبر عن التساوي . لكن حين يقاس كلاهما بحقيقة الدائرة او بحقيقة المدينة يصبح معناها الشوق والنزوع والطموح للمشاركة . فكل ماهو تجريبي يشتاق للمشاركة في الوجود الكامل الموجود في ذاته ، او للخير الذى تمثله سائر المثل كل من ناحيته .

ـ فالله أو الخير الاسمى هو سبب المثل وعلتها « لانها تشارك فيه » كما هو سبب عالم الاشياء والظواهر « لان كل شيء يمكن أن يشتاق للمشاركة في المثل » .

ـ هذا الامكان (٢) لاياتي من المثل نفسها ، فهي مكتفية بذاتها ، بل ياتي من الله « الذي يفوق الوجود في الرتبة ـ أو الشرف والكرامة ـ والقوة » اذ لولا خيريته ماكان هناك ثبات .

ـ واذن فعلة نزوع الاشياء الى الخير هو الخير نفسه ، لانه متعال على الاشياء وكامن فيها في نفس الوقت كقوة

---

(١) Causa existentialis

(٢) dynamis

وامكان ؛ وهي لا تاتي من المثل المتعالية على الاشـــياء لان المثل غايات واهداف ونماذج لاقوى ديناميةً ، ولا من الاشياء نفسها ، لانها ناقصة وبلا ماهية .

ـ والخير الواحد ومثال المثل ؛ الله او الخير الالهي ، لا يكاد الفهم يعرفه الا معرفة تقريبية ، لا يمكن التعبير عنه الا من وجهة نظر اسطورية لا فكرية دقيقة « كمـــا في الجمهورية وفايدروس وطيماوس » .

ـ انه لايدرك ، اي لا يعرف ولا يحدد ، لان الفـكر تحديد وتعريف . وهو مثالُ المثل ـ الخير في ذاته ـ الذي تقاس به المثل الاخرى ، كما تقول (١) بالقياس الى سائر الاعداد « ٢ ، ٣ ، ٤ .. » ولهذا فهو فوق الفكر الماهوي؛ وفوق كل المثل وقبلها ، كما ان العدد «١» فوق كـــل الاعداد وقبلها ، وان كان كل عدد في ذاته ، وكل مثـــال اته واحدا او وحدة .

. اذا كانت كل المثل « وجودية » (١) ، فان مثـــال (٢) وحده فعال وديناميٍ (٣) : ـ هو في «الجمهورية سي » التي تتحكم في قبة السماء ، والسماء تزينها كالكواكب الثابتة ، وهو الذي يشيع الحياة والدفء جود في عالم الكائنات والاشياء .

وهو في « فايدروس » الرب الذي يقود مـــوكب ب الراقص والنفوس الفردية تتزاحم في حاشيته

تنظر بنظرة الى المثل الخالدة ونماذج الوجود الازلى .

ـــ وهو فى « طيماوس » الصانع الخير الذى يجبل الكون من الفراغ (٤) « أو اللاوجود » بعد ان ينظر للمثل ويحاكيها . وطبيعته الخالية من الحسد هى التى جعلته يبنى العالم « مكان الصيرورة » ــ ويجعل منه كائنا حيا عاقلا . هو الذى احال الفوضى الى نظام ، اذ لايليق به أن يخلق الا الجميل . وهو الذى جعل للجسد نفسا وللنفس عقلا ؛ واخرج الكائنات من اللاوجود الى الوجود .

ـــ وهو فى المجال الرياضى والحسابى الوحدة المطلقة السابقة على كل كثرة وتعدد .

ـــ وفى مجال المثل ـــ او جماعتها الحية المتجانسة ! هو الذى يفوقها فى الوجود والرتبة والشرف ، وهو مصدر الخير فيها وفى سائر الكائنات ولهذا لا يكاد العقل يقدر على التفكير فيه .

ـــ كل المثل « تمثله » وتشارك فيه ، وهو وحده المبدع الصانع الذى يهدى الكائنات الناقصة الى الكمال ويدلها على طريقه .

ـــ وهو فكرة الاله نفسها التى تتردد فى صور مختلفة فى أعمال أفلاطون .

ـــ والان . . ما شان المثل ؟ الها دور فى انقاذ العالم ؟

ـــ لم يوضح افلاطون ترتيب المثل وتنظيمها ، لكن يمكن ان نستخلص طبيعتها من محاوراته : ـــ

(١) Ontic
(٢) Agathón
(٣) Dynamic
(٤) Xora —

ـ فهي لا زمانية ولا مكانية « قبلية بلغة كانط ! » ، يسري الخير فيها جميعا ، والحق والصدق طابع مشترك بينها ، وهي متعددة « لان وحدة المعرفة لا تقوم بغير هذا التعدد ، ولانها تفترض وجود بعضها وعلاقتها ببعضها كالايجاب والسلب ، والصدق والكذب ، والظلم والعدل ، والواحد والغير .. » ولكنها في نفس الوقت واحدة ، تمثل جماعة حية مشتركة ، نسقا عضويا متجانسا . واذا اختلف الواحد منها عن الاخر في نوع وجوده ، فهي جميعا في الوجود متشابهة ، اذ هي موجودة في ذاتها ، مكتفية بذاتها ، مطلقة ، ثابتة وخالدة .

ـ هي باختصار جواهر ونماذج اصلية باقية ، حتى الصانع لم يخلقها بل يتطلع اليها ويحاكيها « محاكـــاة النجار والرسام للسرير في ذاته ! » وهي كذلك « ابتداء من « جورجياس » وخصوصا في « السفسطائي » نسب وعلاقات « كالاختلاف ، والتضاد ، والسلب » لكن اعلاها واعمها واهمها هي مثل الخير والحق والجمال :

ـ الخير ، لانه ليس مثلها علة نموذجية (١) فحسب، بل هو علة وجودية دينامية . (٢)

ـ والحق ، لان الحقيقة مشتركة بينها جميعا .

ـ والجمال ، لانه المثال الوحيد الذى يمكننا ان نفكر فيه بالعقل والفهم معا ، اي كنموذج مطلق وصورة موجودة في عالم الحس « في جمال وردة او حسن فتاة .. الخ» هنا نسمع نداءه الذى يصل الينا من عالم المثل ليحرك

(١) Causa Examplaris

(٢) Causa Existentialis

فينا الشوق ويوقظ فينا الحب « الايروس » كلما راينا صورته على وجه الاشياء « فى التناســـب الرياضى ، والتجانس الموسيقى ، والنظام والغائية فى العالم » لهذا فهو علة محركة (١) للشوق والحب ، متعالية وكامنة فى عالمنا المحسوس .

ـ هى فى النهاية اصل الوجود والحقيقة معـــــا « ميتافيزيقية ـ وجودية ، ومنطقية ـ معرفية ، نظرية وعملية فى آن واحد » .

ـ ماهو موقف الفكر منها ؟ ماواجبه نحوها ؟

ان العقل يفكر فيها بالجدل وبالتركيب « ديالكتيك وسيلليتيك » ، وبالتحليل « أو التقسيم » وبالتــاليف « دياريزيه وسينتزيه » . لكن واجبه ومهمته ان يعرفها يوجد معها وفيها وبها . . لا ليدير ظهره أو يصرف نظره عن الكائنات المحسوسة المتغيرة ، بل ليحسن فهمهــــا وتقديرها وقياسها بمقياس المثل والنماذج ، اى ليغيرها ويعدلها ويرتفع بها « على أســــاس مثـال التساوى او العدالة مثلا » .

ـ لكى تمثل « المثل » الخير بشكل فعال لابد أن يوجد عالم تكون هى هدفه وغايته ، مقياسه واساسه من ناحية الوجود والمعرفة جميعا ـ هذا هو اساس نظرية أفلاطون عن الصيرورة والمشاركة والحب والنفس ، اساس «دليله» على وجود الله وعنايته « ان جاز التعبير المتاخـــر عن التيوديسيه » ، واساس الجهد والمعاناة فى شخصـــية

---

(١) Causa Movens

افلاطون وكفاحه لتحقيق الاتحاد بين الوجود والصيرورة في عالمنا التجريبي بقدر الامكان ، بقدر ما تسمح به ظروف هذا العالم .

ــ لكن كيف سنرقى لسماء المثل ، لكواكبها الخالدة الساطعة الضوء ؟ كيف لنا ان نعرفها ونشارك فيها ؟ من يصنع هذا الجسر ومن يعبره ؟.

ــ تعبره نفس الانسان ، بالحب وبالشوق الظمآن « الايروس » .

ــ تطورت فكرة افلاطون عن النفس من « فايدون » الى « فايدروس » الى « طيماوس » : من النفس الخالدة لانها حياة ومختلفة عن الجسد « قبر النفس او الموت »؛ الى النفس التي تتحرك بذاتها وتختلف عما يحرك غيره او يتحرك به ، الى نفس كلية هي القانون الباطن للكون . النفس في « فايدون » جوهر حي ؛ لانه يشارك في مثال الحياة ــ بالتذكر أو بالضدية . وهي في « فايدروس » مبدأ الحياة والحركة ، وما يتحرك من نفسه فهو خالد ؛ اذ لو مات فسوف يموت الكون كله وتفنى الحياة . ليس هناك تعارض ، بل تطور من المستوى الفردى الى المستوى الكونى .

ــ النفس مبدأ تلقائي متحرك بذاته . من هنا تأتى قدرتها على المشاركة ، لان كل ماهو حي ــ لا الانسان وحده بل الكون كله ــ له نفس ذاتية الحركة . والمشاركة لا تتم الا بالنفس وفي النفس ، سواء أكانت هي الفردية ام الكونية . فهي مبدأ التفكير العقلي والحركة الذاتية في الفرد . وهي مبدأ والحياة والحركة الذاتية في الكون .

المعرفة على هذا هي الحركة غير المكانية ولا الزمانية النفس العاقلة ، وهي لهذا ايضا تختلف عن حركة كل الموجودات الخاضعة للضرورة في عالم المكان والزمان والاجسام . كل تفكير أو حركة عقلية هي في الواقع حوار يتم في النفس ذاتها وينقلها الى الوجود « من الحس الى العقل في المعرفة ، ومن اللا الى النعم في الحكم » .

ـ الحياة والمعرفة اذن مرتبطتان ، لانهما مشاركان في المثل « معرفة النفس الفردية شرط لمعرفة النفس الكونية، لان الكون يعكس صورة الانسان ونفس الانسان تعكس صورة الكون . ومعرفة الجدل شرط لمعرفة النفس الفردية ولكل معرفة بالذات او الكون ، لانه هو ماهية الفلسفة وجوهر التفلسف » . (١)

ـ حركة النفس « ديناميتها » هي القوة الوحيدة التي تحقق المشاركة في المثل « او هي الانتليخيا بتعبير ارسطو وليبنتز » والنفس تنتهي لعالم الصيرورة والضرورة والتجربة ولكنها لا تستغرق فيه ، بل تسعى للعلو عليه . غير انها تواجه دائما بالمقاومة ، أما بسبب الجسد ووجودها في عالم المكان والزمان الخاضع للضرورة ، أو بسبب طبيعة الفكر نفسه . فالفكر حوار ، اختيار بين لا ونعم ، وكذب وصدق ، وشر وخير ـ والنفس هي المجال الوحيد للحوار بين الطرفين .

ـ تتميز النفس عن الجسد والاجسام المحسوسة ـ

---

(١) فون استر ، تاريخ الفلسفة ، ص ٦١ ـ كرونر ـ شتوتجارت

كما تقدم ـ بانها مبدا حركتها الذاتية ، كما تتميز عن المثل ـ التي هي نماذج وغايات واهداف في ذاتها ـ بانها حركة مندفعة مشتاقة الى هذه المثل .

ـ وحيث تكون الصيرورة تكون المشاركة والشوق ، يكون الوجود واللاوجود .

ـ والقوة الوحيدة التي يمكنها التوحيد بين الوجود واللاوجود هي النفس التي تسعى للكمال وتشتاق للمشاركة في المثل والنماذج الاصلية « واللاوجود تصور حدى ، هو « الغير » من الناحية الجدلية ، لانه « غير » كل ماهو واقعي ، ولهذا لايعبر عنه الا بالاسطورة . لقد خلقه الله او الخير المطلق ، عندما خلق الوجود ، ولكنه حدد له مكانه ودوره ، لكي تكون الظواهر ظواهر ، ولكي يفنى مافي الزمن ويبلى . ويبقى الله ـ وهو قمة الوجود ومصدره ـ مختلفا عن اللاوجود اختلافا اساسيا ، فعلاقته به كعلاقة المربية بالطفل الذى لم تلده ولكنها ترعاه .. ويبقى اللاوجود ـ الذى يعجز الفكر عن تبرير خلقه فيلجأ للأسطورة « طيماوس » ـ في صورة السلب ، فهو شرط تعدد المثل وكثرتها وغيريتها ، وهو كذلك شرط تعدد سبل المعرفة العقلية ومراحلها » .

ـ بالنفس ـ التي تملك قوة المشاركة ـ وبمشيئة الله ـ الذى يهدى الكائنات الناقصة للكمال ، يمكن أن يتحد الوجود « المثل » والصيرورة « النفس وعالم الحس » ، ان يتحد الارضي وفوق الارضي ، أن يمتد الجسر على الهاوية الفاغرة الفم .

ـ هل يمكن ان يلتئم الصدع ؟ هل يمكن ان تتحد

الثنائية ؟ هذا هو واجب الانسان ، هو ــ بالتعبير الحديث ــ مسئوليته والتزامه ، من ناحية المعرفة وناحية الاخلاق والسياسة . لن نفهم هذه الثنائية حتى نفهم ان معرفة المثل تحررنا وتمكننا من السعي اليها والعمل على تحقيقها ــ بقدر الطاقة والامكان ! حتى نفهم ايضا مايحول بيننا وبين هذا التحرر من معوقات وضغوط واوهام و«اصنام» واول هذه الاصنام هو الكلمات التى تقيدنا منذ الطفولة وتجعلنا عبيدا للظلال والاصداء « حيث يعيش السفسطائى فى ظلام اللاوجود ، يفسد ويخادع فى كهف لم يتحرر منه بعد .. » .

ــ هذه الثنائية او التضاد الاساسى يقوم بين الخير الذى يحررنا « وتمثله كل المثل » والضرورة الآلية التى تقيدنا « كأننا مجرد أجسام لا عقول مفكرة » .

ــ هذه الثنائية : بدلا من أن تلعنها « كما فعل نيتشه ويفعل اليوم كثير من المشوشين » حاول ان تقهرها ! ان تقهرها حتى تصبح حرا .

ــ ومن الحر ؟ من ــ بالفكر وبالعقل ــ اتجه الى المثل فلم تستعبده الاشياء . من رفض حياة فى كهف لا يشهد فيه الا الأشباح ولا يسمع غير الاصداء . من فك قيود الليل ، الجهل ، الذل ، وخرج ــ نبيلا وشجاعا ــ كى يغزو النور .. من انقذ نفسه ، كى ينقذ غيره .

ــ ومن المنقذ ؟

رجل يجمع بين الحكمة والقوة ، بين الرؤية والسلطة . بين مجال الوجود والماهية ومجال الحس والتجربة «ولهذا يتحتم ان تكون لديه المعرفة بالرياضيات ليحقق المشاركة بينهما ! » .

من طريق الحب « الايروس (*) : الشوق الدائب لوجود المثل الحق ، اى للحكمة » وعن طريق الجـــدل « الديالكتيك : كطريق صاعد اليها » ، يمكنه ان يوحد بين العالمين ، ان يطبع صورة المثال على وجه الشيء ، ان يقرب مجتمعه الفاسد من المجتمع الامثل ، ان يخــرج أخوته المسجونين ــ منذ طفولتهم او منذ القدم ــ الى نور الشمس ، أن يختتم آخر فصل فى ماساة البشرية .

ــ بنظرية المثل مع نظرية الحب « الايروس » بالقول السقراطى « اللوجوس » مع الاسطورة ، بالمشاركة مــع الاحساس بالهاوية « الثنائية » ، بالحماس الفلسفى مع ادانة العالم (١) ، بهذا يوحد بين النموذج « أيدوس » والنسخة « أيدولون » وحدة راسية لاهيراقليطية « ولهذا كانت عاطفة كفاحه فى صميمها عاطفة الهية ، فهو مواطن فى العالمين » .

---

* اسمى ما يحققه «الايروس» هو إنقاذ الدولة . ولكن المتحاورين المشهورين فى «المأدبه» (وخصوصا ديوتيما الحكيمة) يختلفون حول المنقذ : أهو المربى أم الشاعر أم المشرع ؟ ومع ذلك يمكن أن نفهم من كلام ديوتيما أن الايروس ـ فى جانبه الروحى الذى ينجب «أطفالا» أخلد من الأطفال الجسديين ! ـ هو الذى ربى الكبار من الشعراء والفنانين والعشاق والمشرعين وسقراط نفسه ، وهو الذى علمهم مواجهة الفناء والفساد . (المأدبة ٢٠٨ ـ ٢٠٩) وكذلك كتاب جرهارد كروجر «البصيرة والعاطفة ـ جوهر الفكر الأفلاطونى . فرانكفورت ، كلوسترمان ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٣ ، ص ١٧٣ .

(١) هوفمان ، المصدر السابق ، ص ٤٥ .

ـ لكن المنقذ ليس مثاليا اعمى . فالحلم عسير ، والحالم يحلم مفتوح العينين :

ـ فليس من السهل على كل انسان أن ينفصل عن العالم السفلي ليطمح الى الاعلى ، ان يخرج من الظلام والضلال والاضطراب الى النور والوعى والحرية .

ـ وليس من السهل أن يتحقق عالم المثل « او قل عالم العقل » فوق الارض الناقصة بطبيعتها ، وسط الناس المفطورين على الحسد والشر والغدر .

ـ ليس من السهل اخيرا ان يوجد هذا المنقذ ، واذا وجد ـ بمعجزة او مصادفة ـ فلن يسلم من شر الناس .

ـ الامر عسير ، وجناح الحلم كسير . ماذا نفعل كى يخرج هذا المنقذ من كهفه ؟

نربيه ونحول نفسه . لكن كيف ؟ الحكمة ستوجهه نحو الخير . « معرفة الاشياء جميعا لا جدوى منها ان لم تعرف هذا الخير ! « الجمهورية ٥٠٥ ا ـ ب » .

ـ هل يكفى هذا ؟ هل يغنى كنز الحكمة عن سيف القوة ؟ واذا الحكمة والسيف اجتمعا ، هل يولد حلم مدينتنا المثلى ؟ .

ـ لا يكفى الحلم . لابد للمنقذ من اكبر قدر من المشاركة فى عالم المثل . لابد من اكبر قدر من الجهد والكفاح والعذاب « ليعرف » مثال الدولة العادلة ، ويحاول « التقريب » بينه وبين نظام الدولة القائمة ـ التقريب بقدر الطاقة والامكان ، وبقدر ظروف العالم والواقع ..

ـ والامر اخيرا لله ، فى يده ، رهن مشيئته . فهو

السيد ، لسنا الا أدواته « القوانين ، ٦٤٤ د » .

ـ المحنة تشتد علينا ، والليل طويل ممتد . هل تولد معجزة كبرى ، أم ان المهد هو اللحد ؟ هل يبعث يوما فنراه ، أم يمضي العمر ولا يبدو ؟ ـ المنقذ في الكهف سجين ، مغلول يرسف في القيد . فلعل الها ينقذه ، ويمن علينا بالوعد . المنقذ حر لا يحيا ، مابين عبيد كالعبد ، والمنقذ شهم وكريم ، يسخو بالنور بلا حد ، ويفنى الخير « بلا حسد » .

ـ هل يبقى أم يهجر كهفه ؟ . .

***

المنقذ يهجر كهفه

من الظاهر الى الحقيقة ، من الظـن الى العلم ، من الحس الى العقل ، من الصيرورة الى الوجود ، من الضرورة الى الحرية ، من الظلام الى النـــور ، ومن الظلم الى العدل :

ثلاثة مجالات تكون لب الفلسفة الافلاطونية :

ـ عالم الكينونة والصيرورة والضرورة الذى يشـتاق للوجود الحق « المثل » .

ـ المثل او الصور النموذجية والموجودات المطلقة الثابتة التى تشارك فى الخير المشترك بينها .

ـ الله او الخير المطلق ، وهو القوة المحركة «الدينامية» للوجود والصيرورة والكون ، وهو الذى يوجد كثرة المثل ويفيض الخير عليها وعلى كل شيء (١)

ـ والنفس وحدها هى التى تقطع هذا الطريق الشاق من عالم الكينونة الى عالم المثل الى الله . انها تنتمى لعالم الكينونة ، ولكنها لاتكف عن السعى الى معرفة الوجود الحق . تسبح فى نهر الظواهر والتجربة ، لكنها لا تريد ان تغرق فيه .

ـ كيف نوضح هذا ؟ برمز الكهف « أمثولتـــه أو تشبيهه » . فهو الرمز الحى الملموس لنظرية المثــــل ، ونظرية الحب الفلسفى « الايروس » الذى يدفع النفس

---

(١) هوفمان ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .

لعبور الهوة ، للعلو من الصيرورة الى الوجود ، من الجهل الى العلم ، من العبودية الى الحرية .

ـ والرمز يصور قصة ، قصة جهد وصراع . وصراع الموج عسير ، قد نغرق فيه او ننجو ، فلينظر كل منا كيف سينقذ نفسه ، اخوته ومدينته والعالم كله . واذا سقط المنقذ ؟ لا ضير . فالمنقذ يتحمل قدره ، والقدر ينادى فى صمت : ـ هو امر حياة او موت .

سقراط : والآن ، قارن طبيعتنا من وجهة نظر التربية ونقص التربية بمثل هذه التجربة . تامل هذا : اناس يقيمون تحت الارض فى مسكن أشبه بالكهف . مدخله الممتد الى اعلى يواجه ضوء النهار . فى هذا المسكن يقيمون منذ الطفولة ، مقيدين بالاغلال من سيقانهم ورقابهم بحيث يبقون فى نفس الموضع ، فلا يملكون الا النظر الى الامام ليروا مايواجههم . انهم بسبب هذه القيود والاغلال عاجزون عن التلفت برءوسهم « والنظر » فيما حولهم . فى امكانهم مع ذلك أن يبصروا نوراً يأتى من اعلى ومن بعيد ، وان كان ينبعث من نار تلمع خلفهم . بين النار وبين المقيدين بالسلاسل « أى فى ظهورهم » يمتد فى الجهة العلوية طريق بنى على طوله ـ تصور هذا ـ جدار منخفض شبيه بالحواجز التى يقيمها المهرجون « أصحاب الالعاب البهلوانية والعرائس المتحركة » أمام الناس ليعرضوا عليهم العابهم .

ـ قال ، هذا ما أراه .

ـ تأمل كذلك كيف يعبر الناس على طول هذا الجدار الصغير حاملين مختلف الاشياء من تماثيل وصور من

الحجر والخشب وغير ذلك مما يصنع البشر ، فيتحدث بعضهم مع بعض كما هو منتظر ، ويمر البعض الاخـــر صامتين .

ـ صورة غريبة هذه التى تتكلم عنها ، هـكذا قال ، ومساجين من نوع غريب .

ـ قلت : انهم يشبهوننا نحن البشر شبها تاما . مثل هؤلاء الناس لم تقع اعينهم منذ البداية ، سواء اكـان ذلك من انفسهم ام من غيرهم ، الا على الظلال التى تلقيها النار على جدار الكهف المواجه لهم .

ـ قال : وكيف يمكن ان يكون الامر غير ذلك مادآموا قد اجبروا على عدم تحريك رءوسهم طوال حياتهم .

ـ ولكن ماذا عساهم يرون من هذه الاشياء التى يحملها الناس « خلف ظهورهم » ، الا يرون هذه « الظلال » نفسها ؟ .

ـ الامر كذلك فى الواقع .

ـ لو كان فى وسعهم أن يتحدثوا مع بعضهم البعض عما يرون ، الا تعتقد انهم كانوا سيحسبون أن مايرونه هو الوجود ؟.

ـ بالضرورة .

ـ ماذا يكون الامر اذن لو أن هذا السجن تردد فيـه صدى من الجدار المواجه لهم ؟ الا تظن انهم كلمـا صدر صوت عن واحد من الذين يمرون خلف المســجونين اعتقدوا أن الحديث انما يصدر عن الظلال التى تمـر امامهم ؟.

ـ لا شيءغير ذلك ، بحق زيوس .

ـ قلت : ان امثال هؤلاء المساجين لن يعتقدوا فى واقع الامر أن هناك شيئا حقيقيا سوى ظلال الادوات « التى يحملها العابرون » .

ـ قال : بالطبع هذا أمر ضرورى .

قلت : تتبع اذن بنظرتك كيف يفك هؤلاء المسجونون من قيودهم ويشفون فى نفس الوقت من فقدان البصيرة ، وتفكر عندئذ كيف تكون طبيعة فقدان البصيرة هذه ان حدث لهم مايلي . كلما فكت السلاسل عن احدهم واجبر على الوقوف علي قدميه فجاة والالتفات برقبته والسير قدما والتطلع للنور ، فلن يقوى على ذلك الا اذا عانى الما « شديدا » ، ولن يستطيع من خلال الوهج ان ينظر الى تلك الاشياء التى رأى ظلالها من قبل . « لو حدث له كل ذلك » فماذا تحسبه يقول أن أخبره أحد بأن مارآه من قبل لم يكن الا عدما ، وانه الان اقرب الى الوجود ، وان نظره أكثر صوابا لانه يلتفت الى ماهو اكثر وجودا ؟ ولو ان أحدا عرض عليه الاشياء التى مرت عليه واحدا بعد الاخر واضطره ان يجيب عن سؤاله عما هو هذا الشيء ، الا تعتقد انه سيحار كيف يرد عليه وانه سيعد ما رآه بعينيه من قبل أكثر حقيقة مما يعرض عليه الان ؟ .

ـ بالطبع .

ـ واذا أجبر احد على النظر الى النور « المنبعث من النار » ، الن تؤلم عيناه ويتمنى أن يحولهما عنه ويفر الى مايقوى على النظر اليه ويعتقد أن مارآه اوضح فى الواقع بكثير مما يعرض عليه الان ؟.

ـ الامر كذلك .

ـ قلت : واذا حدث أن جذبه احد بالقوة من هناك وشده على الطريق الوعر « الى خارج الكهف » ولم يتركه قبل ان يعرضه لضوء الشمس ، الن يشعر عندئذ بالالم والسخط : اذن يحس ، وقد وقف في نور الشمس ، بأن عينيه قد بهرهما الضوء الساطع ، وانه لن يكون في وسعه أن يرى شيئا مما يقال له الان انه حق ؟.

ـ لن يقوى ابدا على ذلك ، او على الاقل لن يقوى عليه فجاة .

ـ اعتقد أن الامر يحتاج الى التعود اذا كان عليه ان يرى ماهناك « اى خارج الكهف في ضوء الشمس » وسيتمكن في اول الامر « نتيجة لهذا التعود » من النظر في يسر شديد الى الظلال ، وسيكون في وسعه بعد ذلك أن يرى صور الناس وبقية الاشياء منعكسة على صفحة الماء ، حتى يتمكن أخيرا من رؤية هذه الاشياء نفسها « اى الموجودات الحقيقية بدلا من انعكاساتها » . الا يكون في وسعه ان يرى من بين هذه الاشياء مايتجلى منها في قبة السماء كما يرى السماء نفسها ، وان تكون رؤيته لها بالليل حين يتطلع ببصره الى ضوء النجوم والقمر أيسر من رؤيته للشمس وضوئها بالنهار ؟.

ـ لاشك في ذلك .

ـ اعتقد انه سيتمكن آخر الأمر من النظر الى الشمس نفسها لا الى صورتها المنعكسة في الماء او حيثما ظهرت فحسب ، وسيتمكن من النظر الى الشمس نفسها كما هى عليه في ذاتها وفي الموضع المحدد لها ، لكى يتأملها ويتعرف طبيعتها .

ـ من الضرورى أن يصل به الامر الى ذلك .

ـ وبعد أن يبلغ ذلك سيكون في مقدوره أن يجمل

القول منها « اى عن الشمس » فيعرف أنها هى التى تضمن « تعاقب » فصول السنة كما تضمن « مر » السنين وتتحكم فى كل ماهو موجود الان فى محيط الرؤية ، بل انها علة كل مايجده اولئك « المقيمون فى الكهف » حاضرا امامهم على نحو من الانحاء .

ـ واضح انه سيصل الى هذا « اى الى الشمس وما يستضيء بنورها » بعد ان تجاوز ذاك « اى ماكان ظلا وانعكاسا فحسب » .

ـ ماذا يحدث اذن لو تذكر سكنه الاول وتذكر المعرفة التى كانت سائدة فيه والمساجين الذين كانوا معه ؟ الا تعتقد انه سيسعد بهذا التغيير الذى حدث له بينما يأسف لاولئك ؟.

ـ اسفا شديدا .

ـ فاذا حدثت فى المكان القديم « بين من كانوا يقيمون فى الكهف » جوائز والوان معينة من التكريم لكل من يرى الاشياء العابرة رؤية حادة ، ويتذكر مايمر منها فى المقدمة ثم مايتبعها او يتفق مروره معها فى وقت واحد ويكون أقدرهم على التنبؤ بما سياتى فى المستقبل قبل غيره ، اتعتقد انه « اى ذلك الذى غادر الكهف ورأى نور الشمس والحقيقة » سيحس الشوق اليهم « اى الى الذين لايزالون فى الكهف » لكى يتنافس مع الذين يضعونهم موضع التكريم والقوة ، أم تعتقد معى « على العكس من ذلك » انه سياخذ نفسه بما يقول عنه هوميروس « من خدمة رجل غريب فقير » وسيحتمل كل مايمكن احتماله ويؤثره على اعتناق الاراء « التى يؤمنون بها فى الكهف » والحياة كما يحيون ؟ .

ـ اعتقد انه سيفضل ان يحتمل كل شيء على ان يحيا

تلك الحياة « التي يعيشونها في الكهف » .

ـ قلت : والآن تفكر في هذا : او حدث لذلك الذي خرج على هذا النحو من الكهف ان هبط اليه مرة أخرى وجلس في نفس المكان « الذي كان يجلس فيه » ، ألن تمتليء عيناه بالظلمات بعد رجوعه فجــأة من رؤية الشمس ؟ .

قال : طبيعي جدا ان يحدث له ذلك .

ـ فاذا عاد الى الجدال مع المقيدين الدائمين هنــاك حول الآراء المختلفة عن الظلال ، في الوقت الذي لاتزال فيه عيناه تعشيان « من الضوء » قبل أن تعودا سيرتهما الاولى ـ الامر الذي سيستغرق منه زمنا غير قليل حتى يتعود عليه ـ الا تعتقد انه سيعرض نفسه للسخرية وانهم سيحاولون اقناعه بأنه لم يغادر الكهف الا ليرجع اليــه بعينين مريضتين ، وأن الأمر لا يستحق أبدا أن يشـــق الانسان على نفسه بالصعود الى هناك ؟ واذا حاول أحد أن يمد يديه ليفك عنهم قيودهم ويصعد بهم الى أعلى ، « الا تعتقد » انهم لو استطاعوا أن يمسكوا به ويقتلوه فسوف يقتلونه حقا ؟

ـ قال : يقينا سيفعلون ذلك . (1)

---

(1) الجمهورية ، الكتاب السابع ، من ٥١٤ أ ـ ٢ الى ٥١٧ أ ـ ٧ ، الترجمة العربية للدكتور فؤاد زكريا من صفحة ٢٤٦ الى صفحة ٢٤٩ ـ وقد تكرر هذا الجزء من المحاورة في مقال عن كهف افلاطون من كتاب مدرسة الحكمة (ص ٣١ ـ ٤٥) وفي دراسة هيدجر عن نظرية الحقيقة عند افلاطون التي قدمتها في كتابي «نداء الحقيقة» (ص ٣٠٣ ـ ٣٥٩) ـ ووجدت من الضروري الاستشهاد به في هذا السياق ..

ـ مامعنى هذا الرمز ؟ ماذا يقصد افلاطون بهـــذه الحكاية ؟ انه يتولى الجواب بنفسه ، يقوم بتفسيرها بعد الانتهاء من روايتها مباشرة « ٥١٧ أ ، ٨ الى ٥١٧ د ، ٧ » .

ـ فالمسكن الذى يشبه الكهف هو صورة « المقر الذى يتبدى للنظر كل يوم » . والنار المتوهجة فى الكهف ، فوق رءوس سكانه ، هى « صورة » الشمس . وقبة الكهف تمثل قبة السماء . تحت هذه القبة يعيش البشر مرتبطين بالارض مقيدين بها . كل مايحيط بهم ويشغلهم هو بالنسبة اليهم « الواقع » او الموجود . فى هـذا المسكن الشبيه بالكهف يحسون انهم « فى العالم » ، يشعرون أنهم « فى بيتهم » ، يجدون كل مايثقون فيه ويعتمدون عليه .

ـ هذه الانواع المختلفة من التطابق بين الظلال والواقع الذى يجربه الانسان كل يوم ، بين انعكاس النار فى الكهف والنور الساطع الذى يغمر الواقع القريب المألوف بين الاشياء الموجودة خارج الكهف والمثل ، بين الشمس ومثال المثل ـ هذه الانواع المختلفة من التطابق لا تستنفد مضمون الرمز . فهو يروى لنا أحداثا ولا يقتصر على بيان الاماكن التى يقيم فيها الانسان داخل الكهف وخارجه . والاحداث التى يصورها هى مراحل انتقال من ظـــلام الكهف الى ضوء النهار يعقبها الرجوع من ضوء النهار الى ظلام الكهف ـ هى فى الواقع مراحل انتقال مـــن

مستوى للمعرفة الى مستوى أعلى منه ، من مفهـــوم غامض عن الحقيقة الى مفاهيم أخرى اكثر وضوحا .

ـ في المستوى الاول يحيا البشر في الكهف مقيـدين بالسلاسل والاغلال ، اسارى التعود على القـــريب والمألوف ، أنهم يعيشون في عالم « الكلمات » ، وهـو العالم الذى ينشأ فيه الانسان بالطبيعة ، ويقيد بالنظم والعلاقات الاجتماعية . هذا العالم يولد فيه الانســان ويستسلم له . بل ان الناس جميعا تحيا فيه على نحـو سلبى ، اشبه بعبيد مغلولين ، تحملهم سفن الرق الى هدف مجهول . قيدوا من أعناقهم وسيقانهم بالسلاسل ؛ طرحوا في كهف سفلى مظلم ، لا يستطيعون ان يلتفتوا وراءهم ، لا يرون الا الظلال التى تتحرك على جدار مواجه لهم ، لا يسمعون غير الاصداء التى تصل الى آذانهم ، لا يدرون أن هذه الظلال والاصداء ليست سوى ظـلال واصداء .. هم فى مرحلة خداع الكلمات ، مرحلة الظن او التخمين « ايكازيا » (١) ، يحيون فيها منذ الطفولة ، وقد يعيشون فيها ويموتون ضـــحايا الســفسطة والسفسطائيين ، والجهال والدجالين .. هذا العالم هـو نسخة كل النسخ على الاطلاق ..

ـ في المستوى الثانى يحدثنا « الرمز » عن الخلاص من القيود والاغلال . فقد يتحرر أحد المسجونين أو يحرره أحد . سيمكنه أن يتلفت برأسه ويحرك رقبته وساقيه . وستؤلمه حركة أعضائه ، لاسيما اذا نهض واقفا على قدميه

---

(١) — Eikasia

ومشى على الطريق الذى كان مدخله يقع فى ظهره وظهر زملائه المساجين « وهو الطريق المؤدى الى أعلى والى خارج الكهف » . وستؤلمه ايضا عيناه لانه سيرى نارا صناعية مشتعلة وراء ظهورهم ، وسيدرك انها علة الظلال التى تسقط على الجدار المواجه لهم . وسيصبح « اكثر اقترابا من الموجود » الجمهورية ٥١٥ د ، ٢ » لانه سيشاهد موكب الممثلين العابرين على الطريق الممتد بين النسار والمساجين ، وسيعرف ان اشكال هؤلاء الممثلين وادواتهم هى الظلال التى كان يراها معهم ، وان اصواتهم هى الاصداء التى كانوا يسمعونها . وسيفرح لانه يرى الان بشرا حقيقيين ومدركات واقعية ، بدلا من رؤية الظـلال « نسخ الاشياء » وسماع الاصداء « نسخ الكلمات » . اخذت الاشياء الاصلية الواقعية تعرض نفسها كما تعرض ظلالها على ضوء النار المشتعلة داخل الكهف . فاذا اتفق للعينين ان تقعا على الظلال ، غشيت هذه الظلال على البصر وحجبت عنه رؤية الاشياء نفسها . عندئذ يمكن ان يعتبر ان ماكان يراه من قبل — اى الظلال — اكثر تكشفا ووضوحا او اكثر حقيقة (١) مما يظهر له الان « نفس الموضع السابق من الجمهورية » . وربما حن للرجوع الى حالته الاولى حيث لم تكن تؤلمه الحرية ولا كان نور المعرفة يعشى عينيه ، بل كان سعيدا بتقبل اصداء الكلمات التى تصل اليه بغير مقاومة ، قانعـا بمشاهدة الاشباح والظلال ، بل بمشاهدة نصفها الاعلى

---

(١) Alethestera — (من Alethes اى الحق او المتكشف اللامحتجب فى تفسير هيدجر) .

وحده ! ولعل هذا الاحتمال الثانى ـ كما يقول افلاطون ـ هو الارجح . لان معظم الناس لا يعرفون شيئا فى حياتهم ولا يريدون ان يعرفوا شيئا ، ولهذا قلما يتحرر واحد من كهف المسجونين ، واقل منهم من يقطع طريق المعرفة فى مرحلته الثانية . .

ـ توصل السجين المتحرر فى هذه المرحلة الى شىء من الحرية ، ولكنه لم يبلغ الحرية الحقيقية بعد . فلايزال حبيسا داخل الكهف ، ولا يزال يتصور أن الظلال التى تغشى بصره وتحجب عنه رؤية الاشياء اكثر وضوحا من هذه الاشياء نفسها . فهل سينجح فى تحويل بصره من الظلال الى النار والاشياء التى تظهر على ضوئها ؟ هل ستتحول نفسه بعد أن تحولت عينه وسائر أعضائه ؟ هل سيكون لديه الصبر أو الجهد اللازم لانقاذ نفسه من هذه الحال وتعويدها على حال أخرى ؟.

ـ ان المتحرر لم يتحرر بعد تماما . فهو يدرك الواقع المحسوس ، يعرف بعض القوانين التى تتحكم فيه « كالمعية والتتابع حين يشاهد الممثلين المتجولين ـ على باب الله ! عند حضورهم وانصرافهم ، وحين يلاحظ تسلسل الاحداث والظواهر وفق نظام معين ، ويتنبأ بما يتبعها ويترتب عليها » هذه المرحلة والمرحلة التى سبقتها ترمزان للانسان الذى يعيش فى عالم التجربة ، عالم الاشياء والمحسوسات والمرئيات ، والمكان والزمان والضرورة . هو ـ فى اصطلاح افلاطون ـ يحيا فى مستوى الادراك الحسى « أيستيزيس » (١) والرأى المبنى

---

(١) --- Aisthesis

على الظن « دوكسا » (١) وخبرة التجربة « امبيريا » (٢) القائمة على المعرفة بالتتابع والمعية والقوانين العلية « وكلها ضد المعرفة العقلية بالتصورات والمفاهيم — ثونزيس — (٣) والعلم اليقيني الثابت — ابيستيميه » (٤) ولكنها ضرورية ضرورة اللغة والادراك الحسى ، لابد من البدء بها للوصول الى المعرفة الحقيقية ؛ من المستحيل تجاوزها وتخطيها . لكن من يبقى فيها لن يمكنه أن يخرج من كهفه ؛ من يستسلم لاغرائها لن ينفذ من عالم الظواهر الى عالم الحقائق « بتعبير كانط ! » ؛ لن يتجاوز نقص التربية والاستثارة او التكوين « أبايدويزيا » (٥) الى التربية الحقة ، وهى الهدف الاصلى كما حدده رمز الكهف . .

— فمتى تتحول نفس الانسان بكليتها ؟ ومتى تتكون أو « تتربى » التربية الحقة ؟ ومتى تبلغ عتبة ماهو حق ؟ بل ماهو أكثر حقيقة وتكشفا ووضوحا ؟ (٦) « الجمهورية ٤٧٤ حـ ، ٥ ومابعدها » .

— عندما تصل الى المستوى الثالث فتدخل مرحلة الحرية الرحبة ، والمعرفة المطلقة . والحقيقة الناصعة .

---

(١) — Doxa
(٢) — Empeiria

(٣) — Noesis
(٤) — Episteme
(٥) Apaideusia —
(٦) Alethestation

انطلق المسجون الى خارج الكهف ، حطم آخر اغلاله ، لكن هل يكفي تحطيم القيد لكي يكتسب الحرية ؟ ان الحرية لا تبدأ الا بالتحول نحو الاكثر حقيقة وظهورا ، اى نحو المثل . واذا كانت تربية النفس هي « الاعداد لتحويل اتجاه الانسان بكليته وفي صميم ماهيته » فانها لا تتم الا في هذا الافق المضيء ، حيث الشمس « مثال المثل » تفيض الدفء وتهب الخير ، اى تمنـــح كل الموجودات المقدرة على أن توجد .

ـ تلك هي الخطوة الحاسمة . غادر السجين كهفه ، امكنه ان ينتشل نفسه من عالم الحس المشترك والرأى الشائع « والموقف الطبيعى » ، أخذها بالصبر والجهد على التحول بكليتها نحو الموجود الحق .

ـ لم يعد هناك ضوء صناعي شاحب ، بل نور الشمس في وضح النهار . لم تعد هناك ظلال واصداء ، بل واقع حقيقي وطبيعة حية . الانتقال هنا أشد ايلاما مما سبقه ، لان رؤية الوجود الاصلى تؤلم العين التي لم تتعود الرؤية بعد . واين ألم العين التى رأت النار الصناعية بعد رؤية الظلال من ألم العين التى تتطلع الآن الى نور الشمس ؟.

ـ لا مفر اذا من ان يعود نفسه على توجيه البصر الى الارض « وهذا هو المستوى الثالث » قبل أن يرفعهـا الى السماء وينظر للشمس نفسها « وهو المستوى الرابع » . سيمكنه في الحالة الاولى ان يرى كل مايزدهر وينمو في ضوء الشمس ودفئها . ولان « التحول الكلى » لم يتم بعد ، فمن الانسب لعينه ونفسه ان ينظر الى ظـلال الاشياء قبل أن يستطيع التعود على رؤية الاشياء نفسها،

ان يرى انعكاس النجوم فى الماء قبل ان يرفع بصـــره للنجوم . انه يستضيء بنور الشمس والنجوم « التى تعبر عن المثل » ، ولكنه لايزال عاجزا عن رؤية المثل الاصلية ؛ ولهذا يكتفى بادراك نسخها او صورها على هيئة تصورات او مفاهيم . فانعكاس النجوم على سطح الماء يعبر عـن انعكاس المثل فى التصورات والمفاهيم ، وكل ما يزدهـر وينمو فى ضوء الشمس يعبر عن آثار العلة الوجـودية « او الخير المطلق » على الارض . انه يقف الان على حدود العلم الجزئى ، ومعرفته معرفة وسط بين المعـــرفة التجريبية « العلية » والمعرفة العقلية « الماهوية » . وهى تتم بطريقة رياضية ــ فرضـــية استنباطية ــ ، وتستخلص المفاهيم « كالتساوى والتدوير والاستقامة وسائر النسب والعلاقات » من الاشياء الحسية . ولهذا تتجه من اعلى الى اسفل ، ولهذا ايضا سماها معـــرفة الفهم (١) « ديانويا » ليفرق بينها وبين معرفة العقل(٢) « نؤزيس » التى ترتفع الى أعلى . فالفهم استنباطى ، والعقل جدلى « أن جاز لنا أن نطبق هنا اســـتخدام كانط . . » .

ــ اذا كانت المعرفة التجريبية استقرائيـــة تسير من الجزئى الى الكلى ، بحيث يعتقد التجريبى أن فى أمكانه الوصول من الحالات الفردية الى القوانين العـــامة ، فالرياضى على العكس منه يبدأ من العام « من فكرة المثلث او الزاوية أو الخط المستقيم او المنحنى » ليهبط الى

---

(١) Dianoëtic (٢) Noëtic

الموضوع الخاص « كالمثلث الواقعى مثلا » . واذا كان التجريبى يقول : الدائرة المرسومة هى الدائرة الحقيقية، وما كلمة الدائرة الا اصطلاح رياضى متفق عليه ، فان الرياضى يقول : تعريف الدائرة يحددها ويعين ماهيتها ، اما الرسم فنسخة منها قد تقترب من الحقيقة أو تبتعد عنها . ولهذا فمنهجه كما تقدم فرضى استنباطى يصل الى نتائج عيانية حسية . وهو يجرد ويتوسط بين العالمين المحسوس والمعقول ويحقق المشاركة بينهما ، ولهذا أيضا كانت الرياضة هى هدية الآلهة للبشر . ولقد تلقى افلاطون هذه الهدية فى رحلته الكبرى حيث تعلم من اصدقائه ـ الفيثاغوريين والايليين ـ ان الرياضة تحقق المعجزة لانها الوسيط او « الثالث » الذى يقيم الجسر على شفا الهاوية فيربط بين عالمى الحس والعقل .

ـ ويختتم افلاطون رمز الكهف بقوله : « وفى آخر الامر يتمكن من رؤية الشمس لا مجرد انعكاس ضوئها فى الماء ولا فى موضع آخر غير الموضع الخاص بها ـ الشمس نفسها فى واقعها الكامل وفى مكانها ويتمكن من تأمل طبيعتها . وسيستطيع بعد ذلك عن طريق الاستنتاجات الصائبة ان يتبين انها هى التى تضمن تعاقب الفصول وتتحكم فى العالم المرئى كله ، كما هى بمعنى من المعانى اصل كل مارأوه من قبل » .

ـ من قبل . . أى على الطريق الطويل الذى يسير من الكلمات الى الانطباعات والتجارب الحسية الى التصورات والمفاهيم حتى يصل الى المثل . فاذا بلغ نهاية الطريق وجد نفسه فى مجال العقل الخالص ، يتحرك حرا بين « الاصول » والنماذج الاولية للتصورات

والظواهر ، بين المثل او الموجودات الحقة ذاتها !

ـ انه الان في المستوى الرابع من رحلته الجدلية . بلغ نهاية درب شاق ، وصل الي آخر درجات السلم ، نفذ من الموج الهادر بالظلمات الى نور الحق الغامر ، نور العلم المطلق والخلاق . انه الان لايضطرب بين المحسوسات ، لا يبدأ من الفروض بل يناقشها ويسأل عن مشروعيتها . يناقش مثلا فكرة المساواة فيسألها : أانت فكرة هندسية ام حسابية ام اخلاقية أم سياسية ام من نوع آخر ؟ ثم يقفز الى فكرة المساواة في ذاتها ، فهي الاصل المشترك الواحد لكل الوان المساواة . الفرض عند صاحب الفهم سقف ، اما عند صاحب الجدل فأرضية يبدأ منها الصعود . هل معنى هذا ان منهجه يرجع للوراء ؟ نعم . ولكن ليصعد الى اعلى ليقيم اخيرا في مملكة العقل ، بين « نجوم المثل » ، ينابيع العلم الحق .

ـ هكذا مضى به الطريق من الظلال الممزقة الى نور الشمس الخالص ، من تقبل الكلمات الجوفاء بلا مقاومة الى « الرؤية » السامية لمثال المثل ، مثال الخير المطلق ، من شبه حياة يحياها شبحا بين اشباح في عالم سفلي كالجحيم ، عالم رطب وكئيب محروم من النور ، الى حياة حقيقية تستضيء بشمس الحقيقة :

ـ اوضح مثل يكشف عن هذا هو رمز الخط المرتبط برمز الكهف :

اصل « أيدوس » (١)   نسخة « أيدولون » (٢)

---

(١) Eidos   (٢) Eidolon

« أ »　　　　«ب»

ـ أ ، ب يملأن العالم المحسوس والعالم المعقول على الترتيب : الاول نسخة ناقصة من الثانى ، والنصف الاول من كل منهما نسخة من نصفه الاخر .

ـ في « النسخة » نجد التخمين والظن عن طريق سماع الكلمات ورؤية الظلال والحصول على معرفة بالنسخ ، كما نجد الادراك الحسى والمعرفة التجريبية التى نتلقاها من عالم النبات والحيوان وكل ماصنعته يد الانسان . وفى « الاصل » نجد « الفهم » عن طريق التصورات ، والفنون والمهارات والعلوم الخاصة التى نتعامل بها مع الاشياء وتقوم على الرياضيات . نحن هنا اقرب الى المناهج الفلسفية فى الوصول للمعرفة ، ولكنها تظل مرتبطة بالعالم المحسوس وبالمعرفة الغالبة عليه ، لانها تبدأ من فروض لم نتحقق من صحتها . واخيراً نجد المعرفة العقلية عن طريق الرؤية العقلية والاستبصار بوجود المثل او حقائق العلم ونماذجه :

ـ من الظن والتخمين « أيكازيا » ـ الى الاعتقاد والتجربة « ايستشيزيس » ـ ألى الفهم « ديانويا » الى التعقل « نؤيزيس » . ومعرفة الله « مثال المثل ،الخير المطلق » وراء حدود التقسيم . مع هذا فهو الطاقة المحركة الكامنة فى كل مراحله ، لإنه هو الذى يضمن المشاركة بينها ، وهو علة كل ماهو خير وجميل » .

ـ كل قسم من اقسام الخط نسخة من القسم الذى

بليه ، والحياة داخل الكهف نسخة من الحياة خارجه . بين النسخة والاصل تناقض حاسم ، ثنائية مطلقة ؛ هوة فاصلة . لن تتحد النسخة مع الاصل ابدا . ومع ذلك فبينهما تشابه بجانب التناقض ، وتناسب بجانب الثنائية : اذ لو كانت النسخة منقطعة الصلة بالاصل ، فكيف تكون « نسخة »منه ؟.

ـ طريق مضنى شاق . لن يفهم سر مشقته الا « العارف » ، الا « المنقذ » . ليست مسالة تطور يبدأ من مرحلة اولى ليتم بعد ذلك من تلقاء نفسه ، اذ لن يعرف مقدار الالم ولا مقدار الصبر ، الا من عاناه وقطعه الا من صعد عليه . لابد من الاستعداد لمن يتصدى لمناء الرحلة ، اذ لن يعرف معنى الخير سوى الخير ، والخير ليس انانيا . فالسلم مازال امامه ؛ لن يطرحه ، لن يستغنى عنه . سيعود ليهبط درجاته ، هل يمكن ان يستأثر بالخير لنفسه ، ان ينسى أصحاب الاسر ، رفاق السجن السفلى ؟ ان الطريق طريق التربية ؛ والمربى يفترض من يتربى على يديه . التربية تحرير وانقاذ . فكيف يكتفى بتحرير نفسه وانقاذها ؟.

ـ لن تنتهى « قصة » الكهف بالنهاية التى يحلو لبعض الناس أن يتخيلوها . لو كانت مسالة معرفة لما كان هناك داع للمرحلة الخامسة والاخيرة . لو كانت التربية مجرد « صب » المعلومات فى وعاء النفس ماكانت له ضرورة . لكنها تجاوز مستمر لنقص التربية ، تحويل اتجاه الانسان بكليته وفى ماهيته ، هى ـ بتعبيرنا الحديث ـ صراع ومسئولية والتزام .

ـ والمسئولية تفترض من نكون مسئولين عنه ومن اجله

والالتزام لا معنى له بغير من نلتزم بهم وفي سبيلهم . ولو اكتفى السجين المتحرر بالخروج من الكهف لاصبح الرمز كله بلا معنى ، واصبح أفلاطون مثاليا هاربا من العالم ، كما يتصور الكثيرون الذين يسيئون فهمه ويظلمونه .

ــ لو صح هذا الفهم الخاطيء الظالم لبطلت فلسفة افلاطون كلها ، لا رمز الكهف وحده . انها فلسفة متطورة حية ؛ هي في صميمها « طريق » يصعده « العارف » بالحب وبالشوق ، يخطو فيه « بحوار » سمح حر . المعرفة لا تنفصل فيه عن الوجود ، وكلاهما لا ينفصل عن العدالة . واذا قنع العارف بالمعرفة ، فهل سيكون لفلسفته معنى ، وجوهرها ــ كما علمنا ــ هو الانفصال بين عالم الصيرورة وعالم الوجود والمشاركة التى تقرب بينهما بقدر الطاقة ؟ هل سيكون للعارف نفسه مكان فيها ؟ كيف سيمكنه ان « يعرف » أن لم « ينقذ » ؟ مابعد افلاطون عن العلم المترف ! ما ابغض هذا العلم لذات العلم الى نفسه ! حكم عليه « ديونيزيوس » أن يحبس فى برج عال ، لكن رفض الفكر ورفض القلب ، ان يسكن سجنا من عاج او من طين ..

ــ هبوط السجين المتحرر الى الكهف ورجوعه الى زملائه المقيدين بالاغلال جزء متمم للحكاية التى يرويها الرمز . ليس مجرد فصل فيها أو حادثة ، بل هو قمة كل الاحداث وغايتها . انه يرى الان من واجبه ــ بعد ان اطلع على المثل وعرف ــ ان يحول عيونهم عما يتصورونه حقيقة الى الاكثر حقيقة ، أن يساعدهم على « انتزاع » الحق من الباطل ، والنور من الظلام ، والعلم من الظن ،

والواقع من المظهر . غير ان التحرير لا يتم بسهولة .
والسجين لايدري انه سجين ، والناس تطمئن الى
« الحقيقة » التي تتصور انها ثابتة الاساس والجدران
كالبيوت التي تسكنها وتطمئن اليها . هي اذا مغامرة .
وعلى العارف ان يكون مستعدا لمواجهة الخطر المحدق
بحياته . سيحاول ان يخلصهم من قبضة « الحقيقة »
السائدة هناك ، وسيكون هو نفسه عرضة للوقوع تحت
سيطرتها . سيكافح لانتشالهم من قيد الواقع المألوف
والحس المشترك ، وسيصبح هو نفسه مهددا بالاستسلام
له والخضوع لسلطانه الازلي . بل سيشعر بانه مهدد
باحتمال قتله ؟ وهو احتمال تحول ويتحول كل يوم الى
واقع ،كما نعلم من قدر سقراط الذي « علم » افلاطون
والاثينيين . فلقد حاول هو ايضا ان « ينقذهم » من
« الحقيقة » الزائفة التي اطمانوا اليها ، أن يساعدهم
على مناقشتها والتساؤل عنها . لكن أثينا كانت تنهار :
عجز الناس عن « الدهشة » ، خافوا كل « جديد » ؛
ركنوا « للتقليد » : ضاقوا بنداء الطيف الحافي في طرقات
اثينا ، بعثوه لمسامرة الاطياف الاخرى في « هاديس ».
شرب السم وبدأ سقوط اثينا . فاعتبري ايتها المدن
الساقطة باحضان الزيف !..

كان حتما على رمز الكهف ان ينتهي بانتزاع الحقيقة
من حجب الباطل ، والنور من ثنايا الظلام . لهذا كان
تخليص « السجين » من الكهف ووضعه في مجال الحرية
صراع حياة أو موت . ولو لم يكن التحرير والانقاذ هو
الهدف من هذا الرمز لما كان لتصوير الكهف المغلق في
القبو المظلم اية قيمة ؟ ولا كان هناك معنى للصور الموحية

... : النار والضوء المنعكس منها ، والظلال ونور النهار الساطع ، وضوء الشمس والشمس نفسها ..

ـ ان داخل الكهف وخارجه متضادان تضاد المظهر والوجود ، وظلام « هاديس » ونور الحياة ، وزيف السفسطة وصدق الخبرة والعلم . أحدهما نسخة من الاخر : النار الصناعية من الشمس ، والممثلون وادواتهم من الواقع الخارجي ، وعلة الاشباح والاصداء من العلة الحقيقية للوجود والمعرفة في عالم النور ، تطور الانسان من الكلمات الى التجربة نسخة من المعرفة التي تسير من المفاهيم الى المثل في عالم العقل . بين النسخة والاصل تناقض ، بينهما هوة ، والمعنى كل المعنى في نفس الانسان نفس العارف ـ لا الدجال ـ تقرب بينهما ، تطبع اختام العلم على جسد الواقع ، ويحب الحكمة تبني جسرا بينهما والحكمة تحب ..

ـ حتى لو انكرنا وجود المثل الواقعي ـ كما فعل ارسطو ـ فسيبقى دور النفس ودور العقل ، وسيبقى العبء الابدي ، عبء « العلم » لينقذنا من كهف الجهل ، وسنحمل هذا العبء الاكبر : تحقيق العدل .

ـ لكن كيف واين ؟ في الدولة . من يحمله ؟ المنقذ . فعندما تجتمع الحكمة والقوة وتتحد الرؤية مع السلطة ، عندما تأذن المشيئة يظهر الملك الفيلسوف « الكتابان الخامس والسادس من الجمهورية » سيكون هنالك أمل في « انقاذ » الجنس البشري من البؤس ، في انقاذ الواقع واشراكه في عالم العقل « الكتابان السادس والسابع من الجمهورية والرسالة السابعة » .

ـ ان يتحد العلم مع العزم ؟ ان يتلاقى العارف والثائر هل يمكن ان يجتمعا في انسان ؟ .

ـ لابد من المعجزة الكبرى . والمعجزة ستنسجها كف الصدفة . والصدفة طيبة (١) حين يشاء الله ويجرى الحظ على سنن القدرة ...

ـ من يعطينا شمعة امل في ظلمات اليأس المطبق ؟ اين ؟ متى يجتمع العلم مع الثورة والعاطفة مع المنطق ؟ اترانا نخدع انفسنا بالوهم المطلق ؟ ونظام العدل « الممكن » هل يتحقق ؟ ام تبقى عين الحلم مسهدة والجفن مؤرق ؟ لم ننتظر وقد يأتي او لا يأتي ؟ قد ينجح في مسعاه او قد يخفق ؟ ماذا لو ينقذ كل منا نفسه ؟ يخرجها من ظلمات الكهف واسر الرق ؟ ويشيد مع اخوته بيت العدل ومدن الحق ؟! .

Agathe Tyche

إنقاذ الدولة

ـ « مالم يصبح الفلاسفة ملوكا على المدن ، او يبدأ اولئك الذين يسمون الان ملوكا وحكاما في التفلسف الحقيقي ، ومالم تتجمع السلطة والحكمة في شخص واحد ، ومالم يصدره من جهة اخرى ، قانون صارم يقضي باستبعاد اولئك الذين تؤهلهم مقدرتهم لاحد هذين الامرين دون الآخر من ادارة شئون الدولة .. » .

ـ ماذا لو لم يحدث شيء مما تقوله العبارة المشهورة ؟

ـ مالم يحدث ذلك كله ، فلن تهدأ ، ياعزيزي جلوكون حدة الشرور التي تصيب الدولة ، بل ولا تلك التي تصيب الجنس البشري بأكمله » « الجمهورية ٣٧٣ جـ د ، ٤٧٣ ٤٩٩ د » .

ـ « ولن يتخلص الجنس البشري من البؤس حتى يصل الفلاسفة الحقيقيون الاصلاء الى السلطة ، او يصبح حكام المدن ـ بفضل معجزة الهية ـ فلاسفة اصلاء « الرسالة السابعة ٣٢٦ د » .

ـ تعبير الملوك الفلاسفة او الحكام الحكماء يتكرر ذكره في الكتاب السادس من الجمهورية . وتكاد الرسالة السابعة « التي ثبتت صحة نسبتها الى افلاطون ، كما ثبت انه كتبها في العقد الثامن من عمره » أن تكون شهادة اعتراف بهذا الامل الذي ملأ عليه حياته ، واليأس الذي اصابه من اخفاقه في تحقيقه على ارض الواقع . وقليسبق له أن عبر في « برنامجه » الفلسفي الذي

أعلنه فى محاورة « جورجياس » « وهى اول ما الفه بعد ان اسس الاكاديمية واستقر به الراى على بذل حيـــاته وجهده للتعليم بدلاً من تبديدهما فى مغامرات لا جدوى منها . . » عن فكرته الصحيحة عن الدولة بعد مقارنتها بالطبيب الذى يعلم ماهية الصحة والاسباب الحقيقيـــة التى تؤدى اليها أو تذهب بها ، على خلاف الطباخ الذى لا يعرف الا فن الطعام الجيد المذاق فحسب . فالسياسى الحق هنا يلجأ لوسائل أخرى غير وسائل القهر والعسف .

ــ لكنه فصل هذا كله فى الجمهورية وقدم لنا تصوره عن نموذج الدولة . لم يغب عنه أنه مثل أعلى من الصعب ، ان لم يكن من المستحيل ، تحقيقه . انها الدولة التى تحقق فكرة العدالة فى عالم المكان والزمان والضرورة ، عالمنا التجريبى المتغير ، بقدر ماتسمح فكرة « المشاركة » بتحقيقها على الارض . ولا تتضح فكرته عنها حتى يتضح رأيه فى ترتيب الطبقات الثلاث التى تتألف منها ، وهى طبقة الحكام ، والحراس ، والفلاحين والصناع والتجار . وتتحقق العدالة الى أقصى قدر ممكن عندما « تقوم كل طبقة بواجبها » ، اذ لو فعلت كل منها ماتريد لسادت الفوضى وعم الاضطراب . واذا أرادت الدولة ككل ان تظل حية فلابد أن تحافظ على هذا الترتيب المناسب لها ، اى ان تحافظ على روحها . كيف يتم هذا الترتيب ؟ بتقسيم واجبات كل طبقة حسب المبدأ الاول للفلسفة : فكل معرفة تفترض ان اللامعرفة مناقضة لها . ولهذا فلابد للدولة أن تفرق منذ البداية بين اولئك الذين عرفوا المبدأ الاسمى ــ وهو أن يقوم كل انسان بواجبه ، أن

يشغل المكان الذى تؤهله له قدراته — وبين اولئك الذين لم يعرفوه ...

— لن نبدأ اذا بالدولة المثالية ، بل سنحاول أن نعرفها بضدها . اذ لو شئنا الدقة لقلنا انه لا يصور مثال الدولة العادلة الخيرة ، لانه يقدم الصورة المقابلة عن الدولة الظالمة السيئة . ولو اراد ان يقدم ذلك المثال لما امكنه ان يفعل ، لان عالم المثل لا ينطـــوى الا على الخير . اما حيث توجد « النفس » فلابد ان يوجد الخير والشر معا لان النفس هى التى تختار بينهما . ولما كان للدولة «نفس» أو لما كانت صورة مكبرة من نفس الفرد ؛ فلابد أن يوجد نموذجان للدولة الخيرة والدولة السيئة ، كمـــا توجد صورتان للعارف والدجال ، للمنقذ والطاغية المحتال .

— فلنبدأ بالضد الاسوأ حتى نتبين ضده . ولنعرف طبع الطاغية الحاكم فى الاموات الفانين ، قبـــل لقاء الكامل والقديس الموعود ، فى بلد تشرق فيها شـــمس العدل على البشر المدعوين الى مأدبة الود ..

— الدولة السيئة ليست كلا متحدا متجانسا . انما هى شيء ممزق ، دولة « بوليسية » ينفصل فيها الشعب عن الحكومة ، فيسيطر البعض ويأمرون ، ويخضـــع الآخرون ويطيعون . أما الدولة الخيرة فتكون فيهـــا الطبقات كلا متحدا متجانسا ، كيانا حيا عاقلا يعبر عن الحياة المنظمة المتالفة .

— والدولة السيئة تفتقر الى الوحدة ، فهى تضـــم الفقراء والاغنياء ، وهى فى حالة حرب دائمة مع نفسها ، ولهذا فمن السهل الانتصار عليها وغزوها من الخارج .

اما الدولة الخيرة فمتحدة ، لان حكامها الذين يعرفون « مثال » الوحدة يحرصون على تحقيقه فيها ..

ــ والدولة السيئة مريضة تفتقر الى الصحة ، لانها تستنفد طاقتها فى القضايا والمحاكمات بحيث يثرى المحامون من وراء المنازعات بين المواطنين . اما الدولة الخيرة فتتمتع بالصحة وتحيا فى تناغم وتجانس وانسجام أن الحراس يحافظون عليها ، والحكام يعنون بها كما يعنى أفضل الاطباء بمريضه . وهى تتميز فى مجال الاقتصاد بالاسعار الثابتة التى لا تقبل المساومة . اما فى مجال القضاء فان القانون يأخذ مجراه دون حاجة الى القضايا والمحاكمات ..

ــ ليس للدولة السيئة شكل ثابت ، لانها معرضة لمحاولات التغيير المستمرة التى تنجم عن السخط العام . اما الدولة الخيرة بشكلها الثابت الذى تستمده من ترتيبها فى ثلاث طبقات « تتفق مع الترتيب الثلاثى فى مجال الوجود : وجود ، وصيرورة ، وفراغ كونى ، او التقسيم الثلاثى لمجالات الكون : العقل « أو الفكرة » ، والنفس ، والعالم المادى » فقد يتغير دستورها من حين الى حين ، ولكن ترتيبها الثلاثى يظل ثابتا . وهى ليست بحاجة الى قوانين مدونة ، لان قواها تتجدد باستمرار فى حركة دائرية من المركز الى الاطراف ، اذ يعرف الحكام كيف يختارون الصفوة اختيارا دقيقا ، ويعلمون أى الطبائع من ذهب وأيها من فضة ..

(هؤلاء « العارفون » قد تلقوا التربية الصحيحة . ومهمة التربية فى رايهم تنحصر فى تنشئة طبقة « الحراس » بحيث يمثلون فى كيان الدولة العضوى

الحي ماتمثله قوة الأرادة العاقلة في كيان الفرد : القوة التي تعرف الواجبات وتحققها في وقت واحد . انهم يوفقون بين المحركة والارادة بالمعنى الذي فهمه سقراط .. »

هذه الطبقة التي يتحد فيها الجنود والمظفون هي التي يعتمد عليها بقاء الدولة الخيرة ، وهي التي تحفظها من السقوط والزوال . ان الحكام الذين يحتاج اليهم يختارون منها بدقة — على اساس الحكمة لا على اساس الارستقراطية — والحكام بدورهم يحرصون كما تقدم على تنشئة الحراس وتربيتهم على أكمل وجه ممكن . وتصرف الحكام مع هؤلاء الحراس يشبهه في النفس الفردية تصرف العقل الخالص مع الارادة العاقلة . فالحكام هم « العقل المدبر » (١) والحراس هم الارادة العاقلة (٢) . اما الطبقة الثالثة (٣) فهي التي تقوم بتغذية الطبقتين السابقتين وتعنى بأملاك الدولة . وهي وان كانت بطبيعتها تتجه للكسب والتملك واشباع الحاجات الضرورية ، فعليها مع ذلك أن تبلغ من العقل بقدر مايمكنها بلوغه » ..

— الدولة السيئة تتحكم فيها الشهوات ، فتصبح التجارة والبضائع غايات في ذاتها ، بينما يقضي الواجب بأن تكون مجرد وسائل ، وتتحكم المصالح ورءوس الاموال في تحديد طابعها فتفقد التوازن بين وظائفها . اما الدولة

---

(١) Hegemonicon
(٢) Logisticon
(٣) Alogon

الخيرة فتقوم على الطبقات الثلاث التى تعرف كل منها وظيفتها كما يعرف الفرد وظائفه ..

ــ والدولة السيئة تتيح الفرصة لظهور رذائل لا حصر لها . اما الدولة الخيرة فمن أهم واجباتهـــا ان تحقق الفضائل الاربع الاساسية ، وهى الحكمة التى تنشأ عن تدبير حكامها ــ والشجاعة التى تتكفل تربية الحـــراس برعايتها ، والعفة التى تأتى من التزامها الحد والاعتدال والعدالة التى تترتب على حصول كل مواطن على حقه مادام يؤدى واجبه ..

ــ من اين تأتى فكرة الدولة الخيرة ؟

تأتى حين يفكر الفيلسوف « او قل فى لغة اليـــوم : صاحب العلم والخبرة » فى مثل الوحدة والعـــدالة والصحة والانسجام .. الخ . ويبذل فى هذا التفكير اقصى مايمكنهبذله من جهد فى المشاركة ، ويحصـــل من هذه المشاركة على أقصى مايمكنه الحصول عليه من علم ومعرفة . هذا العلم هو الشرط الاساسى الذى لابد أن يتبعه تحقيق اقصى قدر ممكن من الحيـــوية والتنظيم والترتيب فى المجتمع البشرى .

ــلا يمكن أن تقوم الدولة بغير فلسفة تستند اليهـــا . فليست الدولة السيئة هى التى تخلو من الفلســـفة او تستغنى عنها ، بل هى التى تقوم على فلسفة فاسدة . ان الناس يفكرون باستمرار . واذا لم يفكروا تفـــكيرا صحيحا فهم يفكرون بالضرورة بطريقة فاسدة تؤدى الى الدولة الفاسدة . واذا لم يحكم الفيلسوف ؛ فلا مفر من

ان يحكم السفسطائي . هذا أمر تستلزمه طبيعة العالم الذي نحيا فيه « كما يحيا سجناء الكهف ! » . واذا لم يحكم « سقراط » ومعه العقل والفضيلة ، فلا مفر من ان يحكم امثال « كاليكيليس » ومعه البطش والعسف واذا لم تحكم نظرية المثل « او العلم الحق » صار الحكم للنزعة التجريبية « او للراي المتقلب والظن » .(١)

ـ لابد أذا ان تتدخل الفلسفة « لتنقذ » الناس وترسم لهم بالفكر معالم الدولة الشرعية العادلة . واذا لم تفعل هذا نكست عن واجبها وتخلت عن حمل رسالتها ، القت بزمام السلطة في ايدي الطاغية وعصبته الدجالين . وهو الامر الذى تعاني منه كل الدول فى الواقع الذى عاصره افلاطون . ولهذا نفض يديه من العمل السياسي وقصر جهده على التربية السياسية بمعناها الاشمل ، بعد ان اقتنع بأن « حالة الدول الحاضرة كلها سيئة ، وانها تحكم حكما يدعو للرثاء ، وأن دساتيرها المريضة لا يشفيها الا اصلاح يتم بمعجزة توجدها المصادفة او يسندها حسن الحظ « الرسالة السابعة ، ٣٢٦ ب » .

ـ لكن ما العدل وما الظلم وما الطغيان ؟ وكيف يصير الطاغية أساس الشر ومبدأه المطلق ؟ والحراس ـ رعاة الشعب ـ كيف انقلبوا لذئاب شرسة ؟ كيف احتاج الحراس الى حراس ؟!

ـ « العدالة حكمة وفضيلة ، والظلم جهل ورذيلة » . هذا تعريف « سقراطى » عام يصدق فى أى مكان

(١) هوفمان ، المصدر السابق ، ص ١١٩ وما بعدها .

وزمان ، ينطبق على الفرد كما ينطبق على الدولة . لكن « وظيفته » غير محددة ؛ لاندرى ماذا نصـــنع به ، وخصوصا حين تكون بصدد الحكم وتدبير شـــئون الناس .

ـ فلننظر في تعريفات اخرى ، يذكرها افلاطون ثم يفندها :

هى الصدق في القول والوفاء بالدين ، هى اعطاء كل ذى حق حقه « كما قال الشاعر القديم سيمونيديس ـ ولد حوالى ٤٦٨ ومات حوالى ٥٥٦ ق.م ـ » أى تقديم الخير للصديق والشر للعدو ، وهى صالح الاقوى وبلاهة مبعثها الطيبة .. « فى رأى السفسطائى تراسيماخوس » « الجمهورية ٣٣٨ ـ ٣٣٩ ـ ٣٤١ » وهى تفوق القوى على الضعيف . أو اداة من وضع الضعفاء ليقاوموا بها الاقوياء « كاليكيليس فى جورجياس ٣٨٣ ـ ٤٩٠ » .

ـ هل نجد التعريف الجامع أم تمضى الجمهورية فى طرح سؤال بعد سؤال ؟ هل يقنع سقراط بطرح الشبكة وهو الزاهد فى الصيد « كما هو حال الصياد المعجز فى كل حوار ؟ » أم ترسو سفن الجدل على شط آمن ؟.

ـ حقا ؛ هذا ماسوف نراه :

* العدالة هى أداء كل انسان للوظيفة التى يصلح لها .

* لكل انسان فى المدينة العادلة وظيفـــة واحـــدة محددة .

* لكل امرىء ، فى اية دولة يحسن قادتها حكمها ،

مهمة يتعين عليه القيام بها « الجمهورية ٣١٧ ، ٤٠٣ ، ٤٠٦ ، ٤٣٣ » (١)

سقراط : ولهذا كان من خصائص دولتنا وحدها ان الحذاء فيها حذاء فحسب ، وليس ملاحا فى الوقت نفسه ، وان الزارع زارع فقط ، وليس قاضيا فى الوقت ذاته ، وان الجندى جندى وليس تاجرا كذلك ، وكذا الامر فى الجميع » .

ويرد عليه اديمانتوس بقوله ا هذا صحيح « ٣٩٧ »

ـ واذا فالهدف الاسمى ان تكفل اكبر قدر ممكن من السعادة للدولة باسرها . كيف ؟ بالنظر الى الصالح العام . وكيف يتحقق الصالح العام ؟ بتحقيق العدالة .

ـ وماهى العدالة ؟ هى ماقلناه الان : ان يؤدى كل فرد أو فئة وظيفة واحدة هيأتها الطبيعة لهما ، فتقتصر كل طائفة من الطوائف الثلاث ـ الصناع والحراس والحكام ـ على مجالها الخاص ، وتتولى كل منها العمل الذى يلائمها فى الدولة .

---

(١) تشير جميع نصوص الجمهورية الى ترجمة الدكتور فؤاد زكريا . أما المحاورات الأخرى فقد رجعت فيها بالدرجة الأولى الى الطبعة الكاملة لمحاورات افلاطون فى ترجمة عدد من كبار المترجمين من أهمهم شلنَيْز ماخير ، وهى التى ظهرت فى ثلاثة مجلدات عن دار النشر لامبرت شنَيْدر ، هيدلبرج ، دون تاريخ وغنى عن الذكر الأرقام الواردة تسير الى ترقيم هيريكوس ستيفانوس المعروف لنصوص افلاطون .

ـ وكما يتحقق الاعتدال في نفس الفرد بالانسجام بين فضائلها الثلاث بحيث لا تطغى احداها على الاخرى ، ويسيطر الجزء الافضل على الجزء الاخس ، كذلك يمتد من باطن الفرد الى واقع الدولة فتتحكم عقول القلة الفاضلة ومشاعرها في انفعالات الكثرة الشريرة ولذاتها ؛ ويسود الانسجام والتوافق جميع المواطنين ، الرفيعين منهم والوضيعين والاوساط « ٤٣٢ » .

ـ وكما يكون العادل شخصية واحدة موحدة ، لايتعدى جزء من اجزاء نفسه الثلاثة « الشهوية والغضبية والعاقلة » على الجزء الآخر ، بل يحيا في وفاق مع ذاته ويكون « هو نفسه » في كل مايفعل ويفكر ويقول ، كذلك تكون الدولة العادلة واحدة متحدة ، كلا حيا لا تتعدى فيه طبقة على طبقة ، ولا تقوم طائفة بوظيفة هيأتها الطبيعة والخبرة لطائفة اخرى ، ولا تختلط فيها الطبقات الثلاث « مما يجر على الدولة اوخم العواقب » « ٤٣٥ » وينشر فيها الفوضى « وهى مبعث الظلم والتهور والجبن والجهل وبالاختصار كل الرذائل » « ٤٤٤ » .

ـ لكن ماذا يحدث لو لم يعد حراس المدينة حراسا لها الا بالاسم ؟ سيجرون عليها خرابا لا يعوض ، اذ ان نظامها وسعادتها يتوقفان عليهم وحدهم « ٤٢١ » .

ـ وكيف نمنعهم من أن يتحولوا من كلاب حراسة الى ذئاب ماشية ؟

ـ بالتثقيف والتربية . تلك هى القاعدة الكبرى لبناء

الدولة ، الدولة العادلة الموحدة ، القسوية السعيدة « ٤٢٤ » .

ــ وكيف تكون التربية سليمة ؟ ماهو هذا التعليم الذى يجعلهم يعاملون بعضهم بعضا كما يعاملون من يتسولون رعايتهم بالحسنى ، ويحثهم على اظهار الوداعة مع مواطنيهم والشراسة مع اعدائهم ، حتى لايلقوا بانفسهم الى التهلكة ، دون ان ينتظروا حتى يهلكهم الاخرون ؟.

ــ وبالجملة : كيف نضمن الحارس ان يبلغ الكمال والطهر فى حراسته ؟

ــ الجواب : بان يجمع الى الحماسة الفياضة صفات الفيلسوف : الحكمة والعلم ، بالحكمة يتعلم كيف يتحكم فى نفسه قبل ان يحكم غيره ، وبذلك يعتدل ولايتعدى حده ، وبالعلم يفهم كيف يطبق النظر على العمل ، ويقرب الواقع من المثال ، والوجود من الحقيقة .

ــ اول درس يتعلمه درس فى « التطهير » : سنعلمه ان الذهب والفضة الكامنين فى نفسه اغلى وانفس من الذهب والفضة اللذين يكنزهما الناس ويسببان كل الشرور . ونعلمه الا يملك كالآخرين حقولا وبيوتا واموالا حتى لا يتحول من حارس الى تاجر وزارع ، ومن حام للمدينة الى طاغية يبغض اهلها ويتخشاهم اكثر من خشيته الاعداء فى الخارج :

سقراط : « ... ليس اضر ولا ابعث على الخجل بالنسبة الى الراعى من ان يربى ويغذى من اجل حماية قطعانه ، كلابا تدفعها شراستها او جوعها او اية عادة سيئة اخرى تعودوها الى التعرض بالاذى للماشية ،

فتتحول من كلاب الى مايشبه الذئاب .

جلوكون : هذا شيء ضار ولاشك .

سقراط : واذن فمن الواجب اتخاذ كل التدابير التى تحول دون سلوك حراسنا على هذا النحو ازاء مواطنيهم، بحيث يسيئون استخدام قدرتهم ويغدون سادة شرسين بدلا من ان يكونوا حماة يقظين .

جلوكون : اجل . علينا ان نحول دون ذلك بكل وسيلة .

سقراط : ولكن انجع الوسائل لتحصينهم من المغريات هى ان يكون تعليمنا لهم سليما .. » .

« ٣٧٥ ـ ٣٧٦ ـ ٤٠٣ ـ ٤١٦ ـ ٤١٧ » .

ـ لكن ما العمل اذا اخفق هذا التعليم ؟ واذا انتصرت نفس الحراس الشهوية والغضبية فأطاحت عرش العقل وقلبت ميزان العدل ؟ واذا جعل الحراس مدينتهم مقبرة للأحياء ؟ وانقض الليل وفى جعبته السوداء ، الموت ، الذل ، القهر وسائر ذريته والابناء ؟ .

ـ عندئذ يأتى الطوفان . يتجهم وجه الطغيان . والطاغية شقى ، أشقى الناس واتعس من اتعس انسان:

ـ نفس الطاغية تجردت من كل اعتدال ، ودعت الجنون ليحل محل كل فكرة او رقبة عاقلة « ٥٧٣ » .

ـ والطاغية الحقيقى ـ بخلاف مايظن الناس ـ عبد بالمعنى الصحيح ، بل هو شخص بلغ أقصى حدود العبودية ، لاضطراره الى تملق الناس ، وقضاء حياته فى خوف مستمر ، وعجزه عن اشباع ابسط رغباته ،

ومعاناته على الدوام آلاما مرهقة « ٥٧٩ »

ـ والطاغية أشد الناس تعاسة ، لانه يأخذ على عاتقه حكم الآخرين ، ويحلم بالتحكم في الناس ، بل وفي الالهة ، مع أنه عاجز عن بحكم نفسه . « ٥٧٣ ـ ٥٧٦ ـ ٥٧٩ » .

ـ والطاغية يعيش طوال حياته بلا صديق . فالطغاة اما سادة مستبدون او عبيد خاضعون . اما الحرية والصداقة الحقيقية ، فتلك نعمة لا يذوقها الطغاة أبدا « ٥٧٦ ـ ٥٧٩ » .

ـ والطاغية ابن عاق ، قاتل ابيه ، آكل اولاده ، يجمع بالطبع او بالتطبع ، أو بهما معاً ، بين صفات السكير ، والعاشق ، والمجنون « ٥٦٩ ـ ٥٧٣ ـ ٦١٩ » .

ـ لكن كل آثام الطاغية الفرد التي يذكرها سقراط لا تكاد تكون شيئا مذكورا اذا قورنت بما يجلبه الطغيان من بؤس وبلاء على الدولة . ويؤمن جلوكون ـ كعادته ! على كلامه فيقول : من الواضح للجميع أنه ليس ثمة دولة أشقى من دولة الطغيان .. « ٥٧٦ » .

ـ لو وصلت المدينة الى هذه الحال ، وتحولت الغايات الى وسائل ، وكلاب الحراسة الى ذئاب ، والحرية والعدل المأمول الى ظلم وارهاب ، ولم يفلح الوعد ولا الوعيد في حمل الحراس على أداء مايصلحون له من الوظائف ، واصبح ذنبهم في خداع الناس في معنى الجمال والخير والعدل والنظم الاجتماعية أعظم من ذنبهم لو قتلوهم عن غير قصد « ٤٣٣ ، ٤٧٦ » .

ـ لو وصلت المدينة الى هذه الحال ، والقيت «المثل»

على ركام الاهمال والنسيان ، ولقى احكم الناس فى بلادهم معاملة « تبلغ من السوء حدا يستحيل معه مقارنة موقفهم بأى شيء موجود فى « الطبيعة » « ٤٨٨ » ؛ ونفرت الجماهير من الفلسفة ــ اى من جدوى الحكمةالتى تناضل السمى الى مثل المعرفة الحقة ثم تناضل لاصلاح الواقع على صورتها ــ بعد ان تسلل الدخلاء الى صفوف الفلاسفة ، وانصرفوا الى التشاحن فيما بينهم ، واقتصروا على تبادل الاهانات الشخصية ، وهى ابعد الامور عن مسلك الفيلسوف « ٥٠٠ » .

ــ لو حدث هذا فماذا يكون جواب افلاطون على السؤال الابدى الملهوف ؟

ــ لن نجد لديه غير جواب الياس حين يخيب الامل المجموع ويصطدم بطبع الناس « المفطورين على الشر » : أن ننتظر « المنقذ » الذى يولد بمعجزة الهية او تتمخض عنه الصدفة ، تتحد القوة فيه مع الحكمة ، يأتى بدواء يشفى الداء .

ــ لكن هل يكفى هذا ؟ هل يكفى ان نجد الحل لكى نستريح من الاشكال ؟

سقراط : اتعتقد أن النظرية يمكن أن تتحقق عمليا على نحو اكمل ؟ الا تقضى طبيعة الاشياء ان يكون الفعل العملى ابعد عن الحقيقة من الكلام ؟ « ٤٧٣ » .

ــ واذا وجد عاشق الحقيقة ، ورفيق العدالة والشجاعة والاعتدال ، من يتحلى بالصدق ويكره الزيف ويرفض الكذب فى كل صوره ، من يتجه برغباته كلها نحو العلم ومايرتبط به ، من لاينشغل بلذات البدن عن الروح ، من يترفع عن الجشع والوضاعة والغرور

، الجمهورية ٤٨٥ – ٤٨٧ » ، من يروى أعتاب مدينته الخيرة بنفسه وفي سبيلها يتجرع السم الذي تجرعه سقراط ، اذا وجد المنقذ ثم الانقاذ ؟ هل ينجح في انقاذ الدولة كما ينجح في انقاذ نفسه ؟ هل يقبل الاشتغال بالسياسة كما اشتغل بها في « دولته الباطنة » ؟ « ٥٩٢ » هل ينجو من حسد الناس ، من الغدر ؟

– في هذا « المنقذ » – الذي يشارك في عالم المثل المطلقة – تكمن كل معاناة افلاطون الاخلاقية والعاطفية ، كل العبرة من كفاحه الفلسفي والسياسي . علق عليه آماله في تحقيق الاتحاد بين الوجود والصيرورة ، بقدر ماتسمح به طاقة الانسان وظروف العالم .

– لكن هل يكفي التفكير لتحقيق الدولة العادلة الخيرة ؟ أليست النفس عرضة للانحراف عن طريق الفكر الخاطيء ؟ وهذا المنقذ « الفنان » الذي يرسم خطة الدولة وفقا لانموذج الهي « ٥٠٠ » هل يسلم من الحسد والنفاق ، والجحود والافتراء ، وسائر القوى التي تغلب على العالم التجريبي وتتحكم فيه ؟ .

– لم يكن افلاطون مثاليا الى الحد الذي يعميه عن الواقع . فهو يعترف بأن فرصة تحقيق هذه الدولة المثالية ضئيلة ، ولكنه لا يستبعدها ولا يقول انها مستحيلة . ربما تتدخل « المشيئة الالهية » او « الصدفة الطيبة » فيولد المنقذ . وبدلا من ان نسأل انفسنا : متى يأتي ؟ علينا ان نسألها : كيف نحميه من الانحراف اذا تصادف ظهوره ؟ وليس المهم أن توجد هذه الدولة في اي مكان او اي وقت طالما انه وضع انموذجا في السماء لمن شاء

ان يطالعه ، فالاهم من ذلك هو كيف نحافظ عليها من بعده ؟ « ٥٩٣ » .

ـ أن وجد المنقذ فسيجد امامه فلسفة فاسدة ، وسيبذل كل كهنتها كل الجهد لافساده « والفلسفة الفاسدة ـ كما قدمنا ـ اسوأ بكثير من عدم وجود فلسفة على الاطلاق ! » هنا يأتي دور العارفين . فعليهم ان ينشروا الفلسفة الحقة بحيث تقنع الجماهير بأن الدولة التي يشرعها الفلاسفة الاصلاء هي الدولة الحقيقية ، وأن مصلحتهم مرهونة بوجودها وبقائها . أن الجماهير وحش طاغية ، ولكن السفسطائيين هم الذين جعلوها كذلك . والواجب الاكبر هو تنويرها وتربيتها بحيث تعترف بفضل الفلسفة الحقة وتمكن المنقذ من أداء مهمته واذا خانه الحظ او عاقته ظروف أقوى منه فعليها أن تتم مابدأ . واذا جانبها التوفيق فان عليها أن تكشف « السفسطائيين لكل العصور » .. ولا تحول عيونها عن « الانموذج الالهي » ..

ـ ليست المشكلة الحقيقية ان « المنقذ » لم يوجد بعد ، بل انه يوجد دائما ولا يلتفت اليه أحد ، وانه في العادة أزهد الناس في الحكم . لا مفر اذا من « ارغامه » على الهبوط من عليائه :

ـ علينا اذا ان نمارس نوعا من الضغط على هذه الطبائع الرقيقة بارغامها على الصعود لرؤية الخير ، الذي قلنا انه أسمى موضوع للمعرفة . فاذا ماوصلوا الى هذه المكانة العليا ، وتأملوا الخير بما فيه الكفاية ، فلنحذر بأن نسمح لهم بما يسمح لهم به اليوم .

ـ وما هو ؟

ـ أن يظلوا في عليائهم ويأبوا العودة الى سجنائنا او الاشتراك في أعمالهم ومشاركتهم فيما ينالونه من الجزاء ، مهما عظمت قيمته أو تضاءلت « ٥١٩ » .

ـ ليس في هذا الارغام جور ، مادامت سعادة المدينة بأسرها ، وضمان وحدتها تقتضي المشاركة في الخدمات التي يتسنى لكل فئة ان تؤديها للجماعة :

ـ وهكذا ترى ياجلوكون اننا لن نكون جائرين على فلاسفتنا اذا ارغمناهم على رعاية بقية المواطنين وقيادتهم فعليكم اذا ان تهبطوا الى حيث يقيم بقية المواطنين ، وان تعودوا اعينكم رؤية الظلام ، اذ انكم متى اعتدتم الظلام أمكنكم ان تبصروا فيه على نحو افضل الف مرة مما يبصر فيه الاخرون . وستعرفون كل صورة في الظلام وتعلمون ماتمثله ، لانكم شاهدتم الاصول الحقيقية للجمال والعدل والخير . وهكذا يغدو دستورنا ، بالنسبة الينا واليكم ، حقيقة لا حلما كما هو حادث بالفعل في معظم الدول الحالية ، حيث يدب الصراع بين الناس من أجل ظلال واشباح ، ويتنازعون السلطة وكانها خير عميم ، على حين أن الدولة ، في الواقع ، لا تكون خير الدول واصلحها حكما الا اذا تولى زمام الامر فيها أزهد الناس في الحكم ، بينما يحدث عكس هذا في الدول التي يحكمها عكس هؤلاء « ٥٢٠ » .

ـ هل يرفض « العارفون » الاستماع الى هذه الحجج ؟ وهل يوافقون على الاسهام في المجهود السياسي

على الرغم من انهم يقضون معظم حياتهم فى عالم المثل الخالصة ؟

قال : انهم لن يستطيعوا الرفض ، اذ انهم عادلون ، ونحن لانطلب اليوم شيئا سوى العدل . ولاشك فى ان كلا منهم لن يتولى القيادة الا لانها ضرورة لا مفر منها ، على عكس مايحدث الان في كل الدول « ٥٢٠ » .

***

ــ ماذا تنتظر اليوم من المنقذ ؟ كيف نراه فى ضوء العصر ؟ انجدد وهما وخرافة ، ام نقفو اثرا قد يهدى لسبيل الحق ؟ .

« المنقذ ؟ هل تبقى كلمة ، تتبعها كالظل الباهت ، لعنة هاملت ؟ ــ « بولونيوس :

ــ ماذا تقرأ يامولاى ؟ ــ كلمات ، فى كلمات ، فى كلمات .. » (١) ام تبزغ من لجج الصوت ، كعروس تحمل فى صمت ، ميزان العقل وسيف العدل ، ليطارد زيف الكلمات ؟ اندور ندور مع الطاحون ؟ نمضغ كلمات نصبح كلمات تتساءل عن سر « يكون » ، فى فرش السأم الملعون ، ونموت ككل الاموات ؟ عاهدنى ان تنقذ نفسك ، وتفك قيود المسجون ، فى كهف الظلمات المهلك « الواحد من أجل الكل ، والكل لاجل الواحد » فاللحظة مابين يديك : حقل ينتظر الحرث ، أرض تحتضن الغيث ، تنبت من ليل الرحم بذور البعث ، والصبح الواعد . . . »

***

---

(١) هاملت ، الفصل الثانى ، المشهد الثانى .

خاتمة الرحلة وبدايتها

ـ يجب ان نتذكر ، ونحن ندرس أفلاطون ، اننا نعيش في القرن العشرين . ولابد للشارح والمفسر ، وهو يواجه فلسفة خالدة ـ أي فلسفة قديمة متجددة ـ أن يكون على وعى تام بالموقف التاريخى الذى يحيا فيه ، والظروف الاجتماعية والواقعية التى تحيط به . وليس معنى هذا ان نحاول تفسير أفلاطون تفسيرا « عصريا » ، بل معناه ان نفهم عصرنا وواقعنا على ضوء فكره الباقى . وليس من حقنا بطبيعة الحال ان نلوى أعناق نصوصه ، ونحملها فوق ماتحتمل . فبداية البدايات فى أى بحث نزيه هى الالتزام بالنص الاصلى ، ورؤيته فى ضوء العوامل التاريخية والفكرية والاجتماعية والنفسية .. الخ التى يعد أبنا شرعيا لها وشاهدا امينا عليها ، بشرط أن نترك أفلاطون نفسه يتكلم ، فلا نقاطعه ولا نفرض عليه مفاهيمنا الحديثة والمعاصرة ، بل نتركه يفكر ونحاول التفكير معه ، بحيث يكون « حاضرا » معنا نحن « الحاضرين » فى هذا الزمان ، دون ان نحاول « تحديثه » بالمعنى الشائع المبتذل ، او نستبدل واقعنا الراهن بواقعه التاريخى . ومن حقنا بعد ذلك أن نأخذ منه مانتصور انه يلقى بصيصا من النور على مشكلات مجتمعنا وحضارتنا التى لم يعد احد يشك فى حاجتها « للانقاذ » . اقول « من حقنا » ، والاولى أن أقول « لا حيلة لنا » . فنحن نرى أنفسنا بالضرورة فى كل تفسير نتقدم به لنص قديم ، ونستمع اليه او نعيد

قراءته لعلنا نزداد وعيا بأنفسنا وعالمنا . وحتى لو حاولنا ان نمتنع عن أى تفسير ، متذرعين بموضوعية مغلقة ومستحيلة ، فان هذا الامتناع نفسه نوع من التفسير ، لان الباحث مضطر بحكم حدوده العقلية والبشرية ان يقف عند هذا الجانب أو ذاك من الفكر الرحب المتشعب . وهذا ايضا لا ينجو من الرؤية او التفسير ..

ـ كان افلاطون ـ مثل اغلب الشباب من جيلنا ـ مثاليا أخفق فى تطبيق افكاره على الواقع . مصلحا ثوريا حاول ان يهتدى الى أساس سياسى لاصلاحاته . عاش فى عصر تدهورت فيه دولة المدينة ، انهارت القيم القديمة وتحتم البحث عن قيم جديدة . فالمجد الذى أحرزته اليونان بعد انتصارها على الفرس قد ذوى قبل مولده بوقت طويل ، وشعوره باخفاق الروح اليونانية كان أقوى من شعور جميع معاصريه . كان فى الثالثة والعشرين من عمره عندما انتهت الحرب الكبرى بين اثينا واسبرطة بهزيمة مواطنيه واذلالهم . ولهذا أدرك ان المهمة الحقيقية ليست هى اعادة بناء أثينا « فأثينا لم تعرف قط حاكما عادلا « جورجياس ٥١٦ ـ ٥١٧ » وانما المهمة الحقيقية هى « انقاذ » بلاد اليونان . (١)

ـ كان عصره عصر انقلابات وثورات سياسية وفكرية

---

(١) انظر فى هذا رأى السياسى الانجليزى ريتشارد كروسمان فى كتابه : افلاطون اليوم «ذكره الدكتور فؤاد زكريا فى تصدير دراسته القيمة لجمهورية أفلاطون ـ ص ٣ ، ومابعدها ـ القاهرة ، مؤسسة التأليف والنشر ١٩٦٧ .

واجتماعية . وكان في اعمق أعماقه شبيها بعصرنا . وعوامل الفساد التي كانت تدب في قلب مجتمعه القديم وتدمره لاتزال تنخر في قلب مجتمعاتنا الحاضرة . واذا كانت فلسفته لم تستطع أن تستأصل الفساد الذي بلغ حدا اصابه بالدوار « كما تشهد زفراته الحارة في الرسالة السابعة ! » ولم تتمكن من وقف الانهيار الذي ادى في النهاية الى استسلام اثينا لسيطرة الاسكندر الاكبر ، ثم وقوعها بعد ذلك في قبضة الرومان ، فقد تنفع العبرة من كفاحه وبصيرته وعاطفته في ايقاف زحف الانهيار والفساد الذي يلاحظه المخلصون في مجتمعاتنا . وقد تدفع المصلحين الى السيطرة عليها وتحويلها الى عوامل انقاذ وبعث جديد من وسط الرماد المحترق . (١) بيد ان هذا مجرد امل ؛ فليس على المفكر الا أن يدق ناقوس الخطر ، وينبه للاشكال ويشرك غيره في التفكير معه . اما اتجاه الواقع ومصيره فينبغي — بشهادة التاريخ الفعلي — ان يكون في أيدي المفكرين .

---

(١) ماذا اصنع ؟ لا أملك الا أن اتحدث ، ولتنقل كلماتي الريح السوّاحة ، ولأثبتها في الأوراق شهادة انسان من اهل الرؤية ، فلعل فؤاد ظمآنا من أفئدة وجوه الأمة ، يستعذب هذي الكلمات ، فيخوض بها في الطرقات يرعاها إن ولي الأمر ، ويوفق بين القدرة والفكرة ، ويزاوج بين الحكمة والفعل .. (صلاح عبد الصبور ، مأساة الحلاج — الجزء الثاني ، المنظر الثاني) .

ـ يبدو ان حلم « المنقذ » قديم قدم البشرية نفسها . وانه كان يراود النفوس المرهقة في فترات التأزم والظلام « يمكن ان نلمح طيفه في ملحمة جلجاميش ؛ في صرخات حديث المتعب من الحياة الى نفسه ونذر ايبور وشكوى الفلاح الفصيح اثناء أنهيار الدولة الوسطى في مصر القديمة .. » ويحتمل ان تكون فكرة افلاطون عن « الملك الفيلسوف » قد تأثرت بفكرة بعض الفيثاغوريين في القرن الخامس قبل الميلاد من ان للحكمة حقا الهيا في ان تحكم وتسود (١) . ولابد ان الاديان السماوية قد زادت الاحساس « بالمنقذ » وترقب عودته ليملأ الارض عدلا ونورا بعد ان شبعت جورا وظلاما : امل « اوغسطين » ـ وهو يرى تصدع الدولة الرومانية ـ في تحقيق مدينة الله ، خرافة « المسيخ الدجال » والخضر والمهدى المنتظر وعودة الحاكم بأمر الله ، صورة الامام المعصوم والقطب ، الخاتم والدرويش الزاهد ، والمستبد العادل والبطل القديس .. الخ ، التي صاحبت ثورات الاصلاح المتطرفة وحاولت تجديد ربيع الشجرة الذابلة بالرجوع الى بذور الاسطورة « قيصر والاسكندر ، نابليون ، وموسوليني وهتلر ، ثورات الخوارج والشيعة والمهدية ، هيجل والبطل الذي يتحد وعيه الذاتي بالروح المطلق ، حلم نيتشه بالانسان الاعلى « السوبرمان » وجيل المتفوقين المعانقين للاخطار ، حلم الخلاص الارضي والعلمي « المعكوس » في الجدل المادي الثوري عند ماركس ، احلام المعاصرين بالمغترب والمنبوذ واللامنتهى .. الخ الذي

---

(١) فؤاد زكريا ، دراسة لجمهورية افلاطون ، ١٤ .

يفجر ينابيع الخلق والابداع ويتحدى مجتمع الآليـة والعقلانية وارهاب الحساب واجهزة العقاب والعـذاب ، احلام الرومانتيكيين والتعبيريين والعدميين وفلاسـفة الحياة .. الخ » وربما كان لحلم أفلاطون عن المنقـذ « الإله الفيلسوف » دور كبير في نشر هذه الاسـطورة عبر التاريخ . غير اني حاولت في الصفحات السـابقة ان ابين استحالة خرافة المنقذ ، وان أحافظ مع ذلك على فكرة الانقاذ التي أكد افلاطون نفسه ارتباطها بالعـلم والمعرفة والبصيرة والحكمة . لم ارسم صورة « المنقذ » الذي يبدأ دائما بداية شعبية فيختاره الشعب ويتصور أنه نصيره وحاميه ، ثم لا يلبث بعد ان يتحول الى طاغية ان يخيب أمله فيه . ان افلاطون نفسه ــ بتجاربه الحية ورسالته السابعة ونصوصه المتناثرة ففي مختلف محاوراته ــ يبين بوضوح لا مزيد عليه ان مثل هذا المنقذ سرعان مايتحول الى طاغية . والالوان القاتمة آلتى رسم بهـا صورة الطاغية الفرد في الكتاب التاسع من الجمهورية واستمدتها ريشته من شخصيتي ديونيزيوس الاب والابن ــ حاكمي صقلية وامل شعبيهما حينذاك ــ تصدق بوجه عام على « المنقذين » المزعومين منذ عهده الى يومنـا المعاصر .

ــ ان الانقاذ في عصر العلم الذي نعيش فيه لن يتم الا عن طريق العلم . هذه هي الفـكرة التي حـاولت توضيحها . وهي فكرة لا تأتي بأي جديد ، لانها تستند الى افلاطون نفسه ، كما انها واضحة وضوح الشـمس لكل من يفتح عيني جسده ووعيه على واقع هذا العصر . والعلم لا يزدهر الا في جو الحرية . وبلوغ النظـام

الاجتماعي الممكن والمعقول الذي يزرع هذين الجناحين في روح الانسان وضلوعه كي يعلو ويخاطر بحثا عن الحقيقة هو الجهد المشترك لكل الحالمين العاملين من اجل تحرير الانسان وسعادته ، الانسان الحقيقي الذي يحيا « هنا والآن » ويسعى الى تحقيق الممكن فلا يتشبث بخيوط مطلق اسطوري مضى ولن يعود ، ولا ينجذب نحو مطلق مستحيل يوغل في المستقبل البعيد ..

ـ واذا كنا نجد عند افلاطون قرائن عديدة تؤكد عداءه للديموقراطية « الاثينية المعاصرة له ، لا للشعب بوجه عام ! » وحماسه في الدفاع عن حكم النخبة الارستقراطية « بالفضيلة والحكمة لا بالذهب والفضة ! » بل اذا وجد البعض عنده بعض مظاهر الفاشية « كوصاية الحاكم على المحكومين ، ووقوفه منهم موقف الراعي من القطيع ، حتى ولو كانت عنده باسم العقل لا باسم الغوغائية وتملق غرائز الجماهير » واذا كنا اخيرا ـ بعد مرور اربعة وعشرين قرنا جرف فيها تيار الزمن مئات الافكار والنظم والعقائد والقيم والتصورات ـ نستهجن فكرته المتناقضة عن الملك الفيلسوف . فاننا نستطيع مع ذلك أن نحتفظ بجوهر فكرة الاصلاح الذى لم يتوان عن تأكيد اهمية العلم والمعرفة في تدبير شئون الحكم ، والالحاح على انه لن ينصلح حاله مادام مبنيا على الثروة او القوة الغاشمة ، كما نستطيع في النهاية أن نضع المنقذ « العارف » الذى كان يحلم به ـ ولا نملك اليوم ان نتخلى عن الحلم بأن يأخذ مكانه في كل عضو من اعضاء الدولة الحديثة ـ في نظام ديموقراطي يقوم على المشاركة وتبادل الرأي والمشورة بين الحاكم والمحكوم ،

لا على الوصاية وفرض الرأى الواحد واستغلال الغرائز الوحشية والدعاية الرخيصة :

« لا تنتظر « المهدى » ولا الدجال المفزع ، فالمسيح الكاذب لن يرجع ، ودموع ايزيس لن تنفع ، والصقر الغائب حوريس ، من جوف الظلمة لن يطلع ، اهجر كهفك ! اطرد شبح القيصر والاسكندر ! ـ سقط الفارس فى جوف التنين الاكبر ، لم يترك غير الصمت واشلاء خرافة ـ انقذ نفسك ! بالحرية والعلم المبدع ، والعمل بكف شفافة ، تبصر تبتسم ، وتسمع ، أصوات النبع الاقدم ، تهمس بالسر المفجع ، عن عرق الاجداد المر ودمع الاحفاد المؤلم .. » .

ـ ان الفكرة الأساسية فى محاورات افلاطون ـ مع اختلاف موضوعاتها وأساليب تعبيرها ـ هى ايجاد الانسان العادل الكامل فى مجتمع عادل كامل . ولهذا كان « اولا وقبل كل شيء فيلسوف العدالة ، لم يعش الا لهذا الهدف ولم يعمل الا على تحقيقه ، سواء فى حياته او مؤلفاته » (١) والواقع أن افلاطون لم يصل الى

---

(١) الأب الدكتور جيروم غيث ، افلاطون ، ص ٥ ، ٨ ـ منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٧٠ ـ وقد أسعدنى الحظ بعد الفراغ من كتابة هذه الصفحات بالعثور على هذا الكتاب القيم بمحض المصادفة فى مكتبة جامعة صنعاء . وهو يقدم صورة رائعة عن تطوير فلسفته الجدلية من خلال التتبع والاستقصاء الدقيق لكل محاوراته ، والتأكيد المستمر على افلاطون المصلح الثورى والمثالى «الواقعى» الذى ظلت الفلسفة الحقة عنده هى السياسة الحقة . وهو فى رأيى أوفى وأعمق ماكتب فى العربية عن افلاطون ، وان كان هذا لايمنع من الاشادة بفضل الكتابات السابقة للأساتذة والدكاترة يوسف كرم وأحمد فؤاد الأهوانى وعبد الرحمن بدوى وأميرة مطر وعزت قرنى ..

الفلسفة الا عن طريق السياسة ومن اجل السياسة ؛ ظلت الفلسفة الحقيقية عنده هي السياسة الحقيقية ، والاعتبارات العملية هي اساس افكاره الميتافيزيقية والاخلاقية والمعرفية والجمالية . ان فلسفته كلها موقف اجتماعي يتخذ صورة فلسفية هي ضمان الخير للدولة . (٢) ولعله لم يكن ليكتب كبرى محاوراته وواسئلة عقدها « الجمهورية » لو لم تقم على ظروف فعلية ؛ ولو لم يقصد فيها أن تشكل الحياة الفعلية او تؤثر فيها على الاقل . ولعل الرسالة السابعة ايضا أن تكون اوضح دليل على محاولاته المستميتة لتطبيق افكاره على الواقع العملي . ويكفي ان يطلع عليها القارىء في هذا الكتاب ليشهد ملحمة الصراع والاخطار التي ألقى بنفسه فيها وخرج منها في النهاية مثخنا بجراح لم يتوقف نزيفها قط . ولابد انه اقتنع في النهاية بأن « أحوال الدول الحاضرة كلها تدعو للرثاء ، وأن الفلسفة الحقة هي وحدها السبيل الى معرفة العدل والصواب الذي تصلح به الدولة والحياة الخاصة .. » « ٣٢٦ ب » ولهذا عكف بعد النجاة من مغامرته الاخيرة على بناء نظام فكري وتعليمي من شأنه أن يضمن الخير والعدل للدولة اذا قدر أن يجد السلطة الحاكمة التي تفرضه .

ـ لابد ان افلاطون كان يضع في حسابه سخرية

---

(١) شامبري في مقدمة ترجمته الفرنسية لجمهورية افلاطون ، ذكره الدكتور فؤاد زكريا في دراسته السابقة ، ص ٦٣

(٢) إرنست باركر ، النظرية السياسية اليونانية ، راجع راية وآراء أخرى في تغليب السياسة على سائر الموضوعات في المرجع السابق ، ص ٧٢ ـ ٧٣ .

الرأى العام من هذه الفكرة الاساسية التى توحد بين الفلسفة الحقة والسياسة الحقة . ولابد انه كان يلتمس الفلسفة ومفهوم السياسة ، ولم يصادفهم فى حياتهم او حياة اجدادهم من يجمع فى شخصه بين الحاكم والحكيم. ولكنه لم يتخل عن اصراره على فكرته التى علق عليها كل امله فى انقاذ بلاده وانقاذ البشرية ، ولم يتراجع لحظة امام الموجة التى يمكن أن تطغى عليه : « ولكننى سأقول كلمتى ولو أغرقتنى الموجة فى السخرية والاحتقار » « الجمهورية ، ٤٧٣ » .

ــ لعل هذا هو الذى جعله يحرص فى كثير من محاوراته على تحديد مفهومه عن « السياسى » والتأكيد بأنه وان يكن مفهوما مثاليا فليس وهميا ، وان يكن متعذر التحقيق ، فليس بالمستحيل . هاهو ذا يقدم تعريفات مرفوضة « السياسي هو راعى القطيع البشرى ــ السياسى ، ٢٧٥» واخرى غير كافية « اذا مارس رجل الدولة العنف اسميناه طاغية ، أما اذا قدم للرعية عناية صحيحة تتقبلها عن رضى ، فتلك هى السياسة ، « السياسى ٢٧١ » حتى يستقر على هذا التعريف : السياسى هو حائك لخيوط انسانية « السياسى ٢٨٧ » ويكمله فى النهاية على هذه الصورة الدقيقة العميقة : السياسى أو الحاكم الحق هو القانون الحى « القوانين ٦٩٤ ــ ٦٩٨ » والاول يجعل من السياسى الحائك المثالى الذى جمع خيوط الشعب المختلفة ووحدها وربط بينها بالوفاق والمحبة فضم الشعب كله ، وضمن له السعادة التى يمكن لمجتمع بشرى أن يتمتع بها « السياسى ٣١١ » وهو تعريف ينبثق من مفهومه للوجود البشرى الواقعى «كجدلية » تناقض بين الواقع

المحسوس والمثال والمعقول ؛ وللوجود البشرى الممكن والمأمول ، كجدلية مشاركة فى مثال العدالة . ومنه يستخلص صفات الحاكم العلم ؛ والاخلاص ؛ والشجاعة والمسئولية . (١) اما عن التعريف الثانى « السياسى الحق هو القانون الحى » فهو يتوج به فى « القوانين » رحلة بحثه المضنية عن معنى السياسة وهدفها . انه يكرر ان هدف السياسة الوحيد هو تحقيق العدالة كشرط أولى لتحقيق المعرفة والحرية والمجتمع الواحد . فعلى أساس العدالة لاعلى أساس الاثراء يجب أن تقوم السياسة الحقة .. فتوزع العدالة الممتلكات توزيعا يجعل الجميع راضين « القوانين ٧٣١ — ٧٣٢ » . وفى ظل العدالة يمكن أن تحقق القوانين المثالية المبدأ القائل : كل شيء يجب أن يكون مشتركا . فاذا تحققت الاشتراكية الكاملة « فى النساء والبنين والاشياء » وزالت الملكية الخاصة وأضحى كل شيء مشتركا « حتى العيون والاذان والايدى فبات الجميع يرون ويسمعون ويلمسون الشيء الواحد » فلا أحد يعود يرغب أن يعيش فى غير هذا المجتمع « القوانين ٧٣٩ » .

— لاشك أن مفهومنا اليوم عن الاشتراكية يختلف اختلافا بينا عن مفهوم افلاطون الذى يمكن ان نصفه

---

(١) جيروم غيث ، المرجع السابق ص ١٦٢ (لاحظ أن كتاب المرحوم الأب غيث قد كتب فى ظل المحنة اللبنانية التي تعكس محنة الوجود العربى والحضارة العربية فى لحظتنا التاريخية الراهنة .)

« بالمشاركة الجماعية » سواء في صورتها البدائيـة الناشئة عن عجز الفرد عن سد حاجاته وافتقاره الى معونة الآخرين « وقد عرضها بشكل اسطوري في بروتاجوراس ٣٢١ ــ ٣٢٣ » او في صورتها الواعية المتطورة التي تقوم على العدالة وتوزيع الاعمال والخيرات حسب القــدرة والموهبة « وقد توسع فيها في الجمهورية ٣٦٩ » . وليس هنا مجال الخوض في أمر هذا الاختلاف ، اذ المهم في هذا كله انه يصدر عن فكرة العدالة التي يدور حولها كل كفاحه النظري والعملي في سبيل الانقاذ . فقوام العدالة ــ كما قدمنا ــ هو تحقيق الفرد العادل في المجتمـع العادل ، اذ لا يمكنه ان يحقق ذاته الفردية الا بتحقيـق ذاته الاجتماعية والعكس بالعكس . والعدالة ــ كما قدمنا ايضا ــ هي الشرط الضروري لتحقيق المعرفة والحرية والمجتمع الموحد ، واصلاح الفضيلة والحب والجمــال واللذة والفن والشعر وسائر القيم التي راى ديدان الفساد تنخر فيها امام عينيه . ولهذا فهو لا يكف عن المطالبة بالمشاركة في مثال العدالة وغيره من المثل حتى ترتفع على سلم الجدل الى مثال المثل جميعا وهو الخير .

كما ان نظرية المثل والمشاركة ــ التي اسهبنا في عرضها في الفصل الثاني من هذا الكتاب ــ هي ركن الاصـلاح والانقاذ في السياسة والاجتماع والاخلاق والفن والقيم . لقد انبثقت عن نظريته في الوجود الانساني المتنـاقض المركب من طبيعة حسية ونزوع مثالي ، ومن « الدوار » « الرسالة السابعة ٣٢٥ » الذي اصابه وهو يلاحظ الفساد يستشري في النظريات الفلسفية والنظم السياسية والقيم السائدة في عصره . واذا كان هذا الفساد لم

يستطع أن يحوله عن مثاليته ، فانه لم يفرقه فى الاوهام ولم يجعل منه ذلك الفيلسوف الزاهد المتشائم ولا الهارب الحالم الذى يحلو للكثيرين أن يخلعوا عليه صورته . لقد الح على المشاركة فى المثل وجعلها محور فلسفته ، ولكنه لم ينس ان الانسان يعيش فى عالم المحسوس لافى عالم المثل ، وانه يعمل فى هذا العالم لا خارجه « فيليبوس ، ٢٠ ــ ٣٠ » وطالب بالسياسى والحاكم الحق الذى يكون فى نفس الوقت الفيلسوف والحكيم الحقيقى . ولكنه كما سبق القول ــ لم يغفل عن صعوبة وجوده ، بل عرف تمام المعرفة أن وجوده اصبح مستحيلا بعد ان فسدت النظم والضمائر : فالشعب لا يصدق بوجود هذا الحاكم المثالى الذى « يحكم بالعلم والفضيلة ، وينشر العدالة والمساواة بغير محاباة وبغير ان يظلم ويقتل وينتقم كيف ومتى شاءت اهواؤه «السياسى» «٣٠» ، فالتسلط يفسد عقله وارادته وعواطفه ــ ومهما كان صالحا فى بداية حكمه ، فان التسلط يحوله الى طاغية ينكر الحقيقة والحرية « القوانين ٦٩٤ ــ ٦٩٨ » . بل انه لينظر حوله فيجد العدالة مفقودة فى الشرق والغرب جميعا : ففى الشرق تطرف فى الطغيان والعنف والاستبداد ، وفى الغرب تطرف فى الحرية . لذلك بادت المدنيات الشرقية الطاغية ، وستبيد المدنية الاثينية التى اصبحت تعد الفوضى حرية وسعادة . هل معنى هذا أن يستسلم أو يأس ؟ نخطىء اكبر الخطأ لو صورناه فى هذه الصورة القاتمة الظالمة . ان سياسته مثالية ، لكنه يرفض أن تكون وهمية . والوعى لايفارقه بأن وجود السياسى المنشود امر عسير ، لكنه لا يعده من قبيل المستحيل : « فلا تطلب

منى تحقيق النظرية تحقيقا كاملا ، لان تحقيق المثال غير ممكن . يكفينا ان نحقق هذه السياسة المثالية بقدر المستطاع لكي نسلم بامكان تحقيقها « الجمهورية ٤٧٣ ، وافلاطون لجيروم غيث في ١٥٩ » .

ــ من اشد الاخطاء اذا ان نصور أفلاطون في صورة المفكر الحالم أو الزاهد المتشائم والصوفي الهارب من عالمنا الواقعي الى عالم مثالي « آخر » وراء هذا العالم « كما ظلمه نيتشه ! » ، فهذه الصور التي تراكمت ظلالها عليه منذ شراح الافلاطونية المحدثة الى مختلف الشراح والمفسرين في عصرنا الحاضر قد أضفت عليه مسوح الفيلسوف الالهي تارة وترصدت عيوبه ومتناقضاته تارة اخرى «كما فعل بعض المفسرين منذ أرسطو والافلاطونيين المحدثين وآباء الكنيسة حتى نيتشه ــ عدوه الاكبر ــ وجورج سارتون وبوبر (١) وفؤاد زكريا ! » . وبين الصورة التي تحوطه بهالة التقديس والاجلال ، والصورة التي تحمله مسئولية كل طغيان وشمولية مطلقة جاءت بعده وتتهمه بخيانة الارض والواقع البشري الحي ــ

---

(١) وذلك في كتابه المعروف «المجتمع المفتوح واعداؤه (برنستون ، مطبعة جامعة برنستون ، ١٩٥٠) وتجد مقتطفات من فصوله ٦ ، ٧ ، ٨ في فصل بعنوان أفلاطون عدو المجتمع المفتوح «في كتاب» أفلاطون ، أهو شمولي أم ديموقراطي ؟» الذي نشره توماس لاندون تيرسون ، ص ٤١ ــ ١٠٢ ، برنتيس هول ، ١٩٦٣

بين الصورتين ضاع صوت المصلح الثورى والمنقذ الذى لا يزال يهيب بكل من يسمعه أن ينقذ نفسه بنفسه ..

ــ ان لافلاطون بغير شك سلطته الطاغية وجبروته الفكرى المهيمن على التراث الغربى كله وجانب لا يستهان به من التراث الشرقى والاسلامى . وهو ــ ككل مفكر ضخم ــ قلعة هائلة لها الف باب وباب . وقد تراكمت شروح المفسرين « وأسقاطاتهم » عليه عبر العصور ، واغلب الظن أن الركام سيرتفع وتتكاثف طبقاته على مر الزمن . وستحتمل القلعة شتى الصور وتتعرض لغزوات من مختلف الفرسان . ولو حاولنا تتبع تفسيراتهم « من سياسية واخلاقية ورياضية ودينية وصوفية ووجودية واشتراكية مثالية او علمية .. الخ » . لطال بنا الحديث وغاب عنا الاثر . « يكفي القارىء أن ينظر قائمة الكتب التى وضعت فى تفسير نظرية المثل ليعرف انها شىء ليس له آخر ولن يكون .. » هذا امر طبيعى يحدث لافلاطون كما يحدث لغيره من كبار المفكرين . واذا لم يكن هناك مفر من اختلاف الرؤى والتفسيرات باختلاف المفسرين والاجيال ، فلا مفر أيضا من اعادة النظر فى الشروط « القبلية » لدراسة افلاطون او غيره . ولابد من ان يحاول كل من يقترب منه أن يخلصه من الشوائب الغريبة التى حجبت جوهره النقى . أن افلاطون نفسه لن يعبد الطريق للسالكين ، ولن يعدهم بدرب مفروش بالزهور والرياحين . فهو فى صميمه باحث عن الحقيقة لا « يملكها » فى نظرية او مذهب . والبحث عن الحقيقة ينفى عنه صفة المفكر المتزمت او المتصلب التى يوحى بها هو نفسه او يلصقها به الكثيرون . واول كلمة ينبغى أن

تماما من كتاب حياته واعماله هى كلمة « التطور » . فقد ظل يعمل على تكوين افكاره طوال حياته ، ويتطور من مرحلة الى مرحلة ، ينقد نفسه باستمرار ، يصلح مافى نظرياته من خطأ او نقص او غموض ، يضيف الى بوتقة فكره كل جديد ويحاول أن يتمثله ويعيد بنساءه ويضمه الى كيانه الحى . ولكنه بقى مفكرا « جدليا » قبل كل شيء ، لا تقف جدليته عند الجدل الصاعد والنازل المعروفين ، بل هو فى حوار دائم مع نفسه ، ومع الآخرين وضد الاخرين ، وهمه الاول والاخير هو الدفاع عن ركن اركان فكره وكفاحه ، وهو « جدلية » المثل والمشاركة التى يقوم عليها وجود الانسان وتحقيق العدالة الانسانية اى تحقيق الانسان العادل الكامل فى المجتمع العادل الكامل كما اشرنا اكثر من مرة . (١) ولهذا اتجه بفكره وعاطفته الى اصلاح فساد العالم والانسان والقيم والنظم على صورة عالم معقول ثابت بسيط ، ولم يكف أبدا عن المطالبة بالمشاركة فيه لتحقيق هذا الاصلاح بقدر الطاقة » . .

ـ هل انصفت افلاطون أم ظلمته ؟ هل فهمته ام اسأت فهمه ؟.أترانى اضفت تفسيراً جديداً الى ركام التفسيرات

(١) راجع نظرية المثل والمشاركة وارتباطها برمز الكهف فى الفصل الثانى من هذا الكتاب . وانظر كذلك العرض المفصل لها خلال تطور الفكر الأفلاطونى من محاورات الشباب «السقراطية» الى محاورة بارمنيدز والصعوبات والمتناقضات التى واجهتها فى كتاب الأب جيروم غيث من ص ٥٧ الى ٩٨ ومحاورة بارمنيدز من ١٣٠ الى ١٣٦ .

القديمة والحاضرة ، ام نزعت قناعا واحدا من الاقنعة التي تحجب عنا وجهه ؟ هل اسأت معاملة « كلمتـــه المكتوبة » ــ وهي اليوم ضعيفة عاجزة عن الدفاع عن نفسها في غيبة « ابيها » ؟! « فايدروس ٢٧٥ وبعدها » ؟ ان القارىء اقدر مني على الاجابة عن هذه الاسئلة ، فهي في النهاية رؤية محدودة بجهد صاحبها ، مقيدة بالقيـود الخفية التي تطوق ذاتيته وانعكاس مجتمعه وزمانه وعصره على نفسه ، كما هي مقيدة ببعد نظره او قصره .. وربما كان اهم مافي هذه الرؤية أنه حاول أن يجد الانقاذ عند أفلاطون « ورسالة الانقاذ لا تنفصل عن اي نظـرية او تفكير حقيقي في اي زمان او مكان » وان يخلصه مـن شوائب العصر والبيئة والظروف التاريخية والتفسيرات المتعاقبة ليكشف عن صفاء معدنه . ثم حاول ان يخطـو خطوة اخرى فحرر صوت المنقذ وصورته من خــرافته السحرية ، لكي يطرق سمع كل واحد منا ويحثه على تحرير نفسه بنفســه وانقاذ نفسه بنفســه ليكون قادرا على المشاركة في انقاذ مدينته ومجتمعه .. ولكن يكون الانقاذ في عصر العلم والمعرفة الا تاكيداً جديدا لصوت المنقــذ والمحرر الاول في حياة افلاطون ، الا وهو صوت سقراط الذي لا يزال يردد نداءه لكل ضمير : اعرف نفســـك بنفسك ! .

ــ هكذا ترتبط فكرة « الانقاذ » عند افلاطون بالمنقذ الفرد ، كما يستحيل تصور المنقذ نفسه بغير الحـرية التي تمكنه من اختيار مصيره والالتزام بنتيجة اختياره ، وبغير الايمان بقيمة المعرفة التي هي وسيلة انقاذ نفســه وغيره . ولا تعني هذه المعرفة ان يكون المنقذ بطلا اسطوريا

معصوما ولا متخصصا فى فرع من فروع الفلسفة كالمنطق والجمال والاخلاق ونظرية العلم .. الخ لانه فى الحقيقة انسان وبشر بريد أن ينقذ بشرا مثله . هذا هو المعنى العميق الذى يؤكده رمز الكهف كما سبق ــ أنه يعرف « الخير » ــ قيمة القيم ومصدر كل معرفة ووجود فى عالم المثل والاشياء ــ فى آخر السلم الجدلى الخالص ، ثم يهبط الى ظلام الكهف ليحرر زملاءه ، مع علمه بالخطر الذى يهدده كما هدد سقراط من قبل . فتحرير الذات هنا من اجل تحرير الغير هو قضية صراع فى مواجهةالمحن ، وحرية مسئولة تهتم بالتحرر « من .. » بقدر ماتكافح للتحرر « لاجل ... » ولهذا تشغل النفس وتطهيرها من الشهوات وحركتها الذاتية .. الخ مكانة هامة من تفكير افلاطون وتتطور نظريته عنها مع تطور هذا التفكير ، اذ أن الانسان الفرد ونفسه الفردية هما فى النهاية صورة مصغرة للمدينة « الجمهورية ٣٦٨ ــ ٣٦٩ » ويضيق المجال عن تتبع هذا التطور منذ أن كان الجسد فى رأيه هو قبر النفس وكانت ماهية الفلسفة هى تعلم الموت وكان هدف الفيلسوف يتجه للموت « فيدون ٦٤ أ » ومنذ ان كان كل همها أن تتحرر من تأثيره حتى تتشبه بالله بقدر الطاقة وتحقق ذاتها « الالهية »الحقيقية وتصبح بارة وعادلة عن معرفة وارادة « ثيآتيتوس ١٤٦ ، ١٧٤ » الى ان تصبح مبدأ تحديد ذاتها وحركتها الذاتية المنتظمة والوسيط وهمزة الوصل والمشاركة بين عالم الطبيعة وعالم العقل ، لتكون أخيرا هى المسئولة عن «خلق» ذاتها وصنع « كونها الصغير » « فايدروس ٢٤٥ ــ ٢٤٨ ، فيليبوس ٣٠ جـ ، طيماوس ٣٥ ــ ٣٧ أ ــ ب ، ٤٣ ب » انها اذا كانت غير مسئولة عن تكوينها ووجودها فى

الجسد : فهي مسئولة عن سقوطها وضياع حقيقتها الالهية وفقدان حريتها ، نتيجة انتصار الجزء الشهواني منها على الجزء العاقل وتسلطه عليه . من هنا اختلفت نفس الحكيم التي واجهت المحنة والصراع المستميت « فايدروس ٢٤٧ ب » حتى تشبهت بالله بقدر الطاقة وحققت ذاتها العادلة في مجتمع عادل ؛ عن نفس الطاغية الذي استعبدته الشهوات ففقد حريته ، مهما بدا في الظاهر حرا وشجاعا ومهما حاول ان يجعل هذه النفس الشهوانية هي المبدا العام للحكم وسياسة الناس . من هنا ايضا تفاجئنا هذه الكلمات الخاطفة التي ينهي بها أفلاطون محاورته الكبرى وكأنها وصيته للاجيال التالية التي لا تزال تواجه نفس المشكلة وتكافح للبحث لها عن حل ينبع من اعماق الفرد ومحنته في هذا العالم : هذا العالم الذي يجد فيه نفسه مع اخوته في البشرية ـ مسئولا عن مصيره واتجاهه نحو الدمار الشامل او السعادة الممكنة :

« اما الفضيلة فلا تعرفه سيدا : فالمرء يحصل منها المزيد او الاقل بقدر مايكرمها او يزدريها . واللوم انما يقع على من يختاره ، اما السماء فلا لوم عليها « الجمهورية ٦١٧ » :

« لا عاصم بعد اليوم من الطوفان ، يابلدي ، يا حظي العاثر ، انت الخاسر ، ان لم تلجأ لسفينة نوح ، يسلمها الموج الهادر ، واللاحون الفقراء الى الشطئان ، والربان؟ اطهر من اطهر انسان ، عين ترعى النجم الساهر ، في افق العدل يلوح ، يابلدي ، ويرد اليك الروح ، وحياة الروح حوار . . » .

« في شتاء ١٩٧٨ »

الرسالة السابعة لأفلاطون

تمهيد :

يتضمن كتابات افلاطون ثلاث عشرة رسالة بالاضافة الى محاوراته المعروفة وبعض المقطوعات الشعرية القصيرة « الابيجرامات » المنسوبة اليه . وقد ضمت هذه الرسائل الى مجموع مؤلفاته منذ القرن الثالث بعد الميلاد ولعلها كانت جزءا لا يتجزأ منها منذ القرن الاول قبل الميلاد .

والرسالة السابعة هي اهم هذه الرسائل وأشهرها ، اذ تعد ترجمة ذاتية سجل فيها الفيلسوف جانبا من حياته الشخصية ، وتقدم لنا وثيقة لا غنى عنها لمعرفة اهتمامه بالشئون العامة ، وتطور موقفه من السياسة والحكم ، وكفاحه فى سبيل تطبيق نظرياته المثالية على الواقع العملى فى صقلية ، واعترافه بما أصابه من خيبة واخفاق ودفاعه عن فلسفته دفاعا مفعما بالعاطفة الممزوجة بالالم والمرارة .

والرسالة طويلة ، تعادل فى طولها سائر الرسائل الاخرى مجتمعة ، أو احدى المحاورات القصيرة التى تسمى محاورات الشباب . وهى وحدها التى نجت من الشك فى نسبة الرسائل الى افلاطون . وربما شاركتها الرسالتان الثالثة والثامنة فى اجماع العلماء على صحتها اجماعا يكاد أن يكون عاما . فقد كثرت الرسائل المزيفة

فى اواخر العصور القديمة ، واستهوى هذا الشكل الادبى عددا كبيرا من أصحاب البلاغة الذين استغلوه لاظهار قدرتهم البيانية ، وحشوه بالمحسنات اللفظية والاشارات المستفيضة للحوادث التاريخية ، ونسبوا هذه الرسائل الى كثير من الشخصيات المشهورة . ولا يتسع المقام للتعرض للمناقشات الطويلة التى دارت حول اصالة رسائل افلاطون او زيفها . فقد استقر الرأى فى العصر القديم على أصالة الرسالة السابعة واصبح الاجماع اليوم تاما او شبه تام على صحة نسبتها لافلاطون . (١) أشار اليها شيشرون ووصفها فى « المجادلات التوسكولانية » « ٥ — ١٠٠ » بأنها تلك الرسالة الشهيرة ، وأفاد منها المؤرخ المشهور « بلوتارك » فى الفصل الذى كتبه عن حياة « ديون » صديق افلاطون وتلميذه الذى اغراه بزيارة

---

(١) أقول شبه تام لأن الهجوم تجدد أخيرا على الرسائل بوجه عام والرسالة السابعة بوجه خاص وذلك فى كتاب لـ . ايد لشتاين الذى ظهر ١٩٦٦ فى ليدن عن رسالة افلاطون السابعة . ويمكن الرجوع الى ملخص المناقشات حول هذا الموضوع كله فى كتاب ح . ء .ا راقن عن تطور تفكير افلاطون ١٩٦٥ ص ١٩ — ٢٦ .

متتالية اكثر من مرة كما سنرى . ومهما يكن من امر الاعتراضات التى لا تزال توجه اليها ، فليس فى اسلوب كتابتها ولا فى سياق افكارها شىء يخالف اسلوب المحاورات المتأخرة وافكارها ، كما انها تخلو من التصنع والحشو وبراعة الصقل والتأنق التى اتسمت بها الرسائل المنحولة لتى اخترعها البلاغيون المتأخرون . فهى فى مجموعها مضطربة غير متوازنة ، متقطعة ثقيلة الخطى، حافلة فى بعض اجزائها بأسرار يصعب سبرها وادراك غورها ، وفى أجزاء اخرى بالغضب والندم والانفعال الذى يرتفع مع ذلك فوق التعريض والتشفى والسخرية — اى ان فيها كل مميزات الكتابة الحية التى تتدفق مع تيار الاعتراف الجارف ، ويسرى فيها نبض الحكمة السمحة الطيبة .

والرسالة تستحق منا ان نقرأها بعناية واهتمام . فليست مجرد اعتراف شخصي أو ترجمة ذاتية أو سيرة حياة تلقى الضوء على طموح أفلاطون لتحقيق افكاره واحلامه ، والاخطار التى تعرض لها فى فترة من أهم فترات حياته ، ومحاولته « انقاذ » البشر من بؤسهم ومتاعبهم على يد « الملك الفيلسوف » الذى يجمع القوة والحكمة فى شخصه ، ويقيم الدستور الامثل ، ويدعم سيادة القانون على الحاكم والمحكوم جميعا — وانما هى بجانب ذلك كله نافذة تطل منها على قلبه الذى وقف دائما وراء فكره ، ونتعرف على معالم فلسفته المتأخرة التى فصلها فى محاورات الشيخوخة ، ولكنه لم يستطع ان يعبر عنها هذا التعبير العاطفى الحى الدقيق الذى نجده فى الرسالة السابعة .

ان الرسالة في ظاهرها رسالة سياسية موجهة من افلاطون الى حلفاء صديقه ديون في سيراقوزة « او سراقسطة كما كان العرب يسمونها » على اثر اغتيال هذا الاخير مباشرة . ولكنها كذلك تبرير شخصي للدور الذى قام به — او تورط فيه — في الاحداث التى جرت فى هذه العاصمة الصقلية والمحن التى المت بها ، بل تبرير الاغريقي وامام العالم كله . والملاحظ أن هذه الرغبة لفلسفته ومدرسته « الاكاديمية » امام الرأى العام الملحة فى التبرير تتكرر فى الرسالة بصورة صريحة « راجع الفقرات ٣٣٠ جـ ، ٣٣٧ د ، ٣٣٩ ا والعبارة الاخيرة التى تأتى فى ختامها ٣٥٢ ا » كما أن النصائح التى يوجهها لحلفاء ديون واصدقائه تلبية لطلبهم تختلط بهذا التبرير المستمر الذى يوشك فى بعض الاحيان ان يطغى عليها . وتتغلغل العاطفة فى هذين الموضوعين الاساسيين اللذين تدور حولهما الرسالة ، فهو يلح على الاصدقاء بالنصيحة ويستحثهم على الاقتداء بسيرة زعيمهم ولكنه لا يعلق عليهم الامل ولا يتوقع منهم الاستجابة . وهو يدافع عن نفسه وفلسفته وسمعة مدرسته وبلده ، ولكنه دفاع لا تخطىء فيه الاذن نغمة الكبرياء الجريحة ومرارة الاحساس بالاهانة وشدة السخط على أعدائه الذين تمكن الشر منهم حتى يئس من هدايتهم الى طريق الخير والحق والفضيلة . والواقع أن هذا الدفاع او التبرير هو الهدف الاساسى من كتابة الرسالة ، مهما اوحى الينا بانه مجرد هدف ثانوى بجانب الرد على حلفاء ديون . ولن نقدر هذا حتى نعرف شيئا يسيرا عن الاحوال السياسية فى صقلية ، والاسباب التى ادت بالفيلسوف الى زيارتها والوقوع فى شبكتها المعقدة .

زار افلاطون صقلية ثلاث مرات . كانت زيارته الاولى إبا سنة ٣٨٨ ق.م وهو فى حوالى الاربعين من عمره . ولم تكن زيارة صقلية هى غرضه الاول ؛ اذ انتهى به المطاف اليها بعد رحلة دراسية حل فيها ضيفا على صديقه النبيل « ارخيتاس » حاكم « تارنت » فى جنوب ايطاليا ورأس المدرسة الفيثاغورية فيها . ولسنا نعرف فى الحقيقة ما الذى دفعه الى زيارة سراقوزة ، ولا ندرى ايضا ان كان قد اتصل بالطاغية ديونيزيوس الاول الذى كان يحكمها فى ذلك الحين . (١) ولكن القدر اتاح له ان يكسب صديقا سيظل يذكره ويعتز طوال حياته بوفائه وتضحيته وسيرته « الفلسفية » الحقة . ذلك هو «ديون» صهر الطاغية وشقيق احدى زوجتيه ، وكان يبلغ من العمر زهاء اثنين وعشرين عاما . اشترك الصديقان فى حوار فلسفى اثر على ديون وحول شخصيته الى درب الفلسفة تحويلا تاما . ولمست عصا المربى الساحرة اعماق الصديق الشاب فانطوى على نفسه فى البلاط الذى كان يموج بالدسائس والمؤامرات ، وعكف على

---

(١) كان ديونيزيوس الأول قد تمكن من السيطرة على صقلية ومعظم الجزر اليونانية في جنوب ايطاليا واقام فيها حكما مستبدا لم تشهد له مثيلا فى الظلم والطغيان ، واستطاع بمساعدة المرتزقة الأجانب أن يوقف زحف القرطاجيين الذين احتلوا الشريط الغربى من الجزيرة ولم تنقطع محاولاتهم بعد ذلك للاستيلاء عليها . ومع أن ديونيزيوس حافظ على الشكل الديموقراطى للحكم ، فقد كان من أبشع الطغاه الذين عرفهم التاريخ القديم أو الحديث وبلغ من استبداده أن خربت مدن الجزيرة وهجرها معظم سكانها . ولعل شخصيته أن تكون وراء الهجوم الضارى الذى يشنه أفلاطون على الطاغية والطغيان فى الجمهورية (خصوصا فى الكتاب التاسع) وغيرها من محاوراته .

الحياة في عالم المثل الذي جذبه اليه المعلم الاثيني الكبير .

وانطوت عشرون سنة « مات ديونيزيوس الاول سنة ٣٦٧ ق . م وخلفه في الحكم ابنه ديونيزيوس الثاني الذي كان الاب قد فرض عليه الجهل والحياة في الظل ولم يكن الملك الشاب مجردا من الموهبة والاستعداد الفطري . ولكنه كان في نفس الوقت انسانا ضعيفا عاجزا عن الاستقلال بنفسه ، سهل الانقياد لكل همسة في اذنه . وتصور ديون أن الفرصة قد جاءت ليصنع منه الحاكم الفيلسوف الذي حلم به تحت تأثير افلاطون . ويبدو انه نجح في اقناع ابن شقيقته بأفكار افلاطون السياسية . وسرعان ماتحمس لها الملك الشاب ورحب بدعوة أفلاطون الذي استجاب لتوسلات صديقه الشاب بعد تردد : وحضر الى صقلية سنة ٣٦٦ ق . م ليسانده في تحقيق حلمه « وترويض » الطاغية الجديد الذي لم يكن يحسن الظن به كثيرا . واستقبل الفيلسوف بالحفاوة والتقدير ولم تمض ثلاثة شهور على وجوده في صقلية حتى آتت دسائس البلاط ثمرتها المرة . فقد نشب الخلاف بين ديون وديونيزيوس ، وفوجيء أفلاطون بنفي صديقه وتلميذه من صقلية . وبقي بعد ذلك فترة قصيرة على أمل أن يتمكن من التأثير على الملك الشاب ، ولكن الشر الذي استشرى في نفسه وفي البلاط كانا أقوى منه ، وتكسرت سهام الحكمة والاقناع على جدران الاستبداد والفساد . ولما يئس الفيلسوف من اصلاحه وتأكد من فشله في مهمته اقتنع بضرورة الرحيل . ولم يكن ذلك بالامر اليسير على طاغية يخشى على سمعته من اتهام الرأي العام

اليوناني بسوء معاملة الفيلسوف . ولهذا وعده افلاطون بالعودة الى سيراقوزة حالما تتغير الظروف السياسية وتمكن معاهدة السلام مع القرطاجيين . ووافق ديونيزيوس الذي كانت لاتزال لديه بقية من الوفاء والعرفان . وتمكن افلاطون من مغادرة الجزيرة والرجوع سالما الى بيته .

تجددت الدعوة سنة ٣٦١ ق . م واستجاب لها الفيلسوف على الرغم من سوء ظنه بالطاغية الشاب واكتشافه انه اخلف وعده بالموافقة على رجوع ديون من منفاه . ويبدو أن أفلاطون لم يشأ ان يضيع على نفسه الفرصة الاخيرة لتحويل ديونيزيوس الى طريق الفلسفة ، ولم يفقد الامل فى مساعدة ديون والوقوف بجانبه ، ولم يقطع كل رجاء في « أنقاذ » سكان الجزيرة والعمل على سيادة القانون واقامة دستور عادل يحل محل الحكم المستبد ويساعد على النهوض بمستوى الاخلاق واعادة تعمير المدن المخربة . غير ان الزيارة الاخيرة تحولت الى كارثة . فلم يف ديونيزيوس بشيء من وعوده ، ولم يدخل في حوار مع الفيلسوف الا مرة واحدة . ووجد أفلاطون نفسه سجينا كالطائر الحبيس فى قفصه . وتأزم الموقف حتى تعرضت حياته للخطر ، وحاصره التهديد بالقتل فى كل لحظة . ولولا مسارعة صديقه أرخيتاس بالتوسط له عند الطاغية لما قدرت له النجاة من الموت ..

هكذا رجع أفلاطون فى سنة ٣٦٠ ق.م الى بلده وهو يطوى فى صدره الشعور المرير بخيبة الامل . فقد كان من الطبيعى أن تثير المغامرة الفاشلة احاديث الناس وتفتح عيونهم على الحقيقة المؤلمة التى ابرزتها حوادث

صقلية ، وتقنعهم آخر الامر بغرابة الافكار السياسية التي ينادي بها الفيلسوف وبعدها عن الواقع . وكان من الطبيعي ايضا أن يكون هذا الفشل ضربة قاسية للمعلم ومدرسته . وزاد من مرارة الصدمة ان الطاغية الشاب لم يقتصر على اساءة معاملته ، بل حاول كذلك ان يحشر نفسه في ثياب فلسفته ويدعي شرف الاحاطة بها ! فلم تكد تمضي شهور قليلة على رحيل افلاطون حتى ذاع بين الناس انه نشر كتابا فلسفيا من تأليفه . صحيح أنه لم يزعم فيه انه يعرض مذهب افلاطون ، ولكنه كان يطمع على اقل تقدير أن يكون شاهدا على قدرته على فهمه واستيعابه . وتتناول الرسالة السابعة هذه القضية باسلوب لا يخفى غضب الفيلسوف واستنكاره . ويزيد من هذا الغضب والاستنكار ما يؤكده عن نفسه من تهيب الكتابة عن الامور المتصلة بالحقيقة ، وايمانه بأن القضايا الاساسية في الفلسفة تستعصي على التدوين في الكلمات الجامدة والحروف الصماء ، لان شرارتها الحية لا تتقد الا اذا احتك رأى برأى ، واتصل حوار بحوار .

والتقى افلاطون بصديقه وتلميذه ديون في الالعاب الاوليمبية وروى له القصة باكملها . وصمم ديون على الثأر للظلم الذي حاق بمعلمه وبالفلسفة . لم يحبذ المعلم فكرة اللجوء الى العنف ، ولكنه لم يستطع أن يمنع نفرا من الشباب ومن بينهم عدد من تلاميذه في الاكاديمية من الالتفاف حول ديون والانضمام الى صفوف الحملة الصغيرة التي بلغت شواطىء صقلية سنة ٣٥٧ ق . م ونجحت نجاحا لم يتوقعه لها احد . واستقبله سكان سراقوزه ، بالفرح والهتاف ، وتمكن من السيطرة على

المدينة دون مقاومة تذكر . وتحصن ديونيزيوس فترة فى قلعة « أورتيجيا » ، ولكن ديون تمكن بمساعدة المرتزقة من طرده من الجزيرة ، فلجأ إلى املاكه فى جنوب ايطاليا

واستمر ديون فى حكم الجزيرة أربع سنوات . غير انه فشل فشلا ذريعا فى تحقيق برنامجه الاصلاحي الذى تشيد به الرسالة ، وأثبت عجزه عن استرضاء الناس

وادارة شئون الحكم . واضطر محرر الجزيرة ان يتحول الى اقسى طاغية عرفته . وكانت النتيجة ان اقصاه عن السلطة أحد قواد الجنود المرتزقة الذين مكنوه منها ؟ وانتهى الامر باغتياله سنة ٣٥٣ــ٣٥٤ ق.م بيد أحد

قوادهم ، وهو صديقه الاثيني « كاليبوس » الذى وضع ثقته فيه .. ولم يكن القاتل لحسن الحظ من تلاميذ

افلاطون فى الاكاديمية . ولهذا نجد الفيلسوف يتبرأ منه ويبرىء مدينته من جريمته . ولجأ حلفاء ديون الى مدينة

« ليونتيني » ، وارسلوا الى أفلاطون يسألونه النصح والمشورة فكان رده هو هذه الرسالة السابعة . لم يكن فى امكانه أن يكتفى بالنصح والارشاد . فقد أثارت المناسب

كوامن احزانه وفتحت جروح ذكرياته . ولم يستطع القلم ان يسيطر على آلامه فاندفع مع تيار الكتابة على هذا النحو الذى لا يخلو من التعثر والغموض ، وترك لنا معضلات لا يسهل فهمها أو حلها .

ولابد لنا قبل الكلام عن الرسالة نفسها من تتبع احداث صقلية الى نهايتها . فقد انضم « هيبارينوس »

ـ وهو ابن ديونيزيوس الاول من شقيقة ديون واخـــو ديونيزيوس الثاني غير الشقيق ـ الى صف حلفاء ديون ؛ وتمكن من طرد « كاليبوس » من سراقوزة والاستيلاء على الحكم . غير ان الامور ظلت مضطربة ، ولم يستطع ان يثبت اقدامه في الجزيرة . وتقع الرسالة الثامنة في هذه الفترة الحرجة بين انضمام « هيبارينوس » الى حلفاء ديون وسقوطه بعد ذلك بسنتين على اثر اغتياله بيـــد شقيقه نيزايوس ويبدو أن أتباع ديون توجهوا مـــرة اخرى الى افلاطون طلبا للنصح والمعونة . ولهذا نجـده في الرسالة الاخيرة يقترح عليهم أن يقدموا تضـــحية « افلاطونية » اصيلة ؟ كان خطر تدخل القرطاجيين يهددهم من ناحية ، واخبار الهجوم المتوقع من ديونيزيوس الثاني تؤرقهم من ناحية اخرى .. ولهذا اقترح عليهم افلاطون أن يستدعوا ديونيزيوس لتولى الملك في سيراقوزة ؛ وحاول أن يخفف عنهم وقع المفاجاة فاشار عليهم بأن يتولاه بالاشتراك مع ملكين آخرين احدهما هو هيبارينوس نفسه « قبل اغتياله » والاخر هو أحد ابناء ديون الذي لم يذكر اسمه ويبدو انه ولد في السجن بعد موت أبيه .

غير أن اقتراح المصالحة كان أبعد مايكون عن واقـــع الجزيرة التي تحولت الى ساحة صراع وحشي على السلطة فلم يلبث ديونيزيوس ان غزا الجزيرة ونشر عليها ظلال استبداده . ولم يدم هذا الاستبداد طويلا ، اذ توجه اهالي سيراقوزة سنة ٣٤٥ ق.م ـ اى بعـــد مـوت افلاطون بسنتين ـ الى مدينتهم الام كورنثه طالبين النجدة

ترسل اليهم حملة بقيادة « تيموليون » (١) المشهور . ونجح هذا القائد الشجاع فى اقرار السلام والامن فى ربوع الجزيرة التى مزقتها الحروب . اما ديونيزيوس فقد عاش بعد ذلك حياة رجل عادى وان كانت الحكايات الشعبية قد جعلت منه فى النهاية معلما أو ناظر مدرسة .

***

يبدأ افلاطون باعلان استعداده لمساندة حلفاء ديون واتباعه ، وذلك بشرط ان تكون آراؤهم وأهدافهم متفقة مع الآراء والاهداف التى آمن بها ديون وسعى لتحقيقها . فقد قامت خطته السياسية على الاحاديث التى جرت بينهما اثناء زيارته الاولى لصقلية ، وهو لذلك أقدر من غيره على الحكم عليها . ويستغل الفيلسوف هذه المناسبة للحديث عن تطور أفكاره السياسية ، واهتمامه فى صدر شبابه بالمشاركة فى شئون الحكم ، ثم عزوفه عنها بعد

---

(١) تيموليون (مات حوالى سنة ٣٣٧ ق . م) قائد وسياسى يونانى من مدينة «كورنثه» خلص سكان صقلية من طغيان ديونيزيوس الثانى ومن القرطاجيين الذين كانوا يحتلون غرب الجزيرة . وقد تمكن من احتلال سراقوزة سنة ٣٤٣ ق . م واقام فيها دستورا يحميها . من الطغيان ، وانهارت النظم الفردية المطلقة فى الجزيرة تحت تأثير حكمه العادل . تخلى عن السلطة ورجع الى حياته الخاصة سنة ٣٣٧/٣٣٦ ق . م وأصيب بالعمى قبل موته ، وودعه أهل سراقوزة وداعا مهيبا إلى قبره .

مارآه من تخبط نظم الحكم الفردية والشعبية على السواء. والجريمة التي ارتكبتها باعدام استاذه وحبيبه سقراط . وفي هذا الجزء من الرسالة نجد العبارة المشهورة التي يسجل فيها بأسه من الاحوال السياسية التي توالت على بلده ؛ واتجاهه الى الفلسفة التي أصبحت أمله الوحيد في « انقاذ » البشر ، وتحوله بعد ذلك الى التعليم والتربية :

وهكذا وجدتني مدفوعا الى الاعتراف بقيمة الفلسفة الحقة والتاكد من انها هي وحدها التي تمكن الانسان من معرفة العدل « والصواب » الذي تصلح به الدولة والحياة الخاصة ، وان الجنس البشري لن يتخلص من البؤس حتى يصل الفلاسفة الاصلاء الى السلطة ، او يصبح حكام المدن ــ بفضل معجزة الهية ــ فلاسفة اصلاء » .

ويعود للحديث عن ديون : عن الآمال التي عقدها على ديونيزيوس الذي تولى الحكم بعد موت ابيه ، ودعوته لافلاطون الذي استجاب لندائه حبا له وأملا في تحقيق افكاره النظرية في الواقع . وتتم الزيارة الثانية ، وتتتابع الاحداث المفاجئة فينفى ديون ، ويكتشف استعدادهم للسير على درب الفلسفة . ولا يوضح افلاطون طبيعة هذه التجربة ، بل يكتفي بالاشارة الى مشقة الطريق ، وحاجة الممتحن الى تغيير حياته من اساسها ليصبح اهلا للتفلسف . وقد أخفق ديونيزيوس في هذا الامتحان وظهر عجزه الواضح من الحوار الوحيد الذي اجراه معه ؟ ويتطرق الحديث الى الكتاب الذي سمع بأن ديونيزيوس وضعه عن مذهبه . وعبثا يحاول افلاطون الاستخفاف بهذه المسالة . فنغمة السخط والاحتقار

تردد في كل كلمة يقولها عنها . » وبعد ذلك يلغني انه كتب رسالة عما سمعه في ذلك الحين ، وانه صور الامر كانها رسالة من تأليفه وتعبر عن مذهبه لا عما سمعه . ولكنني لا اعرف شيئا مؤكدا في هذا الشأن » . هل اراد هذا المؤلف الصغير أن يستغل ماشاع بين اليونانيين عن المودة التي بينهما لكي يشوه صورته لديهم ويثير سخريتهم على مذهبه ؟ اليس غدرا لا نظير له من تلميذ دعي لم يستمع الى المعلم الا مرة واحدة ، ومع ذلك واتته الجراة على تقديم آرائه للناس في ثوب بال مسكين ؟ وترتفع امواج الغضب في قلب الفيلسوف المهـــان فيصرخ باعترافات جديدة من فوق مركبه المحطم . لم تكن هذه هي أول مرة تصيبه فيها مثل هذه المصيبة . ولكن الكتب التي نشرها هؤلاء المؤلفون المزعومون تشهد بانهم لايفهمون من الفلسفة شيئا . والدليل على هذا ــ وهو دليل يفاجأ به القارىء ــ انه لم ينشر طوال حياته شيئا عنها ــ . صحيح انه لا ينكر محاوراته . ولكن هذه المحـــاورات لا تتناول شيئا عنها . وهو للاسف لا يوضح لنا مايقصده بذلك . فهل نزه « المشكلات الاولى والاخيرة » عن لعنة الكتابة ؟ هل اراد ان يحميها من الالتفاف في أكفـــان الكلمات الجامدة وتوابيت الحروف الباردة ؟ اكان كـل مادونه من محاورات مجرد لعب وتسلية ؟ حقا ، ذلك كان مراده . فالفلسفة تتابى على الكلمة المدونة التي تتســع لغيرها من العلوم ، لان حقيقتها « تنبثق في النفس فجأة بعد مشاركة طويلة وتعاون مستمر في العكوف عليها كما ينبثق نور يقدحه نبض شرارة ، وهنالك ينمو في أعماق النفس ويحيا » . . ولو تصور ان نشر مؤلفاته يمكن ان

ينفع الناس ، فهل كان يتردد من تقديم مذهب ينقذهم من تعاستهم ويبين لهم حقائق الاشياء ؟ هل كان يمكن ان يقوم في حياته بعمل أجمل من هذا العمل ؟ ولكنه مقتنع بأن هذا لن يجذبهم شيئا . بل ربما جر عليهم الاذى والاضطراب ، لان القلة القليلة منهم هي التي ستفهمه على الوجه الصحيح .

ولعل افلاطون لم يتصور ان الناس ستقتنع بهذه الحجة ، أو لعله هو نفسه لم يقتنع بها ؟ فهو يقدم الان « حجة لا يمكن دحضها » ، وهي حجة تستغرق الفصل المسير المشهور عن نظريته في المعرفة . ويبدو هذا الفصل غريبا في رسالة موجهة الى اناس يطلبون منه الراي والمشورة في موقفهم العسكري الحرج ، كما يبدو غريبا لانقطاع السياق والتحول الى مسألة فلسفية لا مكان لها فيه . وقد ذهب الى هذا الراي معظم المتشككين في أصالة الرسالة ، ولم يتردد بعض المؤيدين لصحتها من نسبة هذا الجزء الى كاتب متأخر أراد أن يثبت اطلاعه على نظرية المثل (*) . . ولكن الذي يعرف هدف افلاطون

---

* نذكر على سبيل المثال الباحث كونسطنطين ريتر الذى أيد صحة الرسالة وأصالتها وتشكك حتى آخر حياته في الجزء الخاص بنظرية المعرفة ومستوياتها المختلفة مؤكدا نسبته الى أحد تلاميذ افلاطون واتباعه وهو فيليموس أو بوس . وقد استند «بيتره في رأيه هذا الى أن تقسيم أفلاطون وعرضه لمستويات المعرفة مختلف عن المواضع المناظرة في محاوراته . ولكن هذه الشكوك وأمثالها لا تمنع أن يكون افلاطون قد أعطى لنفسه الحرية في تناول موضوع المعرفة بصورة مختلفة عن الصورة التي تناوله بها في محاوراته ، نظرا لاختلاف السياق والهدف في الحالين .

الحقيقي من كتابة الرسالة ــ وهو كما قلت تبرير زيارته العقلية والدفاع عن فلسفته ــ لن يستبعد عليه أن يتطرق الى نظرية المثل التى ظلت شغله الشاغل فى اواخر حياته ، ولم يتوقف عن شرحها واثباتها والدفاع عنها في محاوراته المتأخرة . لقد كانت أساس فلسفته وقمتها العالية فى وقت واحد . ولهذا ليس غريبا أن تحتوى على جانب « مقدس » يحميه من تطفل الكثرة الجاهلة . وليس غريبا ان يشهد انبغ تلاميذه « ارسطو » بأنهــا كانت تزداد غموضا على غموض ، وتلتف في دروسه الشــفهية الاخيرة في ثوب رياضي عسير .

يؤكد افلاطون انه اعلن من قبل عن هذا « اللوجوس الحق » . ولابد انه يقصد بذلك محاضراته الشفهية ، لان كل تفاصيل هذا الجزء المتعلق بنظرية المعرفة مثبتة في محاوراته المكتوبة . ومع ذلك فان هذه التفاصيل لا تغنى عنه ، لانه في مجموعه شيء نادر وفريد ، ولابد ان افلاطون وجد مشقة فى تدوينه ، اذ يصفه فى النهاية بانه « اسطورة » « وتحسس للطريق » ، وكأنه لحن وقعه العازف الماهر فجأة وخرج به عن مجرى النهر المتدفق بالالحان .

تحيرنا العبارات الاولى من هذا الفصل . فهى تضع ادوات المعرفة أو سبلها المختلفة فى صف واحد مع موضوع المعرفة نفسه . انه سلم من الكيفيات المتفاوتة الدرجة . فأدناها واقلها قيمة هو الاسم ، يتلوه التعريف وبعدهما تأتى النسخة « التمثل أو النموذج » ثم المعرفة وفى نهاية السلم يشمخ المثال الذى تتطلع الى معرفته . واذا كان التعريف فى محاورات افلاطون المبكرة هو الذى

يفتح لنا طريق المعرفة ، فان وضعه له هنا تحت النسخة أو التمثل لا يعني انه يحط من شانه .

وينتقل افلاطون الى مثال يبين مايقصده بالادوات الثلاث الاولى للمعرفة . اما الاداة الرابعة فيقول انها تتعلق بهذه الامور ، اى بالدرجات الدنيا التى يوضحها المثل المضروب . ونحس فى هذا الموضع ان تجربة المعلم تفرض نفسها عليه ، وكأنه يتحدث عن خبرته مع تلاميذه فى الاكاديمية ومدى استيعابهم لادوات المعرفة الثلاث . وينقسم المستوى الرابع الى مستويات اخرى تندرج تحته . وهى بدورها مستويات متفاوتة . ولكنها جميعا تدور داخل النفس . ويقدم لنا مثلا جديدا يعلق عليه بقوله « واذا لم يتيسر لهم الامور الاربعة الاولى مجتمعة ، فلن يتمكن الانسان ابدا من معرفة الخامس معرفة تامة . ومعنى هذا بعبارة اخرى ان المعرفة ـ بجانب الادوات الثلاث الاخرى ـ هى التى تتيح معرفة الموضوع الخامس ، ان صح ان المثال موضوع ، او ان طريقة معرفتنا له يمكن ان تسمى معرفة « فهى لعمرى شىء غير محدد ، لا يمكن ان تنقله الكلمة او تصفه ، شىء اقرب للنظر او الرؤية » لا بل ان من شانه انه لا يكاد يرى « الجمهورية ٥١٧ ب ، ٧ » . والحق ان افلاطون لا يقدم لنا معنى محددا لمفهومه عن المعرفة . فهناك المعرفة التى تدل على تمثل النفس لادوات المعرفة الثلاث ، وان تكن فى نفس الوقت مجرد اعداد لمعرفة الخامسة ، اى ان فعل المعرفة ينقسم فى واقع الامر الى فعلين : احدهما تمهيدى والآخر نهائى . والاهم من هذا كله ان ادوات المعرفة الاربع تعانى من ضعف مشترك . وهذا يذكرنا بمحاورات

الشباب التي يعتب فيها سقراط على محدثيه لانهم يبحثون دائما عن الكيفية «الخير» بدلا من أن يبحثوا عن المثال «الخير» . ويخرج افلاطون عن دور الناقد للمعرفة ليتحدث عن الكتاب المزعوم الذى أفضى به الى الاستطراد فى كلامه عن المعرفة ، فيؤكد ماسبق أن قرره من سوء الظن بالكلمة والحرف المكتوب ، وايمانه بأن « المشكلات الاخيرة » تستعصى على التعبير والتدوين ، وكل مايكتبه الكاتب عنها لا يعدو أن يكون ظلا باهتا للتجربة الحية الكامنة فى اجمل مكان من أعماقه :

« ولهذا فلن يخاطر عاقل بوضع افكاره فى ثوب هذه اللغة الضعيفة ، والاولى من ذلك ألا يخاطر بوضعها فى ذلك الشكل الجامد الذى يميز كل مايكتب بالحروف » .

ويوضح افلاطون قوله بمثال الدائرة . فكل الدوائر المحسوسة ظلال ونسخ باهتة من الدائرة فى ذاتها . وكل ادوات المعرفة بما فيها المعرفة نفسها ـ لا تقدم للنفس المتطلعة للحقيقة الا الصفات والكيفيات ، سواء فى صورة كلمات ـ بالاسم والتعريف ـ أو فى صورة مادية محسوسة ـ بالتمثل او النسخة ـ ومعنى هذا انها لا تقدم للنفس الا مالا تريده ! ومن السهل أثبات الخداع والضلال فى مثل هذه المعرفة . وليس هذا بالامر الخطير حين نكون بصدد موضوعات عادية لا نلتمس فيها الحقيقة المطلقة : « عندئذ لا نضع انفسنا موضع سخرية السائلين ، حتى ولو كانت لدى هؤلاء القدرة على نقد أدوات المعرفة الاربع واثبات خطئها » . أما اذا أصر السائل على الحصول على جواب شاف عن « الخامس » ـ اى عن المثال لا عن الصفة والكيفية ـ فسوف يخرج من الحلبة منتصرا بعد

ن يكتشف عجزنا عن تقديم مثل هذا الجواب . فليس الطريق الى المثال سهلا ولا معبدا ، ولا التفلسف — — وهو الطريق الصاعد اليه — ميسورا لكل انسان . لابد اذا من محاولة الادوات الاربع ومعاودة المحاولة — عندئذ يمكننا أن نهيىء للخير ولمعرفة الخير « ولن يتيسر هذا أيضا بغير الجهد والصبر والعناء ! » لان النفس الالهية هي وحدها التي يمكن أن تقترب من المثال الالهى . والشرط الاكبر هو هذا الخير . فاذا غاب عن انسان — كما هو حال الكثرة من الناس — فلن يقدر « لينكويس » نفسه أن يعلمه الرؤية « ولينكويس هو زرقاء اليمامة فى اساطير الاغريق ! » هذه « الخيرية » تقوم على الطبع الخير والموهبة . فاذا توفرتا لانسان أمكنه أن يتفلسف . ولاشك ان هذا الانسان نادر الوجود ، فمعظم الناس قد تلفت نفوسهم ، وامتلأت باللؤم والغدر والحسد والغباء قد يتعلم هؤلاء شيئا عن أدوات المعرفة الاربع ، وقد يقراون عنها او يكتبون فيها آلاف الصفحات . ولكن هذا لن يغير من الحقيقة شيئا : والحقيقة انهم ابعد الناس عن روح الفلسفة ، لانها لا تمد جذورها فى طباع غريبة عنها ، كما أن النفس التي تخلو من الخير والجمال لن تشعر بصلة القرابة بمثال الخير والجمال . ولن يزيد الذكاء وقوة الذاكرة أصحاب النفوس المطبوعة على الشر الا قدرة على الشر ولهذا كان احد تعريفات الفلسفة عند افلاطون هو هذا التعريف المشهور : التشبه بالله بقدر الطاقة . وهل يسعى الى الشبيه الا الشبيه ؟ هل يحس صلة القرابة بالخير الا خير؟ يكفى أن تتلفت حولك لتتأكد من صدق افلاطون : فكم

من مشتغل بالفلسفة أو العلم لم يزده ذلك الا قــدرة على الشر والغدر والتطاول والايذاء ! .

ولكن ماذا يريد افلاطون على وجه التحديد « بالامور الحاسمة » او المسائل الاولى والاخيرة التى تحتاج للجهد المشترك المتجدد ، وتتطلب الاستعانة بادوات المعــرفة جميعا حتى يمكن بلوغ الهدف ؟ وماهو هذا الهدف الذى يقصده ؟ .

انه المعرفة الممكنة بحقيقة الخير والشر وافلاطون يضيف الشر صراحة ليؤكد أن العلم به ضرورة لا غنى عنهــا . ولكنه لا يكتفى بهذا ، بل يزيد عليهما ضرورة العــلم « بالمظهر والحقيقة فى الطبيعة كلها » . فهل معنى هذا أن الهدف من الفلسفة الطبيعية لا يقل اهمية عن الهــدف الاخلاقى ؟ الواقع ان هذه مسالة غامضة محيرة . وهى تقف بنا على أبواب منطقة مجهولة فى فلسفته المتاخــرة لا يساعدنا هو نفسه على الدخول اليها . ومع ذلك فقد يخفف من حيرتنا أن افلاطون يهتم دائما بالطريق اكثر من اهتمامه بالهدف . وهو يفعل هذا فى خطابه السابع وفى سائر محاوراته « لان الفلسفة طريق ، والحوار الحــر السمح هو ايقاع الخطوات الجدلية على هذا الطريق ! » ومن الطبيعى أن يؤكد مشقة الجهد والوقت اللازم للسير عليه . وعندما يتم « احتكاك » أدوات المعرفة الثــلاث بعضها ببعض ، عندما تخضع لبحث « سمح » من اناس يتحاورون ويتبادلون الاسئلة والاجوبة « بلا حسد او اثم » ـ عندئذ يمكن ان يستطع فى انفسنا نور الفهم . ولاشك أن عودة افلاطون الى استخدام صورة النــور لا يخلو من دلالة ، ولابد انه يحمل نصيبا من خبرته فى

التعليم وتجربته مع الحياة والناس . فالنور لا ينبثق الا بالجهد المتصل والتعاون السمح المشترك « الذى حرص عليه فى اكاديميته ! » . وشرارة الفهم والمعرفة لا تنقدح الا بالحوار لا بالكلمة المكتوبة والحرف الجامد . ولو بعث بيننا اليوم لفر مذعورا الى قبره بمجرد ان يرى آلاف الصفحات المكتوبة ولا يلمح فيها شعاعا واحدا من النور ، وآلاف الادعياء والحاسدين ولا خير عندهم ولا فضل ! ومن يدرى ؟ فربما صرخ بعبارته التى يختم بها حديثه فى هذا الموضع من رسالته قبل ان يغلق عليه باب القبر: « ولهذا لن يفكر اى انسان جاد فى الكتابة عن الموضوعات الجادة حتى لا يجعل الحقيقة نهبا لحسد الناس وغبائهم» وتسال نفسك : ماذا يفعل اذن بالحقيقة ان لم يكتب عنها ؟ ماذا يفعل اذا كانت الكتابة لا تجدى واذا كانت الظروف لا تسمح بالجهر برايه ؟ ــ ربما كان الجواب هو ماقاله افلاطون نفسه : يحفظها فى ركن ناء من اعماق القلب !

***

ما الذى يسترعى انتباهنا فى تحذير افلاطون من الكتابة والمكتوب ؟ أنه شيء « لا عقلى » ، قد نحسه ونتذوقه ، ولكنه يستعصى على الفهم والتحديد . ومن الصعب أن ندرجه فى الظواهر اللاعقلية المعروفة . فليس تصوفا صريحا لانه ينطوى على هدف عقلى واضح للمعرفة العلمية . ولاهو مجرد تعبير عن فعل المعرفةالخالصة الذى يكون فيه طريق البحث عن الحقيقة اهم من الحقيقة نفسها كما حاولنا أن نفسره . ومع ذلك ففيه شيء من التصوف وشيء من مشقة الطريق وعناء الفعل . والأمر المؤكد على

كل حال ان اللغة ـ وهي وسيلة التعبير المألوفة عن المعرفة والحقيقة ـ تعجز عن توصيله . بل ان افلاطون يقــرر عجزها وقصورها ، كما ينهى كل أنسان جاد من أن تحدثه نفسه بالكتابة عن « حقائق الاشياء » . اهو تبرير لمنهج الحوار الذى سار عليه ؟ ام تنبيه الى جدية الموضــوع وصون له عن طموح المتعجلين والادعياء الذين يسارعون للكتابة فى كل شىء ، ويتوهمون انهم فهموه وانتهوا منه بمجرد تقييده فى الحروف الميتة ؟ ام هو فى النهــاية درس استخلصه من تجربته مع تلاميذه فى الاكاديمية ؟ لن نستطيع ان نقطع بشىء فى هذه المسالة . ويكفى ان نشعر بالتحذير ونخشع لرهبة النذير . فلعل هــذا ان يمنعنا على أقل تقدير من الاسراف فى الــكتابة التى استشرى وباؤها فى عصر الكتب والمذكرات الركيــكة « والحكماء » الذين تبرأ منهم الحكمة ..

لا يكاد افلاطون ينتهى من هذا الفصل الخاص بنظرية المعرفة حتى يرجع للكلام عن ديونيزيوس ، وكأن ماجاء فيه لم يكن الا محاولة لاقناعنا بأن كل من يكتب عن حقائق الطبيعة لا يفهم عنها شيئا ، سواء أكان هــو هــذا الطاغية أم غيره ! ولو حاولنا الاعتذار عنه بانه اراد بتاليف كتابه أن يساعده على التذكر ، فلن يكون ذلك الا السخف بعينه . فالغرور هو الذى دفعه لما فعل ، والتمسح فى الفيلسوف امام الرأى العام هو الذى جعله يقع فيمــا وقع فيه . وهل يكفى اللقاء الواحد الذى تم بينهما لتلقى العلم ؟ ولماذا اكتفى بهذا اللقاء الوحيد لو كانت نيتــه خالصة له ؟ الواقع انه وجد نفسه عاجزا عن تغيير حياته وسلوكه بما يتفق مع الحكمة وواجباتها المضنية . ولو

كان مخلصا في زعمه لما امكنه ان يهين الرجل الذى هـو الدليل والحجة فى هذا الامر .

وهكذا يستطرد افلاطون فى الرواية عن رحلته الثالثة الى صقلية . ولا يحتاج هذا الجزء الى شرح او تفسير ، فسيرى القارىء ان الخطر كان يهدده من كل ناحيـة ، وان تدخل اصدقائه الفيثاغوريين كان ضرورة ملحة . ثم يأتى الحديث عن لقائه بديون فى اوليمبيا . ولا يستطيع الفيلسوف ان يحول بين ديون وحلفائه وبين اللجوء للقوة ولكنه يمتنع عن تقديم اية مساعدة ايجابية . لقد جروا على انفسهم كل الكوارث التى اصابتهم منذ ذلك الحين . بل ان الجناية لتعود فى النهاية على ديونيزيوس ، لان ديون لم يكن يستحق المصير الذى انتهى اليه . كـانت مقاصده نبيلة ، ولم يكن مجرد مثالى أعمى . ولكنه أساء تقدير الواقع ، واستهان بالاخطار المحدقة به : « لقد كان يعرف ان الذين تسببوا فى سقوطه أشرار ، اما مـدى فظاظتهم وخستهم وجشعهم فذلك هو الذى غاب عنه » وهكذا راح ديون شهيد الفلسفة .. حاول ان ينقذ البشر لكنهم عجزوا كالعادة عن انقاذ أنفسهم ..

وتأتى الخاتمة فتحاول أن تبرر اقحام تجاربه فى النصيحة الموجهة الى اتباع ديون . ومع انها نصيحة بلا امل ، فان الامل الوحيد الذى يعبر عنه فى النهاية هو ان تكون مبررات « الورطة » كلها مقنعة ..

هكذا تنتهى الرسالة السابعة المشهورة . فهل ينتهى معها الامل فى « الانقاذ » ؟ هل كتب على الفلسفة ان تحصد المر من صراعها الدائم مع الواقع ؟ أم علينا ان

تجريب المحاولة دون ان يخذلنا اليأس ! هل نظل ننتظر « المنقذ » ام يجب علينا أن نبدأ بانقاذ انفسنا ؟ وكيف ننقذها ان لم نتعلم كيف نثيرها ونحولها ونربيها على محبة التفلسف وواجباته ؟ الم تكن هذه هي رسالة المربي اليوناني الكبير وغيره من المربين العظام ؟ وماذا نفعل نحن اليوم بعد ان استفحلت الكارثة واصبحت الفلسفة نفسها في حاجة الى الانقاذ من ايدي الاشرار الذين يتسلطون ويزورون ويغدرون باسمها ؟ من ينقذها من التفاهة والعقم والخراب حتى يتسنى لها ان تنقذ المدينة وتحرسها ؟!

واخيرا فقد اعتمدت فى هذا النص على الترجمتين الالمانية والانجليزية اللتين قام بهما والترهاملتـــون (١) وارنســت هوفالد (٢) واشرت الى الفروق الطفيفة بينهمـــا كما افدت من شروحهما وتعليقاتهما اعظم فائدة . وتجــد النسخة الانجليزية مرموزا اليها فى الهامش بالحـــرف « ب » والالمانية بالحرف « أ » . واما الارقام المسلســـلة المثبتة على هامش النص فتتبع ترقيم طبعة هنرى ايتيين « هنريكوس آستيفانوس » التى يرجع اليها عادة فى نصوص افلاطون . وقد كان بودى أن أضاهى الترجمتين على النص الاصلى ــ كما فعلت مع نصوص أخرى للشاعرة سافو ولارسطو وافلاطون نفســه ــ ولكننى لم استطع العثور على الاصل اليونانى اثناء العمل فى هذا الكتاب .

---

(1) Plato; Phaedrus and the seventh and eighth letters. Translated with intoductions by waltr Hamilton. London, Penguin Books, 1973.

(2) Platon; Der Siebente Brief. Übersetzung und Nachwort von Ernst Howald. Stuttgart, Reclam, 1971.

الرسالة السابعة لأفلاطون
من افلاطون إلى اقارب ديـــون واصدقـائـه

٣٢٣ هـ كتبتم الى فى خطابكم تقولون أن على ان اقتنع بأن آراءكم تتفق مع آراء ديون ، ولهذا تحثوننى على التعاون معكم بالقول والفعل بقدر ما استطيع .

٣٢٤ ا فاذا كانت آراؤكم واهدافكم هى نفس آرائه واهدأفه فاننى أعدكم بالتعاون معكم ، والا فاننى ساضطر الى التروى والتدبر فى الامر . أما عن طبيعة معتقداته وغاياته فاننى آنس فى نفسى القدرة على الحديث عنهـا حديثا يعتمد على المعرفة الواضـــحة لا على الظـــن والتخمين . (١) فعندما وصلت لاول مرة الى «سيراقوزه» ــ وكنت أبلغ من العمر حوالى الاربعين ــ كان ديون فى نفس سن « هيبارينوس » الان ، وقد احتفظ منـــذ ذلك الحين وحتى يوم مماته بالعقيدة التى آمن بها ، وهى ان اهل « سيراقوزة » يجب ان يعيشوا احرارا فى ظل افضل حكومة ممكنة ، ولهذا فليس من المستغرب أن تنعم مشيئة الهية (٢) « ٣٢٤ ب » على « هيبادينوس » باعتناق نفس الاراء التى اعتنقها ديون . اما عن نشأة هذه الاراء فلاشك انها قصة تستحق اهتمام الشباب والشـيوخ ؛

(١) ا : يعتمد على المعرفة الحميمة
(٢) ا : ان يسوق اله هيارنيوس الى

ولهذا فسوف احاول ان ارويها من بدايتها ، لثقتى من ان هذه هى اللحظة المناسبة لذلك .

كنت لا ازال فى ريعان الشباب عنـــدما حدث لى مايحدث عادة للكثيرين . فقد تطلعت الى الالقاء بنفسى فى أحضان السياسة بمجرد بلوغى سن الرشد(١) «٣٢٤هـ» وكانت هذه هى صورة الاحوال السياسية المحببة التى سادت مسقط راسى : فقد كان الناس ناقمين على الدســتور القائم ، وتمت ثورة نتج عنها تركيز السلطة فى أيدى واحد وخمسين رجلا ، كلف منهم احد عشر رجلا « بتولى الوظائف العليا » فى المدينة ، وعين عشرة آخــرون فى بيرايوس « وقد عهد الى هذين المجلسين بالاشراف على مراقبة الاسواق وغيرها من الشئون الادارية العامة » اما الثلاثون الباقون فقد تولوا زمام السلطة المطلقة . وكان بعض هؤلاء يمتون الى بصلة القرابة ، وبعضهم الاخــر من معارفى ، ولهذا دعونى على الفور الى التعاون معهم ، وكان اشتغالى بالسياسة امر مفروغ منه . ولم يكن من المستغرب من شاب مثلى ان يتوقع منهم أن يحكموا المدينة حكما ينقلها من الظلم الى العدل (٢) «٣٣٤د» ، ولهذا رحت ارقب مايفعلونه بعناية واهتمام بالغين . وسرعان ما اكتشفت ان هؤلاء الرجال قد استطاعوا فى أقصر وقت ممكن ان

---

(١) ب : بمجرد ان أكون سيد نفسى .

(٢) ب : توقعت من هذه الحكومة ان تاتى معها بالتحول من الادارة الفاسدة الى الادارة السليمة .

يجعلوا الحكم السابق عليهم يبدو في صورة عصر ذهبي (١)» «٣٢٤ هـ» فقد كان مما فعلوه ان امروا بتكليف صديق شيخ عزيز — وهو سقراط الذى لا اتردد عن وصفه بأنه كان أعدل الناس في ذلك الزمان — مع نفر آخر من الرجال بالقبض على أحد المواطنين واحضاره بالقوة لتنفيذ حكم الاعدام فيه . ولم يكن لهم غرض من ذلك بطبيعة الحال سوى اقحام سقراط في اعمالهم ، سواء رضى عن ذلك او لم يرض ، غير انه لم يخضع لامرهم ، وفضل أن يخاطر بكل شيء على المشاركة في جرائمهم . فلما رايت هذا كله وماشابهه من اعمال لا تقل عنه بشاعة اصابنى الاشمئزاز وابتعدت بنفسي عن تلك الاوضاع المشينة . (٢) «٣٢٥ أ» ولم يمض وقت طويل حتى انهار حكم الثلاثين وانهار معهم نظام الدولة القديم كله . وماهو الا ان عاودنى الشوق الى المشاركة في الحياة السياسية ، وان كنت قد شعرت به في هذه المرة شعورا أضعف . لم تكن الامور قد استقرت بعد (٣) «٣٢٥ ب» ، وحدثت أيضا في تلك الفترة — التى جاءت في اعقاب ثورة شاملة — اشياء لا يملك الانسان نفسه من السخط عليها ، ولم يكن من الغريب في هذا العالم المضطرب ان يستغل بعض الناس الفرصة للثأر من اعدائهم على ابشع صورة ، ومع ذلك فقد كان سلوك الحزب العائد « من المنفى » يتسم بقدر

---

(١) أ : استطاعوا أن يجعلوا الدستور السابق يبدو كالجنة (بالقياس الى حكمهم) .

(٢) ب : ابتعدت بنفسي عن ذلك الشر السائد .

(٣) زيادة من (ب) وهى اشارة الى نظام الحكم الديمقراطي الذى أطاح بحكومة الثلاثين .

كبير من الاعتدال . ثم شاء سوء الحظ مرة اخرى ان يقوم بعض رجال السلطة فى ذلك الحين بتقديم صديقى سقراط الى المحاكمة وان يوجهوا اليه تهمة خسيسة هو ابعد الناس عنها . فقد اتهموه بالتجديف فى حق الآلهة (١) «٣٢٥ جـ» ، وادانته المحكمة وقضت عليه بالاعدام ، وهو الذى رفض قبل ذلك الاشتراك فى جريمة القبض على واحد من أنصار الحزب الحاكم الذى وجه اليه التهمة ، فى الوقت الذى كان فيه رجال هذا الحزب يقاسون الاضطهاد ويعيشون فى المنفى . لما رايت ذلك وتبينت نوع الرجال العاملين فى السياسة واخذت فى ملاحظة القوانين والاخلاق السائدة . اقتنعت فى النهاية بصعوبة الاشتراك فى الحكم (٢) « ٣٢٥ د » ، وازداد هذا الاقتناع قوة مع تزايد الملاحظة والتقدم فى العمر . فقد بدا لى هذا الامر مستحيلا بغير أصدقاء وحلفاء اوفياء — والعثور على امثال هؤلاء من بين المعارف القدامى لم يكن بالامر السهل ، لان مدينتنا لم تكن تعيش على المبادىء التى عاش عليها اجدادنا ، كما ان الحصول على اصدقاء جدد لم يكن ليتم بغير صعوبات جمة . ثم ان فساد التشريع والاخلاق العامة قد استفحل من ناحية اخرى بصورة مخيفة ، بحيث اصابنى الدوار فى النهاية أمام هذا الاضطراب الشامل ، وأنا الذى كنت فى البداية مفعم النفس بالتحمس للحياة السياسية . صحيح أننى لم اتوقف عن التفكير فى طريقة أصلاح هذا الميدان بوجه

(١) بعدم الورع وانكار الآلهة .
(٢) ا : بصعوبة حكم الدولة حكما صحيحا .

خاص واصلاح الاحوال السياسية بوجه عام (١) «٣٢٥هـ»، ولكنني ظللت اترقب الفرصة المواتية للعمل ؛ حتى انتهيت اخيرا الى الاقتناع بأن حالة الدولة الحاضرة كلها سيئة ؛ وانها تحكم تحكما يدعو الى الرثاء (٢) «٣٢٦ أ» ، وان دساتيرها المريضة لا يمكن ان يشفيها الا اصلاح يتم بمعجزة يؤيدها حسن الحظ . وهكذا وجدتني مدفوعا الى الاعتراف بقيمة الفلسفة الحقة والتأكد من انها هي وحدها التي تمكن الانسان من معرفة العدل « والصواب » الذي تصلح به الدولة والحياة الخاصة ، وان الجنس البشري لن يتخلص من البؤس (٣) حتى يصل الفلاسفة الحقيقيون الأصلاء الى السلطة ؛ او يصبح حكام المدن ــ بفضل معجزة الهية ــ فلاسفة أصلاء (٣٢٦ ب) (٤) .

****

(١) أ : اصلاح نظام الدولة بوجه عام .
(٢) أ : زيادة في «أ» .
(٣) ب : ان متاعب البشرية لن تتوقف .
(٤) أ : أو يبدأ حكام المدن في التفلسف الجاد .

(٢) زيارة افلاطون الاولى لصقلية وصداقته لديون الذي دعاه لزيارة ديونيزيوس الثاني بعد توليه الحكم في سنة ٣٦٧ ق . م

كانت هذه هي آرائي وافكاري(١) «٣٢٦ جـ» عندما زرت ايطاليا وصقلية لاول مرة . وماكدت اصل الى هناك حتى شعرت بنفور شديد من الحياة التي يعيشها قوم يوصفون هناك بانهم سعداء وهي حياة تقوم على الوان الملذات (٢) «٣٢٦ د» « الايطالية » و « السيراقوزية » ؛ لم يرق لى ان يعيش الانسان لكي يملأ بطنه مرتين في اليوم ؛ ولا ينام وحده ابدا بالليل ؛ الى غير ذلك من أمور تتفق مع هذا الاسلوب في العيش . فمن المستحيل على اى انسان قان نشأ منذ حداثته في هذه البيئة ان يصبح حكيما — اذ لا يوجد انسان بهذا التكوين العجيب — ولن يكون في امكانه ان يبلغ الاعتدال والتدبر أو غيرهما من الفضائل . وكذلك لن تتمتع اية دولة بالطمأنينة « والسلام » — مهما يكن لديها من قوانين رائعة اذا كان أهلها يؤمنون بأن عليهم أن ينفقوا كل مايملكون على « الترف » والملذات ؛ وان يدخروا كل جهودهم للمأكل والمشرب والعشق . بل ان امثال هذه الدول لابد ان تقع دائماً تحت سطوة طاغية

---

(١) ب : كانت هذه هي حالتى العقلية .

(٢) : لم ترق لى اذواق مجتمع عاكف على الوان الطهى والطعام «السيراقوزى» .

فرد ، او بعض الاسر او حكم الغوغاء (٢) « ٣٢٦ ب » ، ولن تتحمل الدوائر الحاكمة فيها مجرد سماع كلمة « نظام الحكم العادل والديموقراطي » . هكذا توجهت الى سيراقوزه حاملا هذه الافكار في رأسي ، بالاضافة الى الاعتبارات الاساسية التي ذكرتها من قبل ؛ ربما كانت المصادفة البحتة « هي المسئولة عن هذا » والارجح فيما يبدو أن يكون احد الالهة هو الذي حرك في ذلك الحين تلك الاحداث التي المت أخيرا بديون وسكان سيراقوزه وربما يتسبب في وقوع أحداث اخرى اذا لم تستمعوا الى نصيحتي التي أوجهها اليكم للمرة الثانية .

ما الذي أقصده من قولي بأن فترة اقامتي تلك في صقلية كانت وراء كل هذه الامور؟(٢) « ٣٢٧ أ » يبدو انني عندما التقيت بديون في ذلك الحين – وكان لايزال شابا صغيرا – قد عملت دون قصد مني على انهيار الطغيان (٣) ، وذلك عندما أفضيت اليه بآرائي عن افضل الامور البشرية وحثثته على اتباعها بصورة عملية . فقد تحمس ديون – الذي كان بطبعه سريع الفهم ، وبخاصة لما قلته له آنذاك – تحمسا شديدا فاق ما عرفته من كل الشبان الذين قابلتهم في حياتي ، وقرر أن يعيش حياته الباقية بطريقة مختلفة عن اغلبية الايطاليين والصقليين ، اذ كانت الفضيلة عنده

(١) ب : ستتعرض مثل هذه الدولة لثورات لاتنتهى ، فتقع على الترتيب تحت حكم الاستبداد والاوليجاركية ، والديمقراطية .

(٢) ا : الى اى حد يمكننى الزعم بأن فترة اقامتى تلك .. الخ .
(٣) ب : على الاطاحة بحكم استبدادى كان على وشك الوقوع .

اسمى من الملذات والمباهج الحسية . ولهذا عاش حياة اثارت عليه حقد حاشية ديونيزيوس . (١) «٣٢٧ب» وظل الامر على هذه الحال حتى مماته « اى ديونيزيوس الاب» . . وعندما وقع هذا الحادث داخله الاعتقاد بأن الآراء التى اكتسبها من الفلسفة الحقة قد لا تقتصر عليه وحده ، كما تأكد له بالفعل أنها قد أنتقلت الى الأخرين . صحيح ان هؤلاء لم يكن عددهم كبيرا ، ولكنهم كانوا مجموعة من الناس على كل حال ، وقد كان من رأيه ان ديونيزيوس الشاب يمكن ان يصبح بمعونة الآلهة واحدا منهم ، وعندئذ تنعم حياته وحياة سكان سيراقوزة بسعادة تجل عن الوصف . ولهذا كان من رأيه أن احضر الى سيراقوزة بأى ثمن لاشارك فى تحقيق هذا الهدف . اذ لم يكن قد نسى بعد أن لقائى معه قد بث فى نفسه الحنين الى أجمل وانبل حياة ممكنة . ولقد عقد اكبر الامال على نجاحه فى التأثير على ديونيزيوس ، واعتقد أنه لو وفق فى مسعاه لاستطاع أن ينشر فى ربوع البلاد حياة سعيدة تستحق انتشرف أسمه (٢) «٣٢٧حـ» ، وذلك دون حاجة للقتل وسفك الدما وغيرهما من أعمال العنف التى جرت بالفعل ؛ هكذا تمكن بفضل هذه الافكار الصحيحة من اقناع ديونيزيوس بأن يرسل فى طلبى ، كما توسل الى فى رسائله بأن أبادر الى الحضور بغير ابطاء ، وذلك قبل أن يقع ديونيزيوس تحت تأثير بعض العناصر التى تنفره من الحياة الفاضلة وتغريه بالتحول عن هذا المثل الاعلى

(١) ب : ولهذا كان منذ ذلك الحين وحتى موت ديونيزيوس الأب شوكة فى لحم اولئك الذين كانوا فى خدمة الحكومة الاستبدادية .

(٢) العبارة الأخيرة زائدة فى ا

الى حياة أخرى » فاسدة » . وقد كانت هذه هى المادة التى احتويه بذكر بعضها حتى لا تشغل حيزا كبيرا : « هل هناك فرصة اخرى انسب من هذه الفرصة التى هيأتها العناية الالهية » ؟ هكذا تساءل « فى خطابه » . ثم استطرد فى الحديث عن ضخامة المنطقة المحكومة (١) «٣٢٧ هـ » فى ايطاليا وصقلية ؛ وعن وضعه هو نفسه فى هذه المملكة ؛ وعن شباب ديونيزيوس وشغفه بالمعرفة ؛ كما أسهب فى تأكيد استعداده للفلسفة والعلم وأضاف الى ذلك ان اولاد خئولته وعمومته (٢) «٣٢٨ أ » وبقية أقاربه يمكن كسبهم بسهولة فى صف المذهب الذى اعلنته وأتباعه فى الحياة العملية ؛ وأنهم يصلحون ايضاً على خير وجه لكسب ديونيزيوس نفسه الى جانبه . عندئذ يمكن الان ان يتحقق الامل فى الجمع بين الفيلسوف وحاكم دولة كبرى فى شخص واحد .

هكذا اخذ ديون يلح على بمثل هذه الحجج « والمزاعم المغرية » (٣) «٣٢٨ب» ؛ وكنت أشعر من ناحية بالتخوف من الشباب وعواقب الامور التى يتصدى لها — فسرعان ماتشتعل ميول الشباب للاقدام على عمل ؛ وسرعان ماتنبو وتتجه الى عمل آخر معارض له — وكنت اعرف

---

(١) ب : عن الامبراطورية القائمة فى ايطاليا .
(٢) المقصود هنا هم اقارب ديون وأولاد اخواله واعمامه .
(٣) زائدة فى أ .

من ناحية اخرى ان ديون خير بطبيعته(١) «٣٢٨ جـ» ، كما انه كان يتمتع فى ذلك الحين بمزايا العمر الناضج ، ومع اننى ترددت بين قبول الدعوة او عدم قبولها واخذت اقلب الامر من كل ناحية ، فقد بدا لى فى النهاية ان هناك اسبابا كثيرة ترجح امامى الان وجود حالة يتحتم فيها الاقدام على المخاطرة ، هذا اذا شاء احد على الاطلاق ان يحاول وضع آرائه عن القانون ودستور الحكم موضع التنفيذ فى الواقع الملموس . فقد كنت الان بحاجة الى اقناع انسان واحد بآرائى لكى احقق كل الخير الذى قصدت اليه .

هكذا غادرت وطنى بعد أن شجعتنى هذه الافكار على الاقدام على المخاطرة ، ولم تكن الدوافع التى حركتنى الى ذلك كما تصور بعض الناس ، بل كان الدافع الاساسى هو خوفى من الشعور بالخجل من نفسى(٢) «٣٢٨ د» وخشيتى من ان ابدو فى عينى مجرد رجل نظرى (٣) عاجز عن انجاز فعل واحد ، وان اقع فى شبهة الخيانة لوفاء ديون وكرم ضيافته ، وذلك فى وقت كان فيه يتعرض لخطر لا يقل « عن الخطر الذى يمكن ان اتعرض له . » ولو فرض انه وقع فى محنة او اضطره ديونيزيوس وسائر اعدائه الى مغادرة بلاده فجاء الى وقال لى : « افلاطون ، ها انت ترانى منفيا ، لا لان « قوات » المشاة والفرسان

---

(١) ب : ان ديون جاد بطبيعته .

(٢) ب : هو خوفى من أن افقد احترامى لنفسى .

(٣) ب : ان ابدو رجلا من هواة الكلام .

كانت تعوزنى لصد اعدائى ، بل لاننى كنت افتقر الى الكلمات والحجج المقنعة التى كنت أعلم انك اقدر الناس على استخدامها لهداية الشباب الى الخير والعدل وتوثيق روابط الحب والصداقة بينهم فى كل الاحوال ، ان الذنب يقع عليك لانك لم تسد حاجتى اليها ، ولذلك أضطررت لمغادرة سيراقوزة لتجدنى الآن امامك . . وليس مافعلته فى حقى هو الذى يجلب العار . ولكن الفلسفة التى لا تكف عن ذكرها على لسانك ولا عن القول بأن بقية الناس تستهين بشأنها ، هل تنكر انك خنتها الان بخيانتك لى ؟ لو كنت من سكان « ميجارا » لاستجبت بالتأكيد لدعوتى اياك بمساعدتى والوقوف بجانبى ، والا اعتبرت نفسك انسانا نكص عن اداء واجبه . أما الان فانك تتصور فيما يبدو ان طول الرحلة ومشقة السفر بالبحر يمكن ان تكون عذرا لك ، وانك ستتمكن بذلك من الهرب من تهمةنسيان الواجب(١) «٣٢٩ أ » . ولكن هذا شيء مستحيل» لو انه خاطبنى بمثل هذا الكلام فهل ساجد عندى ما أرد به عليه ؟ لا ، لن أجد شيئا . هكذا قررت ان اطيع دواعى العقل والعدل بقدر مافى طاقة الانسان ومضيت الى هناك . وكان ماذكرته هو الذى جعلنى اتخلى عن عملى فى التعليم الذى كان أحب شيء الى نفسى ، وان احيا فى بلد يسوده الطغيان الذى لم يكن يبدو انه يتفق مع آرائى أو يوافق طبعى . وبهذا اديت واجبى نحو « زيوس » حامى الصداقة (٢) وصنت الفلسفة من كل

(١) أ : من سمعة الجبن .
(٢) لم ترد هذه العبارة فى الترجمة الانجليزية .

عيبا يمكن ان يلصق بها (١) لو انى جررت العار على نفسى بجبنى وايثارى الراحة .

وعندما وصلت الى هناك — وهذه هى الخلاصة مسيرة طويلة — وجدت بلاط ديونيزيوس يموج بالدسائس ، وكل من فيه يفترى على « ديون » عند الطاغية الفرد . وقد دافعت عنه بقدر ما استطعت ، ولكن قدرتى كانت محدودة . وبعد حوالى ثلاثة شهور (٢) (« ٣٢٩ ه ») من وصولى نفاه ديونيزيوس على أبشع صورة مخجلة ، وامر بوضعه على ظهر سفينة صغيرة ، وذلك بتهمة التآمر والطمع فى الحكم . وخفنا — نحن أصدقاء ديون — ان يتهم الواحد منا او الآخر بالتحالف معه « فى مؤامرته » وان ينتقم منا ايضا . بل لقد انتشرت فى ذلك الوقت فى سيراقوزة اشاعة بأن ديونيزيوس امر بقتلى بحجة أننى كنت السبب فى كل ماجرى . ولكن ديونيزيوس لاحظ الحالة التى كنا فيها ، واحس بالقلق من أن تسوقنا مخاوفنا الى اللجوء لعمل من أعمال العنف ، ولهذا أذن لنا بمقابلته وتحدث معنا حديثا وديا ، واختصنى بمواساته وتشجيعه ، والح على أن أبقى لان سمعته — فيما زعم — مرهونة ببقائى ، ولو هربت منه لما استفاد من ذلك شيئا (٣) (« ٣٢٩ د ») ، ولهذا تظاهر بالالحاف على فى الرجاء ، وأن كنا نعلم علم اليقين ان توسلات الطغاة تقترن دائما بالتهديد . وهكذا حال دون سفرى لكى يحقق غرضه ، وامر باسكانى فى البرج (٤)

(١) ب : وصنت نفسى من لوم الفلسفة .
(٢) ب : بعد حوالى اربعة شهور .
(٣) أ : لأنه لن يكسب من هروبى شيئا ، وانما من بقائى .
(٤) ب : فى القلعة .

«٣٢٩ هـ» الذى لم يكن قبطان سفينة ليجرؤ على ان ياخذنى منه بغير ارادة ديونيزيوس، ولم أكن لاخرج منه الا باذن صريح منه . وكذلك لم يكن فى استطاعة أى تاجر او ضابط من حرس الحدود أن يتركنى اغادر البــلاد او صادفنى سائرا وحدى ، بل كان الاولى ان يقبض على ويسلمنى لديونيزيوس ، وخصوصا بعد أن تردد ـ خلافا للاشاعة السابقة ـ ان ديونيزيوس يعامل افلاطون معاملة ودية للغاية(١) «٣٣٠ أ» . ولكن هل كانت هذه هى الحقيقة؟ ان مودته كانت تزداد مع مضى الزمن كلما ازداد قربا منى والفا لطبعى . ولكنه طلب منى ان أقدره اكثر مما كنت اقدر ديون ، وأن يكون منى بمنزلة الصديق العزيز الذى كانه ، وتلهف على بلوغ هذه الغاية تلهفا يفوق الوصف . غير انه أجفل من سلوك السبيل الذى يكفل تحقيقها ؛ ان كان الى تحقيقها من سبيل ، وهو ان يتتلمذ على ويشارك فى محاوراتى الفلسفية ليزداد قربا منى ، وذلك خوفا مما حذره منه الوشاة والمرجفون ، وهو ان يحاط به وتتعطل حريته ، وبذلك يتحقق ما أراده ديون . وقد صبرت على هذا كله ، مخلصا لهدفى الذى جئت من أجله ، على أمل ان تخالجه الرغبة فى الحياة الفلسفية ـ ولكنه ظل يقاوم الى النهاية .

***

(١) ب : أن ديونيزيوس مغرم بأفلاطون (أو معجب به» غراماً شديدا .

(٣) نصيحة لحلفاء ديون

تلك كانت اسباب (١) «٣٣٠جـ» زيارتي الاولى لصقلية وفترة اقامتي فيها، بعد ذلك رحلت الى وطني ثم رجعت اليها مرة اخرى تحت الحاح ديونيزيوس . اما لماذا حدث هذا ، وكيف يشهد كل مافعلته على الحق والاستقامة فسوف اقص عليكم قصته فيما بعد ، لكى أشبع رغبة المتطلعين الى معرفة قصدى من العودة الى هناك . وسابدا بتقديم نصيحتى اليكم فيما ينبغى عليكم ان تفعلوه فى الظروف الراهنة ، حتى لا يشغلنى موضوع جانبى عن الموضوع الاصلى . واليكم ما أريد قوله :

اذا جاز لانسان أن ينصح مريضا يحيا حياة مؤذية لصحته ، فان أول ماينبغى عليه القيام به هو تغيير أسلوب حياته ، والتاكد من استعداده لاطاعة تعليماته قبل المضى فى تقديم النصح اليه . فاذا تبين له ان المريض لا يريد ان يطيعه ، فسوف اصف الطبيب الذى يرفض الاستمرار فى معالجته بانه طيب اصيل وانسان مستقيم الخلق ، أما الذى يرضى بذلك الوضع « ويستمر فى تقديم نصائحه » فسيكون فى رايى انسانا ضعيفا وطبيبا سيئا . ونفس الشيء ينطبق على الدولة ، سواء اكان على رأسها رجل واحد او عدة رجال . فاذا كانت شئون الحكم (٢) «٣٣٠د» فيها تسير على الطريق الصحيح وسالت النصح والمشورة فى امر يمس مصلحتها ، فان من العقل فى هذه الحالة ان يقدم النصح الى امثال هؤلاء الناس . اما اذا كانوا قد تنكبوا سبل الحكم الصحيحة واصروا على عدم الرجوع اليها وطالبوا ناصحهم « والمشير عليهم » صراحة بالا يمس

---

(١) أ : تلك كانت كل الأحداث التى جرت فى صقلية .. الخ .

(٢) ب : فاذا كان دستور الحكم فيها يتمشى مع الطريق الصحيح .

دستورهم ، بل هددوه بالموت ان حاول أن يفعل ، وفرضوا عليه أن يشير عليهم باسرع وايسر طريقة تمكنهم من الاستمرار في اشباع رغباتهم وشهواتهم ـ اذا حدث ان قبل احد تقييد نصيحته على هذه الصورة فسوف أصفه بالجبن ، اما من يرفض قبولها فسوف أعده رجلا شجاعا . هذه هي عقيدتي ، وكلما سالني احد عن رأيي في مسالة هامة تتصل بحياته الخاصة ، كأن تكون مسالة مالية او موضوعا يتعلق بسلامة جسمه أو نفسه ، قدمت اليه النصيحة عن طيب خاطر ولم اكتف بأداء الواجب أداء شكليا (١) «٣٣١ب» ، وذلك اذا رايت انه يسير في حياته اليومية على مبادىء معينة أو ظهر لي على الاقل انه على استعداد لسماع نصيحتي . اما اذا لم يسالني النصح على الاطلاق أو اتضح لي انه لاينوي الاستجابة لمشورتي فلن افكر ابدا في ان افرض عليه نصيحتي بل لن احاول ان افرض رأيي حتى على ابني . ربما وجهت النصح لعبد ما ، وربما لجأت الى فرضها عليه اذا رفض ان يأخذ به . ولكنني اعتقد ان من الخطأ اللجوء الى ذلك مع الاب والام ، اللهم الا اذا كانا مريضين مرضا عقليا . أما اذا كانا يعيشان عيشة تعجبهما ولا تعجبني ، فليس من الصواب ان ادفعهما الى كراهيتي بتوجيه النصائح التي لن تجدي معهما ، وليس من الصواب ايضا ان اتملقهما بمساعدتهما على اشباع شهوات اوثر انا نفسي الموت على الجري وراءها . وينبغي على الحكيم ان يسلك نفس المسلك من مدينته ، فاذا بدا له أنها تحكم حكما سيئا فعليه الا يرفع صوته الا اذا رأى ان كلماته لن تضيع سدى

(١) أ : العبارة الأخيرة زائدة في «ا» .

ان تؤدي به الى الموت ، ولا ينبغي عليه ابدا ان يحاول اللجوء الى القوة لتغيير الدستور . واذا استحال اصلاحه اى الدستور » بغير توقيع عقوبة النفى او الموت على بعض مواطنيه ، فمن الواجب عليه فى هذه الحالة أن يلزم الهدوء ويفوض أمره وامر مدينته للآلهة .

ريد الان وفقا لهذه المبادىء أن اوجه اليكم النصيحة على نحو مافعلت عندما اشتركت مع ديون فى تقديم النصح لديونيزيوس . فقد أشرنا عليه بأن يبدأ بتنظيم حياته اليومية بحيث يتمكن من السيطرة على نفسه الى اقصى حد ممكن ويكتسب أصدقاء أوفياء لكى لا يصيبه ما أصاب اباه . فقد عجز هذا ــ بعد استيلائه على مدن كثيرة سبق ان دمرها البرابرة تدميرا تاما ــ عن تعميرها واقامة حكومات موالية فيها ، ولم يستطع أن يجد الحلفاء الذين يديرون أمورها ، لا من الاجانب ولا من بين اخوته الصغار الذين قام بنفسه على تربيتهم وبوأهم مقاعد الحكم وحولهم من الفقر الى الغنى الفاحش . ولم يتمكن كذلك ــ على الرغم من كل الجهود التى بذلها ــ من أشراكهم معه فى الحكم ، لا بالاقناع والتوجيه ، ولا بالصلات وروابط الدم . وهكذا اثبت أنه كان أسوأ سبع مرات من «داريوس» (١) «٣٣٢ أ » ، الذى لم يكن لديه من يعتمد عليهم من أصدقاء او اشقاء تولى بنفسه تربيتهم ، وانما أعتمد على الرغم من ذلك على أولئك الذين ساندوه فى الاطاحة بالخصى الميدى وقسم مملكته بينهم الى سبعة أقسام ،

(١) أ : انه كان يقل سبع مرات فى موهبته عن «داريوس» .

كل قسم منها أكبر من صقلية بأسرها . واثبت هؤلاء الحلفاء ولاءهم له فلم يهاجمه واحد منهم ولم يعتد احد منهم على الآخر . وهكذا قدم « داريوس » النموذج الامثل لما ينبغي أن يكون عليه المشرع والملك ، ووضع القوانين التي حافظت على الامبراطورية الفارسية حتى يومنا الحاضر . ونفس الشيء يمكن ان يقال عن الاثينيين الذين وضعوا أيديهم على عدد كبير من المدن الاغريقية التي كان البرابرة « اي الفرس » قد غزوها من قبل ، ولكنها كانت لا تزال آهلة بالسكان . ومع أنهم لم يؤسسوها بأنفسهم (١) «٣٣٢ب» ، فقد استطاعوا أن يحافظوا على سيطرتهم عليها سبعين سنة كاملة ، اذ كان لديهم في كل مدينة منها اصدقاء اوفياء يتولون حكمها . اما ديونيزيوس (٢) ، «٣٣٢ حـ» الذي لم يكن يثق بأحد فلم يستطع ان يثبت حكمه على الرغم من انه قام بتوحيد صقلية كلها في « ظل » مدينة واحدة . لقد كان يفتقر الى الاصدقاء الاوفياء الخلصاء ، وامتلاك المرء لهؤلاء أو افتقاره اليهم هو اقوى دليل على قيمة الشخصية أو عدم قيمتها . (٣) . تلك كانت النصيحة التي قدمناها ـ ديون وانا ـ الى ديونيزيوس »

---

(١) هذه العبارة زائدة فى (ب)

(٢) لايزال الكلام عن ديونيزيوس الأب .

(٣) ب : هو اقوى دليل على الطبع الخير أو السيء

بعد ان راينا ان اباه جنى عليه وتركه يعيش بغير تربية صحيحة ولااصدقاء مخلصين . اقترحنا عليه ان يبدأ باصلاح حياته الخاصة (١) «٣٣٢د» ، وان يفتش بعد ذلك بين اقاربه ومعاصريه عن اصدقاء يشاركونه السعى على طريق الخير والفضيلة ، وان يهتم قبل كل شيء بأن يصادق نفسه ، اذ كان يعوزه هذا الى حد يدعو للدهشة . لم نقل له ذلك بطبيعة الحال بمثل هذا الوضوح — اذ لم نكن نامن على انفسنا من التعرض للخطر — وانما اكتفينا بالاشارة اليه مؤكدين انه هو الطريق الذى ينبغى ان يسلكه كل من يتولى الحكم ليحفظ نفسه ويحمى رعاياه ، وان كل طريق آخر لابد ان يؤدى الى الخراب التام (٢) «٣٣٢هـ» اما اذا اتبع الطريق الذى وصفناه له واهتدى بنفسه الى التبصر (٣) والتدبر فسوف يتمكن من اعادة تعمير المدن المهجورة « فى صقلية » والربط بينها بقوانين ودساتير تجعلها قادرة على مساندته والصمود لغارات البرابرة «اى القرطاجيين » وبهذا يمكنه ان يوسع مملكة أبيه لا الى الضعف بل اضعافا مضاعفة . ولو تيسر له هذا لامكنه ايضا ان يخضع القرطاجيين لنير اثقل من ذلك الذى ناءوا به تحت حكم « جيلون » ، وذلك بدلا من الاستمرار فى دفع الاتاوة التى التزم بها ابوه نحوهم . كانت هذه

(١) النص الاصلى لايذكر غير كلمة «اول شيء» ويترك مايعدها ناقصا ، ويتبعه المترجم الالمانى فى ذلك ، وقد اصلحها المترجم الانجليزى بطريقة تتفق مع السياق .

(٢) ا : لابد ان يؤدى به الى النتيجة المضادة .

(٣) ب : وجعل من نفسه شخصا ذكيا منظما .

الاقتراحات التي اوصينا بهما ديونيزيوس ، واولنوسا الاشاعات والهمسات من كل ناحية باننا نتآمر على حياته ، حتى تمكنت من نفسه في النهاية وتسببت في نفي ديون وألقت بنا في حالة من الرعب والفزع . واجب الان أن أختم روايتي للاحداث الكثيرة التي تمت في فترة بالغة القصر فاقول : لقد رجوع ديون من " شبه جزيرة " البيلوبينيز (١) ٣٣٣ بوسن اثيناولقن ديونيزيوس درسا ابعد مايكون عن الدروس النظرية (٢) "٣٣٣ جـ" . وبعد ان تم له تحرير المدينة مرتين وتسليمها لاهل سيراقوزة ، وقفت منه هؤلاء نفس موقفهم السابق من ديونيزيوس . فقد حاول ديون ان يتدخل في توجيه حياته كلها وان يجعل منه حاكما جديرا بعرشه ، ولكنه فضل ان ينضم الى صفوف أعدائه (٣) الذين اوحوا اليه ان ديون لم يفعل كل مافعله في ذلك الوقت الا رغبته في الانفراد بالحكم (٤) "٣٣٣ جـ" ، وان هدفه من تعليمه هو أن يوقعه في سحر الفلسفة فيهمل شئون الحكم ويعهد بها الى ديون الذي يتمكن عندئذ من السيطرة عليها وحرمان ديونيزيوس من ملكه بحيلة اثيمة .

انتصرت هذه الاشاعات في ذلك الحين ، ثم انتصرت مرة اخرى عندما انتشرت في سيراقوزه . غير انه كان انتصارا بشعا ومخجلا لاولئك الذين تحملوا وزره ، وينبغي

---

(١) وهى الآن شبه جزيرة المورة .
(٢) أ : وقدم له نصيحة ملموسة .
(٣)
(٤) ب : جزء من مؤامرته للوصل الى الحكم الفردى المطلق (تيرانيس) .

ان يوضح امره لهؤلاء الذين يسالوننى النصح فى الظروف الحاضرة .

« ٣٣٣ د » لقد حضرت من موطنى اثينا الى بلاط الطاغية كصديق وحليف لديون رغبة منى فى اقرار المودة والصداقة بينهما بدلا من الشقاق والعداء ، غير اننى انهزمت فى صراعى مع الوشاة والمرجفين . وحاول ديونيزيوس بالهدايا والصلات واسباب التكريم المختلفة ان يكسبنى الى جانبه وان يقنعنى بالشهادة « أمام الرأى العام » بانه كان على حق عندما نفى ديون ، ولكنه أخفق فى محاولته اخفاقا ذريعا . وعندما رجع ديون بعد ذلك بفترة الى سيراقوزة احضر معه من اثينا « نفسها » أخوين (١) كان قد كسب صداقتهما لا عن طريق الاهتمامات الفلسفية المشتركة بل عن طريق التعارف المألوف الذى تقوم عليه معظم الصداقات ويتم عادة من خلال الزيارات المتبادلة والاشتراك فى طقوس الاسرار الصغيرة أو الكبيرة ، واصبح هذان الاخوان صديقيه وحليفيه نتيجة الاسباب التى ذكرتها ولمساعدتهما له عند عودته . وعندما حضرا الى صقلية ولاحظا ان أهلها الذين حررهم يشيعون عنه انه يطمع فى الحكم المستبد لم يكتفيا بخيانة الصديق الذى أسبغ عليهما كرم ضيافته بل عمدا الى اغتياله بايديهما وذلك عندما وقفا بجانب القتلة واسلحتهم فى أيديهم . ولست بحاجة الى التعقيب على هذا الفعل البشع الخسيس ، فهناك كثيرون غيرى سيجعلون مهمتهم الان وفى المستقبل أن يغنوا على هذا

---

(١) وهما كاليموس ، وفيلوستراتوس اللذان اشتركا فى اغتيال ديون (راجع تاريخ بلورتارك ديون ٥٤) .

الوتر . ولكننى ساكتفى بالرد على نقطة واحدة لا يمكن السكوت عليها ، وهى الزعم بان مسلك هذين الرجلين قد لوث سمعة اثينا . وحسبى ان اشير الى ان الرجل الذى رفض ان يخون ديون كان كذلك اثينيا ، « وقد أبى ان يفعل ذلك » على الرغم من الثروة الطائلة والتكريم الذى كان يمكن ان يحصل عليه . فلم تكن الصداقة التى الفت بينه وبين ديون صداقة عادية ، وانما قامت على المشاركة فى الاهتمامات العقلية ، ومثل هذه الصداقة هى التى ينبغى ان يعول عليها الانسان العاقل ، اكثر من اى صداقة قائمة على قرابة الروح (١) والجسم . ولهذا فليس من الانصاف أن يقال أن قاتلى ديون قد لوثا سمعة اثينا ، ومن يقول بذلك فانما ينسب اليهما دورا لم يقوما به ابدا (٢) « ٣٣٤ جـ » .

لقد قلت هذا كله لكى اقدم النصح لاصدقاء ديون واقاربه . فماذا بقى عندى لانصحهم به ؟ انها نفس النصيحة ونفس الكلمات التى وجهتها لغيرهم فى مناسبتين سابقتين . لا يجوز لصقلية — ولا لغيرها من المدن — أن تخضع للسلطة المطلقة (٣) ، بل يجب — فى رايى على الاقل — ان تخضع لحكم القانون . فالسلطة المطلقة مضرة بالحكام والمحكومين ، وهى « مؤذية » لهم ولابنائهم وابناء أبنائهم ، لان مثل هذه التجربة لابد أن تؤدى الى

(١) لعل المقصود بالقرابة الروحية هو الدخول فى عبادات الاسرار وطقوسها .
(٢) ب : أو يضفى عليها أهمية لا يستحقانها .

(٣) : لطغيان الافراد .

الخراب فالنفوس الصغيرة والطباع الدنيئة (١) هي وحدها التي تنفق على منافعها العاجلة (٢) . وهي نفوس لاتعرف شيئا عن الامور الالهية والبشرية التي هي عادل وخير في الحاضر وعلى مدى المستقبل (٣) . هذه هي الحقيقة التي سعيت اولا لاقناع ديون بها ، ثم ديونيزيوس من بعده ، وها انذا احاول ان اقنعكم بها ، فاستمعوا الي حبا في زيوس المنقذ الذي يشرب النخب الثالث تكريما له (٤) . واعتبروا بمصير ديونيزيوس وديون . فالاول لم يستمع الى ، وهو أن كان لايزال حيا ، فانه يحيا حياة شقية (٥)، اما الآخر الذي استجاب لتعليمي فقد مات ، ولكنه مات ميتة رائعة ، وانه لشيء جميل وجدير بالسعي اليه في كل الاحوال أن يتحمل المرء كل مايصيبه به القدر من شقاء ، مهما تكن وطأته ثقيلة في كفاحه لبلوغ أسمى الخيرات لنفسه ووطنه . فما من أحد منا خالد ، ولو قدر الخلود لاحد لما شعر بالسعادة كما يظن عامة الناس . ذلك ان الأجسام التي بلا نفوس لا تشعر بمعنى الخير

---

(١) أ : الطباع الصغيرة الذليلة (غير الحرة) .

(٢) ب : على الجوائز التي تكفلها .

(٣) ب : وهي نفوس صغيرة ودنية لاتعرف شيئا عما هو خير وعدل سواء هنا أو في العالم الأخر ، في الأرض أو في السماء .

(٤) اشارة الى النخب الثالث والأخير الذى كان من عادة الاغريق في مآدبهم أن يشربوه على شرف زيوس المنقذ . والترجمة الالمانية تضع بدلا من هذه العبارة أخرى هي : فاستمعوا اليَّ لأن كل الأشياء الطيبة ثلاثة .

(٥) ب : حياة مخجلة غير مشرفة .

والشر (١) ، وانما تشعر بهما النفس وحدها ، سواء كانت متصلة بالجسم او منفصلة عنه . « أما فيما يتعلق بهذه النفس » فيجب علينا دائما ان نصدق الاخبار القديمة المقدسة التي تؤكد لنا ان النفس خالدة وانها ستخضع للحساب وتتحمل اقصى الوان العقاب بعد انفصالها عن الجسد ، ولهذا السبب ينبغي علينا ان نعتبر تحمل الاذى والظلم الفادح اهون شرا من اقترافه . غير ان هذا شيء لا يكترث به الانسان الذي يعدل جشعه « الى الثروة » فقره الروحي ، واذا اكترث به تصور ان من حقه ان يهزأ به بينما ينهش بصورة مخجلة ، كالحيوان كل مايعتقد أنه يمكن ان يشبع شهيته للطعام او الشراب او لتلك اللذة القبيحة المهينة التي تسميها ظلما باسم افروديت . لقد غشيه العمى فلم يعد يبصر الوان العذاب المترتبة على نهمه الكريه ، « ولم يعد يحس » ان كل جريمة (٢) تزيد من حمل الشر الذي لابد ان يجره المذنب وراءه سواء طوال فترة تجواله على الارض أو اثناء عودته المخجلة البائسة الى العالم السفلي .

بهذه الاحاديث وامثالها استطعت أن أؤثر على ديون ، ولدى كلّ الاسباب التي تحملني على السخط على قاتليه وكذلكّ على ديونيزيوس . فقد أصابني كلاهما ، ويمكنني القولّ بانهما أصابا سائر البشر جميعا ، بأفدح الضرر ، أما القتلة فباغتيالهم الرجل الذي كانت لديه الرغبة

---

(١) أ : لا تشعر باللذة الحقيقية ولا الالم الحقيقي .

(٢) أ : أن كل فعل من افعاله ارتبط بالجريمة لابد أن يجره المذنب وراءة .

الحارة في تحقيق العدالة ، واما ديونيزيوس فلأنه لم يشعر بهذه الرغبة لحظة واحدة اثناء حكمه الطويل ، وهو الذي كان يقبض بيديه على زمام السلطة الجبابرة(١)«٣٣٥د» ولو استطاع حقا أن يجمع الفلسفة والسلطة السياسية في شخص واحد لاثار اهتمام الناس جميعا من اغريق وبرابرة (٢) ، وبين لكل انسان حقيقة (٣) انه لن يتيسر لدولة او فرد ان « يذوق طعم السعادة » مالم يقض حياته بحكمة « وتدبر » على هدى العدالة (٢) ، سواء كافح بنفسه في سبيل الوصول اليها او نشأ على مبادىء الحق والعدل التي رباه عليها الصالحون . هذا هو الضرر الحقيقي الذي سببه ديونيزيوس«٣٣٥هـ» ، وكل ماعداه من الوان الاذى التي قاسيتها منه تعد تافهة بالقياس اليه ، اما قاتل ديون فقد فعل نفس مافعله ديونيزيوس دون ان يشعر . فانا اعلم عن ديون ـ وذلك بقدر مايسع الانسان ان يؤكد عن انسان آخر ـ انه لو تمكن من تدعيم حكمه لبدأ على الفور ـ بعد اتمام تحرير مدينته سيراقوزه من نير العبودية وتطهيرها من أدرانها وخلع ثوب الحرية عليها ـ بتزويد مواطنيها بأفضل وانسب مايستطيع من قوانين، ولبادر بعد ذلك بالقيام بما يتصل بذلك من تعمير صقلية كلها وتحريرها من البرابرة ، وذلك بطرد بعضهم واخضاع

---

(١) ب : وأما الثانى (أى ديونيزيوس) فبرفضة تحقيق العدالة فى ربوع ملكة على الرغم من انه كان يملك القوة التى تمكنه من ذلك .

(٢) ب : لامكنه أن يهب بصيصا من النور للعالم كله ، سواء فى ذلك الأغريق او البرابرة .

(٣) أ : ولقن كل انسان المعرفة الصحيحة بأن ..

(٤) أ : تحت حكم العدالة .

بقيتهم ، ولو فق في ذلك توفيقا لم يبلغه هيرون في الزمن القديم «٣٣٦ أ »ولو قدر لهذا أن يتحقق بفضل رجل على حظ من العدل والشجاعة وضبط النفس ، بجـــانب كونه فيلسوفا ، لاستقر بين الناس احترام الفضيلة ولامكن — لو قد كتب لى النجاح أيضا فى اقناع ديونيزيوس — أن لعم الجنس البشرى بأسره « وتضمن انقاذه » (١) ولكن يبدو بعد أن تحولت الامور الى هذه الصورة . أن روحا شريرا « او ربةمن ربات الثأر »(٢) قدهاجمنا(٣)«٣٣٦ب» واستطاع « بما جبل عليه » من احتقار للقانون والدين وبما هو أسوأ منهما من رعونة الغباء — وهو التربة التى تمتد فيها جذور الشر كله وتظل تنمو وتترعرع حتى تخرج فى النهاية مر الثمر لغارسيه — أقول استطاع هذا الروح الشرير أن يقلب كل خططنا ويفسدها للمرة الثانيـــة . فلنقدم الآن على المحاولة الثانية ، ولنسكت عن كل كلام يمكن أن يجلب سوء الحظ عليها . على الرغم من كل ماحدث فانى أنصحكم ، يا أصدقاء ديون ، بأن تحـذوا حذوه فى حب الوطن وتقتدوا بحياته التى اتســـمت بالبساطة (٤) ٣٣٦، وضبط النفس ، وتحاولوا تحقيق أهدافه فى ظل ظروف أنسب . اماطبيعة هذهالاهداف فقد شرحتها لكم الان بوضوح . واما عن حلفائكم فيجب عليكم أن تستبعدوا منهم كل من يخرج على « أسلوب » الحياة

(١) مابين قوسين زيادة فى «ب» .

(٢) مابين قوسين زيادة فى «ا» .

(٣) ا : يبدو أن روحا شريرا قد وضع الأمر فى قبضته وتحكم فى مصيرة .

(٤) زائدة فى (ب) .

«الدورية» التي عاشها اباؤنا (١)» «(٣٣٦ د)» مؤثرا عليها حياة البدع الصقلية التى سار عليها قتلة ديون ، ولا تنتظروا من مثله ان يحقق عملا نافعا او يخلص فى شىء . فاذا تصديتم لاعادة تعمير صقلية كلها ووضع تشريع عادل « يكفل الحقوق المتساوية للجميع » فعليكم ان تستدعوا لهذا الفرض رجالا من صقلية نفسها ومن « شبه جزيرة » البيلوبينيز كلها ، بل لا تخشوا ان تلجأوا فى ذلك لاثينا نفسها ، فستجدون هناك رجالا ممتازين « يفوقون مواطنيهم همة ونشاطا » ويستبشعون اعمال العنف التى تدفع البعض الى قتل الصديق . (٢) ولكن اذا كنتم ستنظرون فى تنفيذ هذه الخطط فى المستقبل ، وكنتم تضيقون فى الوقت الحاضر بتلك الصراعات المستمرة المتنوعة التى تنشب عادة فى فترات الثورة كل يوم ، واحدة من العقل ان يدرك بوضوح ان فظائع الحرب الاهلية لن تنتهى (٣) «(٣٣٦ هـ)» حتى يكف المنتصرون عن رد الظلم الذى حاق بهم من قبل بنفى خصومهم واغتيالهم ، ويتخلوا عن فكرة الانتقام من اعدائهم « وشفاء احقادهم القديمة عليهم » ، ويلتزموا بدلا من ذلك بضبط النفس ، ووضع نظام من القوانين يكفل الخير للجميع ولا يضيف الى مصلحتهم الشخصية مقدار شعرة واحدة اكثر من الفريق المهزوم ، وان يحملوا خصومهم السابقين على طاعة القوانين « واحترامها » بوسيلتين « لا ثالث لهما »

---

(١) ب التى عاشها . آباؤكم .
(٢) ب : التى قتل مضيفهم ، والاشارة الى قتله ديون واضحة .
(٣) ا : إن الشر الذى ينشأ فى ظل ثورة من الثورات لاينتهى حتى .

وهما الحياء والخوف ـ أما الخوف فلأنهم قد اثبتوا انهم يفوقونهم قوة ، واما الحياء فلانهم اقدر على ضبط انفسهم « والتحكم في انفعالاتهم » كما انهم اقدر من غيرهم واكثر استعدادا للخضوع للقانون . هذه هى الوسيلة الوحيدة التى لا يتسنى بغيرها ان تهدأ مدينة « أو دولة » مزقتها الحرب الاهلية ،(١) «٣٣٧ أ »«واذا لم تلجأالى هذه الوسيلة» فستظل عرضة للتمرد والعداوات الشخصية والحقد والخيانة . وهكذا يتحتم على أولئك الذين استولوا على السلطة ، ان ارادوا تحقيق الامن « والاصلاح » ، ان يتبادلوا المشورة فيما بينهم وينتخبوا رجالا يعلمون عنهم أنهم افضل الرجال بين الاغريق ، ويتوخوا فيهم قبل كل شيء ان يكونوا متقدمين فى العمر ، وتكون لكل منهم زوجة واطفال ، واسلاف ماجدون مشهورون بقدر الامكان ، وثروة كافية معقولة ـ وفى مدينة يبلغ تعداد سكانها عشرة آلاف يكفى ان يكون عددهم خمسين رجلا ـ وعليهم ان يتوسلوا اليهم ويغروهم باسمى آيات التكريم حتى يتركوا بيوتهم ، فاذا حضروا تضرعوا اليهم ان يضعوا القوانين ، وذلك بعد ان يأخذوا عليهم العهد « والقسم » بألا يحابوا فيها منتصرا ولا مهزوما ، وان يلتزموا فيها بالمصلحة العامة للمدينة كلها . فاذا وضعت القوانين فسوف يتوقف رخاء « المدينة » على استعداد الفريق المنتصر للخضوع للقانون اكثر من الفريق المنهزم ، وعندئذ يتحقق الانقاذ والهناء ، ويتم الاخلاص من كل شقاء . (٢) أما اذا حدث عكس ذلك فلا يلجأ أحد الى او الى غيرى

---

(١) أ : اشتعلت فيها الثورات الداخلية .

(٢) ب : عندئذ يسود الامن والرخاء ، وتتخلص الدولة من كل متاعبها .

لمساعدة أولئك الذين لم يلتزموا بالمبادىء التي أوصيت بها . اذ انها هي نفس المبادىء التي حاولنا ، ديون وانا ، تحقيقها معا ، مدفوعين بالحب لاهل « سيراقوزة » . لقد كانت هذه هي محاولتنا الثانية . أما الاولى فكانت تلك التي قمنا بها مع ديونيزيوس واملنا من ورائهـــا توفير السعادة للجميع . غير ان قدرا يفوق قدرة البشر حال دون نجاح خطتنا . وعليكم الان أن تبذلوا مافي وسعكم لعل المزيد من التوفيق أن يكون حليفكم ، وان تحظـوا بعون من الله وتأييد من القدر « ٣٣٧ هـ » .



(٤) زيارة افلاطون الثانية لديونيزيوس الثانـــى

بهذا اختم النصيحة التى اردت ان اوجهها اليكم ، كما اختم قصة زيارتى الاولى لديونيزيوس . اما عن رحلتى الثانية فيستطيع كل من يهمه الامر ان يرى « مما ساورويه الان » انها تمت بصورة طبيعية ومعقولة ، واننى قمت بها مدفوعا بدوافع مثالية « ٣٣٨ أ » (١)

مرت فترة اقامتى الاولى فى صقلية على النحو الذى وصفته قبل ان اقدم نصيحتى لاصدقاء ديون واقاربه . وقد بذلت كل مافى طاقتى لاقناع ديونيزيوس باطلاق سراحى ، ثم وصلنا فى النهاية الى اتفاق يقضى بأن يقوم باستدعائنا ديون وانا مرة اخرى بعد أن تنتهى الحرب الدائرة آنذاك فى صقلية « بعقد معاهدة سلام » (٢) « ٣٣٨ ب » ويتم له تبثيت حكمه وتدعيمه . وقد طلب فى نفس الوقت من ديون أن يعتبر أن ماحدث له لم يكن يقصد به نفيه بل تغيير أقامته . وعلى أساس هذه الشروط دعدته بالرجوع .

ولما استتب السلام أرسل ديونيزيوس يدعونى لزيارته، ولكنه طلب من ديون أن يؤجل حضوره سنة اخرى ، بينما أخذ يلح على فى زيارته الحاحا شديدا . كذلك حثنى ديون على السفر ، اذ افادت التقارير العديدة الواردة من

---

(١) جمعت فى هذه العبارة الأخيرة بين الترجمتين .
(٢) زائدة فى «أ» .

صقلية بأن ديونيزيوس قد تملكه من جديد حماس غير عادي للفلسفة ، ولهذا السبب توسل الى ديون ان اقبل الدعوة . وكنت من ناحيتي أعلم أن الفلسفة كثيرا ماتحدث هذا التأثير في الشباب ، ومع ذلك فقد بدا لي من الاضمن — على الاقل في اللحظة الراهنة — ان اتغاضى عن ديون وديونيزيوس ، وتسببت في سخطهما على عندما اجبت الاخير بانني قد اصبحت شيخا متقدما في السن ، وان مايجرى الان يتعارض كل التعارض مع ما اتفقنا عليه بر ٣٣٨ جـ » .

ولكن يبدو أن ارخيتاس « التارنتي » زار ديونيزيوس بعد ذلك مباشرة «وكنت قبل رجوعي الى الوطن قد توسطت في اقامة علاقات ودية بين ارخيتاس وحكومته(١)«٣٣٨د» في تارنت من ناحية وبين ديونيزيوس من ناحية اخرى » وكان في سيراقوزة ايضا عدد من الناس الذين تلقوا شيئا من العلم من ديون ، وعدد آخر اخذوه عن هؤلاء ، ويبدو أن هؤلاء الناس الذين حشدوا رءوسهم بمعلومات فلسفية دارجة (٢) قد حاولوا ان يتناقشوا مع ديونيزيوس حول هذه الموضوعات ، اعتقادا منهم بانه على دراية تامة بكل آرائي . (٣) والواقع أن ديونيزيوس — بجانب استعداده للتعلم — ليس خلوا من الموهبة ، كما انه يتميز بطموحه الشديد ، وربما سره ماقيل عنه فخجل ان يلاحظ

(١) ب : ومدرسته في تارنت .

(٢) ب : أو من الدرجة الثانية .

(٣) ا اعتقاد منهم بأنه سمع منى كل آرائي أو نظرياتي .

عليه احد انه لم يتعلم مني شيئا اثناء اقامتي في بلاطه (١) ولهذا احس في نفسه الرغبة في استيضاح هذه الامور ، كما دفعه في نفس الوقت الى ذلك طموحه الشديد اما السبب الذي جعله لايتعلم مني شيئا اثناء فترة اقامتي الاولى فقد شرحته منذ قليل بالتفصيل .

وبعد ان رجعت سالما الى وطني وبعثت اليه برفضي لدعوته الثانية ــ كما سبق ان قلت ــ شعر فيما يبدو بالقلق الشديد من أن يتصور بعض الناس ان رأيي في طبعه ومواهبه رأي سيىء ــ خصوصا بعد ان عرفت طريقة حياته عن قرب ــ وان اشمئزازي منه هو الذي صدني عن زيارته « ٣٣٩ ا » .

انى ارى من واجبي الآن أن اروى الحقيقة واتحمل أيضا مايمكن أن يترتب عليها لو سمع احد بما حدث فحاول ان يحتقر فلسفتي ويشيد بذكاء الطاغية . فقد بعث ديونيزيوس في طلبي للمرة الثالثة ، وارسل الى مركبا بحريا « بثلاثة صفوف من المجاديف » لكي ييسر على مشقة السفر بقدر الامكان . وجاء معها « أرخيديموس » وهو أحد تلاميذ أرخيتاس وبصحبته عدد آخر من معارفي الصقليين ، وقد أرسله ديونيزيوس لاعتقاده بانني أقدره اكثر من اى أنسان آخرفى صقلية(٢) « ٣٣٩ د » وقد اخبرنا هؤلاء جميعا نفس الخبر ، وهو ان ديونيزيوس قد حقق تقدما ملحوظا في الفلسفة . كذلك

---

(١) ا : فى بلاده .

(٢) ا : اكثر من اى صديق آخر فى صقلية .

ارسل الى خطابا مطولا ، اذ كان يعلم مدى حبى لديون ، كما يعلم مدى لهفته على سفرى وعودتى لسيراقوزة . وقد دار الخطاب كله حول هذه النقطة ، وبدأ بهذه الكلمات تقريبا : « ديونيزيوس يحيى أفلاطون » وبعد التحية التقليدية انتقل بغير تمهيد الى هذه العبارات : « اذا لبيت دعوتى ورجعت الى صقلية ، فسوف تسوى مسألة ديون على الوجه الذى يرضيك « وانا متأكد ان مطالبك ستكون معقولة ، ولهذا فلن اتردد فى الاستجابة لها « اما اذا رفضت فلن يتم اى شأن من شئونه ، وبخاصة شئونه الشخصية ، على الصورة التى تحبها » . كانت هذه هى كلماته ، والاستطراد فى ذكر عباراته يستغرق وقتا طويلا ولا يفيدنا فيما نحن بصدده . وجاءتنى كذلك خطابات أخرى من ارخيتاس والاصدقاء فى تارنت . وكلها تشيد بتقديم ديونيزيوس فى الفلسفة ، وتشير الى اننى أن لم أحضر على الفور فسوف أعرض للخطر الشديد علاقات الصداقة التى اقمتها بنفسى بينهم وبين ديونيزيوس ؟ وهى فى نظرهم علاقات ذات اهمية سياسية قصوى . فلما جاءت دعوة ديونيزيوس على هذه الصورة ، ووجدت ان أصدقائى فى صقلية وتارنت يشدوننى من جهة ، بينما يكاد أصدقائى فى أثينا يتعجلون خروجى من البلاد بالحافهم ؟ واجهتنى نفس الحجة التى واجهتها من قبل ، وهى انه لا يحق لى ان اتخلى عن ديون « أو اخون الاصدقاء والحلفاء فى تارنت . وشعرت فضلا عن ذلك بانه لايستغرب من شاب(١) «٣٣٩هـ»والتقط بعض

(١) ب : من شاب ذى استعداد طبيعى حسن .

الاحاديث الجادة التي سمعها من هنا او هناك أن تشتاق نفسه الى اتباع أفضل سبل الحياة . وهكذا رأيت من واجبي ان أفحص الامر من كل نواحيه بعناية شديدة ، ورأيت الا ارفضه منذ البداية لكي لا أستحق اللوم الذي سيوجه الي لو صحت الانباء التي وصلتني . (١) ومن ثم قمت برحلتي متعثرا وراء الحجة التي ذكرتها ، (٢) ولكن قلبي كان مفعما بالقلق والهم ، ولم يكن لدى — كما يمكن ان تتوقعوا ذلك بسهولة — اى أمل في النجاح . وعندما وصلت الى هناك اكتشفت ان هذه الكلمة المأثورة تنطبق علي : الثالثة ثابتة (٣) ؛ اذ كان من حسن حظى ان انجو مرة اخرى « وارجع سالما الى وطنى » وانا مدين بالفضل في هذا — بعد الله — لديونيزيوس الذى احبط محاولات الكثيرين للقضاء علي واظهر في موقفه منى انه لم يكن مجرداً من الحياء .

وعندما وصلت « الى « صقلية » جعلت مهمتى الاولى هي التحقق من أن ديونيزيوس قد تملكه لهيب الحماس للفلسفة ، وذلك كما أفادت الاخبار الكثيرة التي وردت الى أثينا ، او انه كان مجرد زعم لا أساس له من الصحة « ٣٤٠ ب » وهناك طريقة للتأكد من هذا وليس فيها اى جرح للكرامة ، وهي طريقة تناسب الطغاة ، خصوصا اذا كانت رءوسهم

---

(١) أي الأنباء التي جاءته عن تقدم ديونيزيوس في دراسة الفلسفة .
(٢) أ : قمت برحلتي وأنا اغمض عيني بالحجة التي ذكرتها .
(٣) هذا هو المعنى كما يعبر عنه المثل العامي . ولكن الترجمة الالمانية تذكرها على هذا النحو : المرة الثالثة للمنقذ (أى زيمى) ، أى أن الترجمة الثالثة هى التى يحالفها الحظ .

محشوة بالشعارات الفلسفية (١) ، وهو الامر الذى لاحظت بمجرد وصولى انه ينطبق على ديونيزيوس . والطريقة هى ان نبين لامثال هؤلاء الناس طبيعة الموضوع بوجه عام ، والصعوبات المرتبطة به « والمراحل المختلفة التى عليهم ان يجتازوها »(«٣٤٠ حـ»)(٢) ، والجهد والمشقة اللذين يتطلبهما . فاذا استمع واحدمنهم الى هذا وكانت لديه الشرارة الالهية التى تجعله جديرا بالفلسفة بدا له الطريق من الروعة بحيث يصمم على السير عليه بكل ما اوتى من قوة والا استحال عليه أن يعيش بعد ذلك . وعندئذ يحشد كل مافى طاقته وطاقة مرشده على هذا الطريق ، ولا يتخلى عنه حتى يبلغ هدفه او يأنس فى نفسه القدرة على سلوك الطريق بنفسه بغير مرشد أو دليل . فى مثل هذه الافكار وحدها يعيش الموهوب الفلسفة ، صحيح انه يواصل نشاطه اليومى المعتاد ، ولكنه يحرص بجانب ذلك على التمسك بالفلسفة وبأسلوب الحياة الذى يزيد قدرته على التذكر والتحصيل والتفكير ، ويمكنه من التخلق بالقصد والاعتدال ، اما الطريق الخالف لذلك فيكرهه كراهية تلازمه مدى الحياة « ٣٤٠ د » .

غير أن اولئك الذين لا يملكون الموهبة والاستعداد الحقيقى للفلسفة (٣) ، ولا يصيبون منها الا حظا ضئيلا من المعرفة السطحية التى تشبه الاحمرار الذى يصيب جلود بعض الناس عندما يتعرضون لاشعة الشمس — فهم

(١) ب : خصوصا اذا كانت روءسهم مملوءة بالافكار الدارجة (من الدرجة الثانية !)

(٢) مابين قوسين عن (ب) .

(٣) ب : غير أن اولئك الذين لايحبون الحكمة حبا أصيلا .

لا يلبثون ان يدركوا صعوبة المهمة ، واستحالتها بالنسبة لهم ، وذلك بمجرد أن يعرفوا مقدار مايجب عليهم تعلمه ، ومدى مايتطلبه منهم من مشقة ، والاستقامة التي ينبغي عليهم ان يلتزموا بها في حياتهم . انهم في الواقع عاجزون عن تنفيذ مايطلب منهم (١) «٣٤١ أ» ، ويحاول بعضهم مع ذلك أن يقنع نفسه بأنه قد سمع مافيه الكفاية عن الموضوع كله ، وانهم ليسوا بحاجة الى مزيد من الجهد والعناء . هذا هو الاختبار الاكيد « المأمون » الذى يمكن تطبيقه على أولئك الذين يميلون الى حياة اللذة والدعة ، ولا يجدون في انفسهم القدرة على العمل الشاق . وليس لاحدهم أن يلوم الا نفسه اذا عجز عن النهوض بما يتطلبه منه الموضوع ، ولابد في هذه الحالة أن يعفى المرشد من المسئولية .

هذه هي الافكار التي كنت احملها في ذهني عندما قلت ماقلته لديونيزيوس . لم اتحدث اليه في كل شيء ، ولم يسألني هو نفسه عن ذلك ، فقد ادعى ان ماسمعه من الاخرين (٢) «٣٤١ب» قد أعطاه فكرة كافية عن الموضوع وجعله يحيط بأهم جوانبه . وقد بلغني بعد ذلك انه كتب رسالة عما سمعه في ذلك الحين ، وانه صور الامر كأنه رسالة من تأليفه وتعبر عن مذهبه لاعما سمعه . ولكنني لا اعرف شيئا مؤكدا في هذا الشأن . صحيح أنني اعلم ان هناك عددا آخر كتب في نفس هذه الموضوعات ، ولكن كل

---

(١) ب : عاجزون عن الممارسة الفلسفية .
(٢) أ : أن المعارف التى التقطها من الآخرين .

الذين فعلوا ذلك لم يتحلوا الانفسهم صفة المؤلفين ١٣٤١ ج (١)

بيد انى استطيع على كل حال أن احكم على أولئك الذين كتبوا بالفعل او سيكتبون فى المستقبل مدعين معرفة الامور التى اوليها اهتمامى — سواء زعموا انهم اخذوا العلم عنى أو عن غيرى او وصلوا الى الحقيقة بانفسهم — بأن من المستحيل فى رايى أن يكونوا قد فهموا شيئا عن الموضوع . فلا يوجد عنه كتاب (٢) من تاليفى ولن يوجد ابدا ، لانه ليس شيئا يمكن التعبير عنه بالكلمات كما هو الحال مع العلوم الاخرى ، وانما تنبثق حقيقته فى النفس فجاة بعد مشاركة طويلة وتعاون مستمر فى العكوف عليه كما ينبثق نور قدحته شرارة واثبة ، وهناك يتغذى وينمو نموا مطردا . ثم انى اعلم علم اليقين انه لو تسنى ان يوجد شيء مكتوب او شفهى عن هذا الموضوع فان من الافضل ان اكون انا صاحبه ، كما اعلم ايضا أنه لو عرض عرضا سيئا فلن يضار من وراء ذلك احد غيرى . ولو دار بخلدى أن من الواجب ان يبلغ للراى العام (٣) « ٣٤١ د » بطريقة وافية فى صورة شفاهية او مكتوبة ، فهل كان يمكن ان احقق فى حياتى عملا اروع من هذا ، وهل هناك اجمل من ان اقدم للبشرية مذهبا عظيما يصف لهم طريقة

---

(١) ب : ولكن مثل هؤلاء الناس يجهلون حتى أنفسهم . ويشير المترجم الانجليزى الى غموض العبارة الاصلية ، ويرجح أن تكون اشارة الى أهمية معرفة النفس الى الحكمة المعروفة التى كتبت على معبد دلفى «اعرف نفسك» على أساس ان هذه المعرفة هى شرط كل الفلسفة قارن أيضا محاورة فايدروس ، ٢٢٩

(٢) ب : بحث أو رسالة .

(٣) ب : ان من الممكن ان يبلغ للعالم بأسرة .

الخلاص والانقاذ (١) ويظهر حقيقة الاشياء ليراها الجميع؟ ولكنني لا اعتقد ان محاولة وضع هذه الامور « البحوث » في كلمات يمكن ان تنفع الناس ، اللهم الافئة قليلة جدا لن يستعصي عليها ان تجد الحقيقة بنفسها مع شيء قليل من التوجيه والارشاد . اما بقية الناس فسوف توغر صدورهم على الفلسفة وتملأها بالازدراء لها ، او تولد فيهم الغرور الاحمق الباطل الذى يصور لهم انهم اطلعوا على سر رائع ٣٤١ هـ ».

***

(١) ب : أن اقدم للبشرية خدمة عظيمة .

(٥) عجز الكلمات عن
التعبير عـن الواقـع

اود الان ان اتحدث عن هذه المسالة بشيء من التفصيل فقد يزداد المعنى الذي اريده وضوحا . هناك حجـــة لايمكن دحضها تقف في طريق كل من يتجرأ على كتـابة اى شيء عن هذه الامور ، وهي حجة طالما استخدمتها فى الماضي ، ويبدو ان الضرورة تقتضى تكرارها فى هـــذه المناسبة « ٣٤٢ أ » .

هناك ثلاث أدوات لابد من توفرها لمعرفة أى شيء ، تضاف اليها المعرفة نفسها كأداة رابعة ، اما الخامسة فهي الموجود الحق وموضوع المعرفة نفسه ، فاولها هو الاسم ، وثانيها هو التعريف ، وثالثها هو التمثل (١) ورابعها هو المعرفة . خذ لذلك مثلا واحدا اذا اردت ان تفهم ما اقول ، ثم طبقه بعد ذلك على كل شيء . فهناك موضوع يسمى « الدائرة » واسمه هو الكلمة التى ذكرناها الان. ثم ياتي تعريفه الذي يتكون من أسماء وافعال ٣٤٢ب فالعبارة التى تقول : « الشيء الذى يتساوى بعد اطرافه فى كل اتجاه عن المركز » ستكون هى تعريف الموضوع الذى نصفه بانه مستدير ومتساوى الانحناء ودائرة . ثم ياتى التمثل فى المقام الثالث ، ويمكن أن يرسم ويمحى ،

(١) أ : النسخة (أو الصورة المتمثلة عن الأصل) ويلاحظ أن هذه بداية شرح جديد لنظرية المثل (راجع التعليقات) .

وان يخرط بالمخرطة ويدمر بعد ذلك «٣٤٤ حـ» . ولكن هذه الامور الثلاثة التي تتعلق بالدائرة لاتؤثر على الدائرة الحقيقية ذاتها التى تختلف عنها كل الاختلاف . وفى المقام الرابع تاتى المعرفة والفهم والراى الصادق (١) عن هذه الامور، ويجب أن تضم هذه الثلاثة فى فئة واحدة ، لانها لاتوجد فى الاصوات « اللغوية » او الاشكال المكانية وانما توجد فى النفس ، ومن الواضح انها مختلفة عن (٢) ماهيـة الدائرة الحقيقية فى ذاتها وعن الادوات الثلاث التى ذكرناها فى البداية . والفهم هو اقرب هذه الادوات الثلاث الى الموضوع الخامس ، لما يربطه من قرابة وتشابه ، امـا الاداتان الاخريان فهما اكثر بعدا عنه .

ويصدق نفس الشيء على الاشكال المستقيمة والاشكال والسطوح (٣) المنحنية ، وعلى اللون والخير والجمال والعدالة ، وعلى كل الاجسام الطبيعية أو المصنوعة ، وعلى النار والماء وما شبههما « من العناصر » ، وعلى كل الكائنات الحية والطباع الخلقية ، وكل مايفعله البشر أو ينفعلون به . واذا لم يتيسر فهم الامور الاربعة « ٣٤٢ هـ » مجتمعة ، فلن يتمكن الانسـان أبدا من معرفة الخامس معرفة تامة . اضف الى هذا أن هذه الامور الاربعة ـ بسبب قصور اللغة وعجزها ـ تهتم ببيان خصائص اى موضوع معين بقدر ماتهتم بالكشف عن ماهيته الحقة . ولهذا فلن « ٣٤٣ أ » يخاطر عاقل بوضع أفكاره فى ثوب

---

(١) أ : تأتى المعرفة والرؤية (أو البصيرة) والاعتقاد الصادق .
(٢) ب : من الواضح أنه يجب تمييزها عن .. الخ .

(٣) زيادة فى (ب) .

هذه اللغة الضعيفة ، والاولى من ذلك الا يغالى بوضعها فى تلك الصورة الجامدة التى تميز كل ما يكتب بالحروف .

ان ماقلناه الآن يحتاج الى مزيد من الشرح والتوضيح . فكل دائرة ترسم او تخرط تمتلىء فى الواقع بضد الحقيقة التى جعلناها الخامسة فى الترتيب . فهى فى كل نقطة منها تشارك فى المستقيم ، بينما الدائرة ذاتها ... وهذا هو الذى نؤكده ــ لا تتضمن اى عنصر صغير او كبير من طبيعة ذلك الشىء المضاد لها . (١) وفضلا عن هذا فليس لاى شىء اسم ثابت . فمــا من شىء يمنع « ٣٤٣ ب » أن يطلق على مايسمى الآن « دائريا » اسم « مستقيم » ، أو على العكس من ذلك ان يسمى « المستقيم » « دائريا » ، ولن يتأثر ثبات الاشياء « او بقاؤها على طبيعتها الواقعية » ان غيرنا أسماءها واطلقنا عليها اسماء مضادة . ونفس الشىء ينطبق على التعريف ، فهو مؤلف من أسماء وافعال ، وتبعا لذلك فهو ابعد مايكون عن الثبات . ويمكننا ان نستخدم حججا لا حصر لها (٢) لاثبــات ان كل واحد من الامور « او الادوات » الاربعة السابقة بعيد عن الدقة . ولكن أقوى هذه الحجج هو ان النفس ، كما قلنا ، تسعى الى معرفة الوجود الحقيقى للشىء ولا تكتفى بمعرفة صفاته وخصائصه . بيد ان مايقدمه لها كل واحد من الامور الاربعة السابقة ــ سواء فى صورة كلمات او فى صورة مادية « مرئية »ــ« ٣٤٣ ج »

---

(١) المعنى ان اى مماس لدائرة مرسومة سيتلاقى معها لمسافة معينة ، لأن أى دائرة محسوسة لايمكن ان تكون دائرية بشكل مطلق .

(٢) أ : كلمات لا حصر لها .

ليس هو الذي نبحث عنه ، بل هو شيء يمكن بسهولة ان تدحضه شهادة الحواس ، ولهذا يمكن ان يخلق الحيرة « والارتباك » والغموض في « عقل » كل انسان . وعندما نكون بصدد موضوعات ام نالف — نتيجة التعود السيء — ان نبحث فيها عن الحقيقة ، بل نقنع منها بالنسخ التي تمثلها ، فاننا « في هذه الحالة » « ٣٤٣ د » لا نضع انفسنا موضع سخرية السائلين ، حتى واو كانت لدى هؤلاء القدرةعلىنقد أدوات المعرفة الاربع واثبات خطئها . اما حين يتعلق الامر بموضوعات نتطلب فيها الدليل الواضح على الوجود الحقيقي الذي يشغل المكان الخامس فان اي انسان بارع في الحجاج والتفنيد سيخرج منتصرا وسيجعل المتحدث « الذي يعرض المذهب » — سواء لجا الى الكلام المتسق او الكتابة او صيغة السؤال والجواب — « سيجعله » يبدو في أعين جمهور المستمعين جاهلا جهلا تاما بالموضوع الذي يحاول ان يكتب فيه او يتكلم عنه . قد يحدث احيانا الا يفطن الجمهور الى ان الخطأ لا يرجع لنفس الكاتب او المتحدث بقدر مايرجع « ٣٤٣ هـ » لكل اداة من ادوات المعرفة الاربع الناقصة بطبيعتها . ولكن التعمق المستمر فيها جميعا (١) بالتحرك صعودا وهبوطا من احدها للآخر ، هو السبيل الوحيد لتوليد المعرفة بما هو بطبيعته خير في نفس هي بطبيعتها خيرة ، مع العلم بأن هذا ايضا يستلزم اكبر قدر من الجهد والعناء . اما اذا كان الانسان سيىء التكوين ، وكذلك

---

(١) أى فى أدوات المعرفة الأربع التي سبق ذكرها .

اغلب الناس من الناحيتين العقلية والخلقية — وكم من نفس طيبة أصابها التلف — فان « لينكويس (١) نفسه ان يستطيع ان يهبه القدرة « ٣٤٤ ا » على البصر . وصفود القول أن من لا يشعر نحو الموضوع بصلة القرابة الحميمة لن تقربه منه سهولة التعلم ولا قوة الذاكرة ، لانه « اى الموضوع » لا يمد جذوره ابدأ فى طبائع غريبة عنه . ولهذا فان الذين لا تربطهم صلة القرابة او الشبه بالعدالة والجمال بكل صوره واشكاله — مهما يبدوا من موهبة وقوة ذاكرة في أمور اخرى — والذين تتوفر لهم القرابة الطبيعية « بالموضوع » ولكن تنقصهم الموهبة وقوة الذاكرة — كلا الفريقين لن يستطيع احد منهما أن يتوصل الى المعرفة الممكنة بحقيقة الخير والشر . (٢) « وقد اضفت الشر » (٣) لانه يجب عليهم أن يعرفوهما معا كما يعرفوا المظهر والحقيقة فى الطبيعة كلها (٤) « ٣٤٤ ب » ويبذلوا فى سبيل ذلك من الجهد والوقت بقدر ماذكرت فى بداية حديثى . وعندما يتم أحتكاك الاسماء والتعريفات والتمثلات والانطباعات الحسية بعضها ببعض (٥) وتخضع

---

(١) كان يضرب به المثل فى حدة البصر لدرجة النفاذ فى الجوامد قتله أحد التوأمين (الديوسكوريين) الذى اختطف عروسه وقد صورة جوته حارسا للبرج فى القسم الثانى من فاوست .

(٢) ب : وصفوة القول انه لابسهوله التعليم ولا قوه الذاكرة يمكن ان يجعلا الانسان قادرا على الرؤية اذا لم تكن طبيعته قريبة من الموضوع .

(٣) ب : الفضيلة والرذيلة

(٤) زيادة فى «ب» وان كان يستبدل الرذيلة بالشر .

(٥) تتكرر صورة الاحتكاك الذى يولد الشرارة فى الجمهورية (١٤٣٥ ا) حيث «تحك» النتائج المترتبة على تحقيق العدالة فى الدولة وفى الفرد ببعضها لقدح الشرارة التى تضىء ماهيه العدالة .

جميعها لبحث تسوده السماحة وتبادل الاسئلة والاجوبة بغير حسد « او لؤم » ـ عندئذ فقط تسطع شرارة الفهم والبصيرة لتضيء الموضوع قيد البحث ، ويتوهج ضوؤها بقدر مافي طاقة الانسان . ولهذا السبب ان يفكر اي انسان جاد في الكتابة عن الموضوعات الجادة حتى لايجعل « ٣٤٤ جـ » الحقيقة نهبا لحسد الناس وغبائهم . والنتيجة التي نستخلصها مما سبق هي اننا اذا راينا مؤلفا دونت فيه افكار احد الناس ، سواء أكان مؤلفا في القانون لاحد المشرعين او في اى موضوع اخر ، فيجب ان نعلم ـ اذا كان الكاتب انسانا جادا ـ ان هذا الذى دونه لا يعبر عن افكاره الجادة بحق ، وانما تظل « هذه الافكار » كامنة في اجمل مكان في أعماقه . (١) واذا صح انه كان جادا بحق في تدوين فكره ، فلابد في هذه الحالة أن يكون الناس ، « ٣٤٤ د » لا الالهة ، هم الذين سلبوه عقله . (٢)

يتضح اذا لكل من تتبع بعناية هذا الحديث المتانى (٣) انه لو كان ديونيزيوس او غيره ـ عظم شانه او قل ـ قد دون شيئا من الحقائق الاساسية للطبيعة (٤) ، فلا يمكن

---

(١) ب : وانما تبقى مختزنة فى انبل منطقة من شخصيته .
(٢) نص مقتبس من الياذة هوميروس (النشيد السابع ، سطر ٤٦٠)
(٣) أ : هذه الاسطورة (أو الحكاية) أو هذا الحديث الذى يتحسس طريقه .
(٤) ب : عن أول مبادىء الطبيعة واسماها . لشعر بنفس التقديس نحو هذه الامور .

فى اعتقادى أن يكون قد حصل اية معرفة سليمة عن الموضوع الذى كتب عنه ، ولو تيسر له ذلك لشعر بنفس الاجلال الذى اشعر به نحو الحقيقة (١) ، ولاستحال أن يعرضها للمهانة فى عالم لا يلائمها ولا يليق بها . ولا يمكن أيضا ان يقال أنه كتب ماكتب ليعين ذاكرته « على الحفظ » ، فمن المستحيل أن ينسى الانسان الحقيقة بعد ما استوعبتها نفسه ، لانها « ٣٤٤ هـ » تكمن «هناك» فى حيز صغير جدا (٢) . والواقع انه لو كان قد كتب شيئا على الاطلاق فانما فعل مافعله عن طموح فاسد « ملتو » ، اما لادعاء أن هذه الافكار هى أفكاره الخاصة او الظهور بمظهر المشاركة فى ثقافة (٣) لم يكن جديرا بها ، لان هدفه منها لم يكن غير الشهرة « التى تصور انه سيحصل « ٣٤٥ أ » عليها عندما يذاع عنه انه شارك فيها » . اجل ، لو كان ديونيزيوس قد توصل الى هذه المعرفة من اللقاء الوحيد « الذى تم بيننا » (٤) لما كان فى الامر مايستغرب ، ولكن كيف كان من الممكن ان يحدث هذا ، هذا مايعلمه الله كما يقول أهل « ثيبه » . ذلك لانني تناقشت معه فى الامر — على نحو ماوصفت — مرة واحدة ، ثم لم يدر أى حوار بيني وبينه بعد ذلك ابدا . وكل من يهمه أن يعرف كيف حدثت هذه الامور ينبغى

---

(١) أ : لما طاوع نفسه أن يقدمها لرأى عام غير مناسب لها ولاجدير بها .
(٢) أ : لأنها وضعت فى شكل أو صيغة تفوق فى ايجازها اى شىء آخر .

(٣) أ : فى تعليم .
(٤) ب : من حوار وحيد معى .

عليه أن يتدبر الاسباب التى منعتنا من تكرار الحوار (١) بعد ذلك مرة وثانية وثالثة او اكثر من ذلك أيضا . هل تصور ديونيزيوس ، بعد ذلك اللقاء الوحيد (٢) ، انه قدر اكتشف الموضوع بنفسه أو تعلمه قبل ذلك من غيرى ، ام تراه راى ان مذهبى لا قيمة له ، أم ثبت له — وهذا هو الاحتمال الثالث — أنه يفوق قدرته وانه لن يستطيع ان يحيا حياة الحكمة والفضيلة ؟ ان كان قد تصور ان ماقلته له شيء تافه ، فسيكون عليه أن يستمع الى شهادة كثيرون يؤمنون براى يخالف رأيه ويصلحون ان يكونوا حكاما اكفا منه فى هذا الامر . وأن كان قد اعتقد ، من جهة اخرى ، انه قد اكتشف بنفسه او تعلم من قبل شيئا يصلح فى ذاته لتربية انسان يسعى الى الحرية ، فكيف تسنى له — بغير أن يكون انسانا ملتويا (٣) الى اقصى حد — ان يهين الرجل الذى هو الدليل والحجة فى هذا الامر ؟ لقد كان هذا على التحقيق هو الذى فعله . اما كيف اهانه فسوف أروى لكم الان قصة ذلك .

***

---

(١) ب : تكرار الدرس .
(٢) أ : بعد أن استمع الىَّ مرة واحدة .

(٣) ب : انسانا غير عادى . ولعل الأقرب الى السياق أنه انسان شاذ .

(٦) آخر اخبار افلاطون مع ديونيزيوس ورحيله عن سيراقوزه

لم يمض وقت طويل على الحادث الذى وصفته حتى اصدر ديونيزيوس ـ الذى كان قد سمح قبل ذلك لديون بالتصرف فى أملاكه والتمتع بدخلها (١) ـ أوامره فجاة الى المشرفين على ادارتها « اى الاملاك » بالا يرسلوا منه « اى من الدخل » شيئا الى البيلوبينيز ، وكأنه نسى تماما ماسبق ان قاله فى خطابه . وزعم ان املاك (٢) ديون لم تعد من حقه ، بل أصبحت من حق ابنه الذى هو فى نفس الوقت ابن شقيقته ، ولذلك فهو الوصى عليه . كانت هذه هى الحالة «٣٤٥ د » التى وصلت اليها الامور حتى ذلك الحين ، ومنها عرفت مدى تحمس ديونيزيوس للفلسفة معرفة كافية ، فلم يسعنى الا الغضب « والاشمئزاز » . وكان فصل الصيف قد اقبل ومعه موسم اقلاع السفن . وبدا لى انه ليس من حقى ان اسخط على ديونيزيوس لاننى أولى منه بالسخط على نفسى وعلى اولئك الذين اضطرونى لعبور مضيق « سكيلا » للمرة الثالثة « وشق طريقى

(١) ا : بفوائدها .
(٢) ب : ضيعة ديون

من جديد فى « ٣٤٥ هـ » هاوية خاريبديس المخيفة » (١) ولهذا قررت على كل حال ان اعلن ديونيزيوس باستحالة بقائى بعد تصرفه المخجل مع ديون . وحاول ديونيزيوس ان يهدىء غضبى وتوسل الى ان ابقى ، وصارحنى بانه تدبر الامر ووجد ان موقفه سيزداد حرجا لو سافرت فجاة ومعى تلك الاخبار .

« ٣٤٦ أ » ولما عجز عن اقناعى وعدنى ان يتولى بنفسه ترتيب سفرى . كنت فى الحقيقة قد عزمت على الرحيل مع اول سفينة تقلع من الميناء ، اذ كان الغضب قد استبد بى وصممت على مواجهة اى شىء يمنعنى « من تنفيذ ماعزمت عليه » ، كما كان من الواضح للناس جميعا أننى الجانب المجنى عليه . ولما لم يجد عندى اقل رغبة فى البقاء ، لجا الى هذه الفكرة لكى يحتجزنى لما بعد موسم اقلاع السفن . فقد جاءنى فى اليوم التالى لذلك الحديث ومعه هذا الاقتراح المغرى : « فلنحاول ان نتخلص من « ٣٤٧ ب » الخلافات التى يسببها لنا ديون وشئونه

---

(١) عن أوديسة هوميروس ١٢ ، ٤٢٨ ـ ويلاحظ أن بلوتارك ـ فى الفصل الذى عقده فى تاريخه عن ديون ـ يقتبس هذا البيت نفسه وينسبه لافلاطون . ومضيق سكيلا هو مضيق مسينا الحالى ويسمى من ناحية الشاطىء الايطالى سيكيلا ، ومن جهة الشاطىء الصقلى خاريبدس . وتصورهما الأسطورة القديمة فى صورة وحش خرافى كان يسد مجارى الانهار فى وجه أوديسيون أثناء رحلة العودة الى وطنه «ايثاكا» ، وقد تجسدت الأولى فى شكل صخرة ، والثانية فى شكل دوامة ، وكلاهما تعبير شعرى عن المخاطر التى تعرض لها البحارة الاغريق فى غرب البحر الابيض المتوسط .

المادية . وسوف اتصرف معه بهذه الطريقة ارضاء لك :
سأسمح له باسترداد ثروته على ان يبقى مقيماً في البيلوبينيز لا باعتباره منفياً ، بل باعتبار أن من حقه الرجوع الى سيراقوزة اذا تم الاتفاق بيننا جميعاً على ذلك . (١) وشرطي الوحيد هو الا يتآمر على ، وان تضمن لي ذلك انت واصدقاؤك واصدقاء (٢) ديون الموجودون هنا ، وان يلتزم نحوكم بهذا الوعد . اما كل المبالغ التي يستحقها من ثروته فسوف تودع في البيلوبينيز او في اثينا عند اشخاص تثقون في امانتهم وتختارونهم بانفسكم . سيكون من حق ديون « ٣٤٦ جـ » أن يأخذ نصيبه من الفوائد ، ولكن لا يجوز له ان يسحب شيئاً من راس المال بدون موافقتكم . ذلك لانني لا اضمن سلامة تصرفه نحوى لو وضعت هذه المبالغ الضخمة تحت يده ، اما انت واصدقاؤك فانني اثق بكم اكثر منه . فكر في هذا الاقتراح ، فان اعجبك فابق معنا هذه السنة ، ثم سافر في الربيع ومعك المبالغ المذكورة .

« ٣٤٦ د » انا واثق من أن ديون سيعترف لك بالجميل لو رتبت اموره على هذه الصورة .

انتابني الحنق والغضب عند سماع هذه الكلمات ، ولكنني اجبته بانني سافكر في الامر واخبره في الغد بما استقر عليه رايي . كان هذا هو الذي اتفقنا عليه . واختليت بنفسي وانا في اشد حالات الاضطراب .

---

(١) اى بين ديون واصدقائه من ناحية وبين ديونيزيوس من ناحية اخرى،
(٢) ا : وقارب ديون .

وتزاحمت على الافكار وعلى « ٣٤٦ هـ » راسـسـها هـذه الفكرة : « الا يمكن ان يحنث ديونيزيوس بكل عهوده ، فيحاول بعد رحيلى ان يكتب لديون ويسر اليه بالاقتراح الذى قدمه لى « وذلك فى خطاب باسمه أو خطـابات اخرى يامر اصدقاءه بارسالها اليه » ويصور له اننى ـ على الرغم من حسن نيته ـ لم أبد اى استعداد لمناقشة هذا الاقتراح ولم اكترث بمصالحه على الاطلاق ؟ الا يحتمل ايضا ان يرفض السماح باطلاق « ٣٤٧ ا » سراحى ويشيع بين قباطنة السفن أنه يعارض سفرى ـ وهو يملك أن يفعل هذا بغير حاجة لاصدار أمر صريح ـ وعندئذ لايمكن ان يجرؤ احد منهم على أخذى من بيته » وقد كنت لسوء حظى اسكن في الحديقة المحيطة بالقصر ، ولم يـكن فى استطاعة البواب ان يسمح لى بالخروج بغير أمر صريح من ديونيزيوس نفسه » . ولو اقمت طوال هذه السـنة لاستطعت من ناحية اخرى ان اعرف ديونيزيوس بموقفى وسلوكى . ولو حافظ ديونيزيوس على كلمته فسـاكون قد حققت « ٣٤٧ ب » شيئا لا يستهان به (١) ، لان ثروة ديون لن تقل ـ اذا قيمت تقييما صـحيحا عن مائة تالنت (٢) اما اذا تحققت مخاوفى وسارت الامور سيرها المحتمل ، فلا أدرى عندئذ ماذا سيكون مصيرى ، وان كان من الضرورى ان اصـبر عاما آخر لاكتشف نوايا ديونيزيوس السيئة » واختبرها على ضـوء التجربة العملية » .

---

(١) أ : فلن يبدو سلوكى غامضا أو غير مفهوم .

(٢) التالنت وزن أو عمله قديمة كانت معروفة عند الأشوريين والبابليين والاغريق والرومان وغيرهم من الشعوب القديمة .

لما انتهيت الى هذه النتيجة قابلت ديونيزيوس فى اليوم التالى وقلت له :

« لقد قررت البقاء . ولكننى ارجوك الا تعتبرنى مفوضا من قبل ديون لضمان « ٣٤٧ جـ » مصالحه ، بل يجب علينا معا أن نبعث اليه كتابا نبلغه فيه بما اتفقنا عليه ونساله ان كان راضيا عنه . فاذا لم يحز رضاه وكان لديه بديل آخر او مطالب اخرى فعليه ان يكتب الينا بذلك على الفور . اما أنت فتلتزم بالا تتخذ اى اجراء يمس شئونه حتى يصلنا رده » .

كان هذا هو ماقلته له وما اتفقنا عليه بنفس هذه الكلمات تقريبا . وحدث بعد ذلك ان ابحرت السفن . ولم يعد فى امكانى ان ارحل ، وجاء الى ديونيزيوس واثار الموضوع مرة اخرى وادعى ان نصف الثروة فقط من حق ديون والنصف الاخر « ٣٤٧ د » من حق ابنه . كما ابلغنى بعزمه على بيع الاملاك كلها واعطائى نصف ثمنها لتسليمه لديون والاحتفاظ بالنصف الثانى لولده ، زاعما ان ذلك هو الحل الامثل . افزعتنى هذه الكلمات فزعا شديدا ، ولكننى وجدت من السخرية ان اعلق عليها بشىء . ومع ذلك فقد قلت له ان علينا ان ننتظر رد ديون ثم نبلغه بهذا الاقتراح الجديد . « وفوجئت » بعد هذا اللقاء مباشرة بأن ديونيزيوس باع أملاك ديون كلها بطريقة « ٣٤٧ هـ » طائشة ، وذلك بالشروط التى راقت له وللمشترين الذين اختارهم بنفسه دون ان يقول لى عن ذلك كلمة واحدة . وقد رايت من جانبى الا اطرق الموضوع معه مرة اخرى ، لاننى اقتنعت بأن ذلك لن يجدى شيئا .

هكذا حاولت أن امد العون للفلسفة ولاصدقائي ، ومنذ ذلك الحين « ٣٤٨ ا » سارت حياتنا ، ديونيزيوس وانا ، على هذه الصورة : كنت اشبه بطائر يطل من قفصه ويتوق للفرار ، بينما راح هو يلتمس كل وسيلة لتخويفي (١) وابعادي عن شئون ديون والاحتفاظ باملاكه. ومع ذلك فقد ظهرنا امام صقلية كلها بمظهر الصداقة « والتجانس في الاراء » (٢) .

وحاول ديونيزيوس ان يخفض اجور قدامى المرتزقة « العاملين في جيشه » ، وذلك على عكس السياسة التى كان يتبعها ابوه . وتظاهر الجنود الغاضبون معلنين عن « ٣٤٨ ب » سخطهم . واراد ديونيزيوس ان يؤدبهم فامر باغلاق ابوا ب القلعة (٣) ، ولكنهم هجموا على الاسوار وهم يتصايحون صيحات الحرب ويرددون اناشيدهم البربرية . واستولى الرعب على ديونيزيوس الذى رضخ لمطالب المتظاهرين بل وافق على اعطائهم اكثر مما طلبوا . وسرعان ما انتشرت اشاعة بأن « هيراكليديس » هو المسئول عن هذا التمرد ، ولما شعر بانه سينقلب عليه نجا بنفسه واختفى بعيدا عن الانظار . وبذل ديونيزيوس كل ما فى وسعه لالقاء القبض عليه ، ولكنه اخفق . ولذلك « ٣٤٨ جـ » استدعى « تيودوتيس » لمقابلته فى حديقة القصر التى تصادف ان كنت فى ذلك الوقت اتجول فيها . لا أدرى ما الذى كانا يتحدثان عنه لانني لم استمع الى حديثهما ولم افهم كذلك منه شيئا . ولكننى لازلت

(١) ، (٢) زيادة فى «ا»

(٣) ا : البرج

اذكر ماقاله ثيودوتيس لديونيزيوس على مشـــهد منى : « أفلاطون ، اننى احاول ان اقنع صديقنا ديونيزيوس بأن يسمع لهيراكليدس اذا نجحت فى احضاره للمثول امامه والاجابة على الاتهام الموجه اليه ، واذا قرر ابعاده عن صقلية ــ « أن يسمح له » باخذ زوجته وابنه معه ليعيشوا فى البيلوبينيز والحصول على ثروته كامله بشرط الا يقوم باى اجراء من شانه أن يضر بديونيزيوس . لقد ارسلت منذ قليل فى طلبه ، وسابعث اليه مرة أخرى لعـــله يستجيب لدعوتى الاولى او الثانية . ولكننى استحلف ديونيزيوس واتوسل اليه ، فى حالة العثور على هيراكليدس هنا أو فى الريف ، الا يعاقبه بغير النفى خارج البلاد . وذلك الى ان يتدبر أمره ويتخذ قرارا آخر بشأنه » . ثم التفت الى « ديونيزيوس » قائلا « هل تتعهد بهـذا ؟ » اجاب ديونيزيوس : « نعم . وحتى لو وجد فى بيتـك فلن يحدث له شيء يخالف ماتعاهدنا عليه » .

وفى مساء اليوم التالى هرع الى ثيودوتس واويريبيوس وهما فى حالة شديدة من الانفعال والاضطراب . وبدأ ثيودوتيس قائلا : « افلاطون ، لقد كنت بالامس شاهدا على التعهد الذى قطعه ديونيزيوس على نفســـه بشأن هيراكليدس » . قلت : « أجل . كنت شاهدا عليه . » استطرد ثيودوتيس قائلا : « والان يفتش الجنود المنطقة بحثا عن هيراكليدس ، ويبدو انه موجود فى مكان قريب ــ تعال معنا « ٣٤٩ » بسرعة الى ديونيزيوس لكى لانضيع لحظة واحدة » . هكذا انطلقنا معا ، وعندما مثلنا بين يديه اخذا يبكيان فى صمت فبدات الكلام قائلا : « ان صديقى يخشيان ان تؤذى هيراكليدس خلافا لما اتفقنا عليه امس ، اذ يبدو انه قد لوحظ وجوده هنا وانه يختفى.

في هذه الناحية » . ولما سمع ديونيزيوس ذلك ثار ثورة شديدة وتغير لون وجهه كما هي عادة من يستبد به الغضب . اما ثيودوتيس فركع عند قدميه « ٣٤٢ ب » وتناول يده وابتهل اليه والدموع في عينيه بالا يفعل شيئا من ذلك . وحاولت ان أواسيه فقاطعته قائلا : « تشجع ياثيودوتيس ، فلن يحنث ديونيزيوس بالوعد الذي اتفقنا عليه امس » . وعند ذلك نظر ديونيزيوس الى نظرة طاغية أصيل وهتف قائلا : « انا لم اعدك بشيء ، لم أعدك بشيء على الاطلاق » . قلت : « بلى . الله يعلم انك فعلت . لقد وعدت بالا تتخذ الاجراء الذي يتوسل اليك ثيودوتيس الان بالا تقدم عليه » . ثم استدرت وغادرت المكان .

« ٣٤٩ جـ » وبعد ذلك واصل مطاردته لهيراكليديس . ولكن ثيودوتيس بعث اليه رسولا يحذره ويلح عليه بالهرب . وارسل ديونيزيوس تيزياس على راس قوة للبحث عنه ، غير ان هيراكليدس تمكن قبل وصولهم بساعات قليلة من اللجوء للقرطاجيين .

تذرع ديونيزيوس بهذه الحادثة للتنصل من وعده برد ثروة ديون اليه كما وجد فيها مبررا كافيا لاظهار العداء لي . وبدأ بابعادي من القلعة ، بحجة أن الحديقة التي كنت أسكن فيها سيقام فيها حفل ديني نسائي (١) يستمر عشرة ايام .

« ٣٤١ د » وامر بان أقيم في هذه الفترة خارج القلعة مع أرخيديموس . واثناء اقامتي الاخيرة دعاني ثيودوتيس

---

(١) أ : حفل نسائي تقدم فيه الأضاحي والقرابين .

لزيارته واخذ يبدي استياءه من الاحداث التي وقعت ويصب شكواه المرة على ديونيزيوس . وبلغ ديونيزيوس انني زرت ثيودوتيس ، فاتخذ من ذلك « ٣٤١ هـ » ذريعة اخرى لتبرير اسباب القطيعة معي ، وبعث يسألني ان كنت قد لبيت دعوة ثيودوتيس . قلت للرسول : « هذا صحيح » فاجاب بقوله : « لقد امرني ان ابلغك بان تصرفك هذا تصرف غير لائق ، لانه يدل على انك تقدر ديون واصدقاءه اكثر مما تقدره » . كانت هذه هي الرسالة التي ابلغها الي ، ولم يستدعني بعد ذلك ابدا الى قصره ، كانما لم يبق لديه شك في صداقتي لثيودوتيس وهيراكليديس وعداوتي له . وفضلا عن هذا فقد سلم بانه لم تعد لدي نية الحديث معه بعد ان تبددت ثروة ديون باكملها . هكذا عشت منذ ذلك الحين خارج القلعة بين الجنود المرتزقة . وسعى لزيارتي عدد كبير من الناس وبينهم « ٣٥٠ ا » بعض مواطني « الاثينيين » من افراد الحاشية وملاحي السفن » (١) وابلغوني ان المشاة يفترون علي (٢) ويهددون بقتلي ان تمكنوا من وضع ايديهم علي . واخذت ابحث عن مخرج لتامين حياتي حتى وصلت الى هذه الفكرة . بعثت رسالة الى ارخيتاس وسائر اصدقائي في « تارنت » ابلغهم فيها بالخطر المحدق بي . وماهو الا ان وجدوا ذريعة لارسال بعثة دبلوماسية من مدينتهم ومعها مركب بثلاثين مجدافا بقيادة واحد منهم يدعى « لامسكوس » . وعندما وصل « الى

---

(١) زيادة في «ب» .

(٢) ب : ان سمعتي سيئة بين المشاة الخفيفة .

سيراقوزة » مثل بين يدى ديونيزيوس وتشفع لى عنده وابلغه برغبتى فى الرحيل ورجاه الا يقف عقبة فى طريقى وقبل ديونيزيوس رجاءه ، ووافق على ان اغادر البلاد مع المال اللازم للسفر . اما عن ثروة ديون فلم اسأل عنها ولا حاول احد أن يسلمنى شيئا منها .

وعندما وصلت الى « اوليمبيا » فى شبه جزيرة البيلوبينيز قابلت ديون الذى كان يزور احتفالات الالعاب الاليمبية ورويت عليه ماحدث . اقسم بزيوس أن ينتقم، « ٣٥٠ جـ » ودعانى واقربائى واصدقائى ان نستعد لعقاب ديونيزيوس على مااقترفه سواء بالتفريط فى واجب الضيافة نحوى ــ وهذا هو الذى تصوره ديون وقاله ــ او بالاجراء الظالم الذى اتخذه نحوه بطرده ونفيه . ولما سمعت هذا منه قلت له انه حر فى أن يدعو أصدقائى اذا شاءوا الاستجابة له ، « اما من ناحيتى فقد اجبرتنى انت والاخرون على مشاركة ديونيزيوس فى مائدته وبيته وطقوسه الدينية . ولقد صدق فيما يبدو تلك المزاعم والافتراءات التى جاءته من كل ناحية وصورت له اننى اشتركت « ٣٥٠ د » معك فى التآمر عليه وعلى حكمه المطلق ، ومع ذلك فانه لم يأمر بقتلى بل تهيب من الاقدام على ذلك . (١) أضف الى هذا أننى تقدمت فى السن ولم تعد لدى القدرة على مساعدة احد فى اى عمل حربى ، وان كنت مع ذلك على اتم استعداد لان اضع نفسى فى خدمتكما اذا اردتما ان تكونا اصدقاء وتقدما الخير لبعضكما . اما اذا اصررتم على الايذاء « والعدوان »

---

(١) ا : ومع ذلك فان ضميرة منعه من قتلى .

فعليكم أن تبحثوا عن غيري (١) . قلت هذا وانا اشعر بالاشمئزاز من مغامراتي في صقلية والاخفاق الذي اصبت به . غير انهم لم يستجيبوا لي ولم يتاثروا بعروض الصلح والتوسط التي تقدمت بها ، ولهذا جروا على انفسهم كل المصائب التي المت بهم . ولو ان ديونيزيوس « ٣٥٠ هـ » رد لديون ثروته او تصالح معه لما حدث شيء من ذلك كله ـ وذلك بقدر مايسع الانسان من قدرة على التنبؤ بمصار الامور ـ فقد كان في استطاعتي ان امنع ديون « عن اللجوء الى القوة » ، وكانت لدي الارادة الطيبة والقوة التي تمكنني من التاثير عليه . غير ان الامور سارت في طريق آخر فشن كلاهما الهجوم على الاخر وجلبا الشقاء والخراب على كلّ شيء .

« ١٣٥١ » وعلى الرغم من ذلك كله يمكنني القول بأن آراء ديون (٢) كانت هي نفس الاراء التي يفترض في وفي اي انسان عاقل « مستقيم » ان يعتنقها ، فمثل هذا الانسان يضع نصب عينيه عندما يتعلق الامر بالحياة السياسية التي سيسير عليها هو واصدقاؤه او يتعلق بوطنه ـ ان يصل الى السلطة والى أسمى الوظائف عن طريق التفاني في خدمة الصالح العام . وليس من خدمة الصالح العام في شيء (٣) ان يعمد انسان الى اثراء نفسه واثراء اصدقائه (٤) ومدينته عن طريق الخبث وتدبير المؤامرات ، لانه في هذه الحالة انسان

---

(١) ب : فعليكم أن تمدوا ابصاركم في اتجاه آخر .

(٢) ب : بأن سياسية ديون .. الخ .
(٣) أ : التفاني في خدمة الغير .
(٤) ب : واثراء حزبه .

مجدب (١) عاجـز عن التحـكم فى « ٣٥١ ب » شهواته ، يقتل أصحاب الثروة ويصفهم بانهم أعداؤه ، ويصادر ممتلكاتهم ويشجع حلفاءه واتباعه على الاقتـداء به حتى لايتهمه احد منهم بأنه هو المسئول عن فقرهم (٢) وليس من الشرف ايضا أن « يمتدح انسان من « سكان » مدينته لانه وزع ثروة القلة على الكثرة بحجة تنفيـذ القرارات الشعبية ، أو لانه ضم أملاك المـدن الصغيرة الى مدينته ، وذلك اذا كان على رأس مدينة كبيرة تمد « ٣٥١ جـ » نفوذها وسلطانها على مدن أخرى أصـغر منها . ولا يمكن ان يسعى ديون او أى انسان آخر لديه القدرة على السيطرة على نفسه الى الاستيلاء بمثل هذه الطريقة على سلطة يمكن ان تجلب اللعنة الابدية عليـه وعلى عائلته ، بل الاولى أن يجعل هدفه وضع دسـتور حقيقى واقامة قوانين طيبة وعادلة تنفذ بغير قتل او اعدام او نفى (٣) على الاطلاق . كان هذا هو المثـل الاعلى الذى وضعه ديون لنفسه ، مؤثرا تحمل الظلم على اقترافه . ومع أنه قد احتاط لنفسه « من تحمل الظلم بغير داع » فقد سقط فى نفس الوقت الذى حقق فيه هدفه « ٣٥١ د » من الانتصار على أعدائه . وليس القدر الذى أصابه بالامر المستغرب . فقد يستبعد على رجل خير مثله يتمتع بحظ كاف من الذكاء والاتزان ـ أن ينخدع تماما فى

(١) حرفيا : انسان فقير ، ولكن المراد هو الفقر والجدب الباطنى والروحى .
(٢) أ : حتى لايتهمة احد بأنه بقى فقيرا .
(٣) بغير أحكام بالاعدام أو النفى : زيادة فى (ب) .

طبيعة الاشرار الذين يتعامل معهم ؛ ولكن لا يستطيع عليه ان يتعرض لنفس المصير الذي يتعرض له ملاح بارع يعلم تمام العلم ان العاصفة آتية ، ومع ذلك تداهمه بقوتها وعنفها المفاجىء فتغرقه . كان هذا هو السبب في سقوط ديون . فقد كان يعرف ان الذين تسببوا في سقوطه اشرار ، اما المدى « ٣٥١ هـ » الذى وصلت اليه فظاظتهم وخستهم وجشعهم فذلك هو الذى غاب عنه . وهكذا راح ضحية انخداعه فيهم وجلب على صقلية الحزن والشقاء اللذين لاحد لهما .

« ٣٥٢ ا » لقد قدمت النصيحة التي كان على ان اوجهها اليكم في اعقاب الحوادث التي وصفتها . ولهذا اكتفي بما قلت . ولقد رويت قصة زيارتي الثانية لصقلية لان الحوادث الغريبة غير المتوقعة التى ارتبطت بها فرضت على ذلك . فاذا وجد اى انسان ان الوصف الذى قدمته يجعل هذه الحوادث اقرب الى الفهم ويبرر الظروف التي تحدثت عنها تبريرا كافيا ، فقد تحقق الغرض من هذا العرض على اكمل وجه .



تعليقات

« ٤٢٤ ب » تتضارب الآراء منذ العصور القديمة حول اسم « هيبارينوس » ومصيره ، وهناك اثنان يحملان نفس الاسم ، الاول هو ابن ديون ؛ والثاني ابن ديونيزيوس الاول من زوجته « ارستوماخيه » شقيقة ديون ، وبهذا يكون الاخ غير الشقيق لدنيزيوس الثاني . والارجح ان يكون المقصود من هذه العبارة ومن المقارنة بين الاعمار هو ابن ديون لا ابن ديونيزيوس الاول الذى ورد ذكره فى الرسالة الثامنة ، واشترك مع اتباع ديون وحلفائه فى اقصاء كاليبوس عن الحكم الذى استولى عليه فى سنة ٣٥٤ق.م بعد اغتيال ديون « وكاليبوس هذا هو صديق ديون الذى صحبه من اثينا ثم غدر به ، وهو الذى يتبرأ افلاطون من خيانته ويحاول أن يبرىء منها مدينته » . ومن العلماء من يؤكد من ناحية اخرى ان هيبارينوس المقصود لا يمكن ان يكون ابن ديون ، وذلك استناداً الى مايقوله بلوتارك فى تاريخه « ديون ٥٥ » من انه مات قبل أبيه .
ويبدو ان هذا الاضطراب فى تحديد شخصيته كان احدى الحجج التى اعتمد عليها المتشككون فى أصالة الرسالتين السابعة والثامنة ، على الرغم من تسليم جمهور العلماء بصحة نسبتهما الى افلاطون ، وذلك منذ أن قدم العالم فيلامو فيتس « ١٨٤٨ ــ ١٩٣١ » الادلة الكافية على أصالة الرسالة السابعة بوجه خاص .

« ٢٣٤ جـ » ولد أفلاطون فى سنة ٤٣٧ ق.م ، وتمت

الثورة التي تسلم بها الثلاثون مقاليد السلطة في صيف سنة ٤٠٤ ق.م . والغريب في وصف هذه الثورة هو تقديم سلطتي الامن والادارة ــ اللتين عهد بهما الى احد عشر رجلا في اثينا وعشرة رجال في بيرايوس ــ على السلطة العليا التي كانت في يد الثلاثين . والاغرب من ذلك نسبة الرقابة على الاسواق الى الاحد عشر الذين لم تكن هذه الرقابة تمثل مهامهم الحقيقية . ومع ذلك فربما ينطبق هذا على العشرة في بيرأيوس اكثر مما ينطبق على الاحد عشر .

« ٣٢٤ د » كلف الثلاثون سقراط واربعة آخرين بالقاء القبض على شخص من جزيرة سالاميس يدعى « ليون » ، ولكن سقراط تجاهل الامر . وقد وردت هذه الحادثة في « الدفاع ، ٣٢ جـ » حيث نجد افلاطون يذكر على لسان سقراط « انهم ــ اى الثلاثين ــ كلفوا عددا كبيرا من الناس بمثل هذه المهمة وذلك لالقاء الذنب على اكبر عدد ممكن » .

« ٣٢٦ ب » : يعبر افلاطون في الجمهورية « ٣٧٣ جـ ــ د ، ٤٩٩ د » عن رأيه المعروف بهذه الصيغة الشهيرة : « اذا لم يصبح الفلاسفة ملوكا على المدن او لم يبدأ اولئك الذين يسمون الآن بالملوك والحكام في التفلسف الحقيقي .. »

ولكن هل كان افلاطون يؤمن حقا عندما كتب هذه العبارة بامكان تحقيق هذا المثل الاعلى ؟ وهل كان يتصور امكان الجمع بين الحاكم والفيلسوف في شخص واحد كما تخيل ديون عندما كتب اليه يتعجل زيارته لاغتنام الفرصة النادرة بعد تولي ديونيزيوس الثاني زمام

الحكم ، ام اقتصرت كل جهوده مع الملك الجديد على اقناعه باصلاح الدستور والتمسك بسيادة القانون كما عبر عن ذلك في محاورته المتاخرة « السياسى » ؟ يبدو على كل حال ان افلاطون كان يتصور عند زيارته الاولى لصقلية ان الحكم الدكتاتورى المطلق يمكن ان يصلح اساسا لنظام الحكم العادل ، نظرا لما يملكه المستبد « العادل ! » من قدرة على الاصلاح والتغيير . ولعل صورة ديونيزيوس كانت في باله عندما تصور هذا وعبر عنه ، وذلك قبل ان تثبت له التجربة فداحة خطئه « راجع كذلك « القوانين » ٧٩٩ ومابعدها ! » . اما عن زيارته الاولى لايطاليا فقد تعرف فيها سنة ٣٨٨ ق . م على صديقه ارخيتاس حاكم تارنت - في جنوب ايطاليا - وفيلسوفها ورأس المدرسة الفيثاغورية فيها . وقد كان لهذا الملك الفيلسوف اثر كبير على التجارب التى مر بها افلاطون في صقلية ، وهو الذى توسط لدى ديونيزيوس الثانى لانقاذه من الاسر وخطر الموت المحقق « راجع ايضا في هذه الرسالة ٣٣٨ جـ ، ٣٥٠ ب » واما عن لذات الطعام والشراب السيراقوزية فيبدو انها كانت مضرب الامثال في بلاد الاغريق . ويلاحظ ان افلاطون يذكرها ايضا في محاورتى الجمهورية « ٤٠٤ جـ » وجورجياس « ٥١٨ ب » .

« ٣٢٦ جـ » يقول افلاطون انه يقدم نصيحته للمرة الثانية . وربما كانت المرة الاولى عندما حاول التاثير على ديونيزيوس الثانى . وهو يذكر في هذه الرسالة نفسها « ٣٢٤ د » انه قدم نفس النصيحة في ثلاث مناسبات مختلفة ، لديون اولا ، ثم لديونيزيوس الثانى ، واخيرا

هذه النصيحة التي يقدمها في الرسالة السابعة لاصدقاء ديون واتباعه .

« ٣٢٧ جـ » لم يقف افلاطون وديون وحدهما في محاولة أقامة نظام الحكم العادل الذي يسعد اهل صقلية ويقر بينهم الخير والفضيلة . فقد استطاع ديون أن يكسب الي صفه عددا من افراد البيت الحاكم نفسه وهم اخوة ديونيزيوس الثاني غير الاشقاء « من ابيه ديونيزيوس الاول وزوجته اخت ديون » وفي مقدمتهم هيبارينوس الذي سبق ذكره .

« ٣٢٩ ا » : « لو كنت اعيش في ميجارا لاسرعت بمساعدتي » . لان مدينة ميجارا التي تقع على خليج كورنثة ـ شديدة القرب من اثينا .

« ٣٣١ جـ » يتكرر هذا المعنى في محاورة كريتون ٥١ جـ « اقريطون » التي نجد فيها هذه العبارة : « لايصح ان يفرض المرء شيئا بالاكراه على ابيه أو امه واقل من ذلك ان يفرضه على بلده . » وافلاطون ينصح للفيلسوف بأن يلتزم الهدوء ولا يرفع صوته اذا لم تسمح الظروف بأن يسمعه احد ، كما ينصحه بالبعد عن استخدام العنف لتغيير دستور الحكم اذا كان سيؤدي الى تعرضه هو او غيره من المواطنين للموت أو النفي . ونجد هذه النصيحة نفسها في محاورة الجمهورية « ٤٩٦ » فينبغي على الفيلسوف أن يلزم السكينة والهدوء « كرجل يأوي الى جدار يحميه من العاصفة » ..

« ٣٣٢ ا » لا تفهم هذه العبارة ألا اذا وازنا بين وضع صقلية في عهد ديونيزيوس الاول وبين وضع اثينا التي

كانت فى ظروف اسوأ منها . فالاثينيون يحتلون مدنا آهلة بالسكان لامدنا خربها البرابرة ، مما يزيد من صعوبة حكمها والسيطرة عليها . اما داريوس فقد كانت ظروفه كذلك اصعب من ظروف ديونيزيوس . فقد عجز هذا عن حكم تلك المدن على الرغم من استناده الى اخوته الاصغر منه ، بينما نجح داريوس الذى أعتمد على تأييد المشتركين معه فى قلب « الميدى » على الرغم من انه لم يقم بتربيتهم ولم تربطه بهم علاقة الدم . ولو رجعنا الى تاريخ هيرودوت « ٣ ، ٦١ وما بعدها » لوجدنا ان داريوس قضى على احد الحكام الميديين الذى كان يدعى «سمبرديس» بمساعدة ستة من حلفائه وبذلك اصبح ملكا على بلاد الفرس . ويذكر هيرودوت أن داريوس قسم مملكته الى عشرين ولاية ، بينما يؤكد نقش وجد فى مدينة « برسيبوليس » انه قسمها الى اربعة وعشرين ولاية . وقد اتخذ بعض الباحثين من هذه الاختلافات التاريخية حجة على عدم أصالة الرسالة السابعة . ولكننا نجد أفلاطون يذكر فى القوانين « ٦٩٥ جـ » عدد الولايات التى يذكرها فى هذا الموضع من الرسالة ، اذ يقول ان داريوس قسم ملكه الى سبع ولايات ، كما يصف الحاكم الميدى بنفس التسمية التى يصفه بها هنا وهى الخصى . وغنى عن الذكر ان الفيلسوف ليس مؤرخا دقيقا ولا يقلل من شأنه غياب بعض الحقائق التاريخية عنه ، كما لاينهض دليلا على زيف الرسالة التى نحن بصددها .

« ٣٣٢ ب » المقصود بالبرابرة ـ فى كلام اليونانيين بوجه عام ـ هم الفرس . وقد دامت الامبراطورية الاثينية مايقرب من سبعين عاما وانتهت سنة ٤٠٤

ق.م . « ٣٣٣ أ » جيلون هو طاغية سيراقوزة الذى هزم القرطاجيين فى معركة « هيميرا » سنة ٤٨٠ ق.م وفرض عليهم الاتاوة . ويبدو ان تعبير افلاطون عن خضوعهم لغيره فيه نوع من المبالغة كما أن الكلام عن الاتاوة التى فرضها القرطاجيون على ديونيزيوس لم يرد الا فى هذه الرسالة.

« ٣٣٣ ب » كانت المرة الاولى عندما حرر ديون المدينة من طغيان ديونيزيوس الثانى بعد رجوعه من بلاد الاغريق اما فى المرة الثانية فقد استدعى من مدينة ليونتيني ليحميها من نيسيوس احد قواد ديونيزيوس .

« ٣٣٣ هـ » الاخوان اللذان صاحبا ديون عند عودته الى صقلية هما كاليبوس وفيلوستراتوس . « راجع تاريخ بلوتارك ، الفصل الخاص عن ديون ، ٥٤ » ويلاحظ ان الاول يرد ذكره اكثر من مرة ، وهو الذى قام باغتيال ديون او على الاقل حمى قاتليه وتستر عليهم ، وتبرؤ افلاطون من القتلة ومن نسبتهم الى وطنه أثينا تفيد اشتراك الاخوين فى الجريمة .

« ٣٣٦ ب » هيرون هو شقيق جيلون ـ الذى سبق ذكره فى تعليق سابق « ٣٣٣ أ » وخليفته فى حكم سيراقوزة .

« ٣٣٧ جـ » يرجح بعض الباحثين ان تكون هذه العبارة اضافة متاخرة الى النص ، كما يبدو ان هذا الرقم الكبير لا يتناسب مع عدد السكان . فنحن نجد فى الرسالة الثامنة ان عدد اعضاء هذه « اللجنة » المنتخبة يترك للاتفاق عليه ، كما أن القوانين « ٧٠٤ جـ » تحدد عددهم بعشرة اعضاء فحسب .

« ٣٤٢ ب » تذكر القوانين « ٨٩٥ د » ثلاثة اشـــياء تنطوى عليها المعرفة بأى موضوع ، وهى الموضوع نفسه وتعريفه ، واسمه . ولما كانت « القوانين » تناقش فى ذلك الموضع حقيقة النفس ،لم يرد فيه ذكر « التمثل » أو النسخة المذكورة هنا لعدم ملاءمته له كما هو الحال هنا حيث اختار افلاطون مثال الدائرة الذى يمكن آن يمثل له بدائرة مرسومة ، وقد أخذ استعمال افلاطون لفعــل الامر بضمير المخاطب « خذ لذلك مثلا ... » الخ . على انه اضافة كاتب اراد ان يبين علمه بنظرية المثل فاقحم على النص شاهدا ورد فى سياق افلاطونى آخر . وعلى الرغم من ان كل التفاصيل الواردة فى الرسالة الســابعة عن نظرية المثل أو غيرها من نظريات أفلاطــون وآرائه موجودة ومثبتة بتكاصيلها فى مواضع اخرى من محاوراته فلا شىء يمنع من تكرارها فى هذه الرسالة التى يحــاول فيها ان يدافع عن فلسفته ويبررها فى وجه المفترين عليه ، ولا ضرورة ايضا لتصور اقحام هذا الجزء العسير بيد كاتب متأخر .

« ٣٤٣ أ » يتكرر سوء الظن بالكلمات والحروف الجامدة وعجزها عن أحتواء الافكار والاحاديث الحية فى محاورة فايدروس « ٢٧٥ د » اذ يبدأ سقراط ــ فى حديثـــه العذب مع فايدروس ــ فى رواية أسطورة مصرية قديمة تحكى عن « توت » ــ كاتب الالهة ــ الذى ينســب اليه اختراع الكتابة والحساب والارقام والهندسة والفلك ، ويذهب « توت » ليعرض أختراعاته على رب الارباب آمون ، مؤكدا أن اهمها هو اختراع الكتابة الذى يزعم أنه سيقوى ذاكرة المصريين . ويزيد من ذكائهم وحكمتهم ! .

غير أن آمون يصدمه بقوله :

ان مكتشف فن من الفنون ، ياعزيزى توت ، ليس هو أفضل حكم على نفعه او ضرره للذين سيمارسونه . وكذلك الشأن في هذه الحالة . ففرأمك بالكتابة ، وانت ابوها ، قد جعلك تنسب اليها عكس وظيفتها الحقيقية تماما . فالذين سيتعلمونها سيكفون عن استعمال ذاكرتهم ويصابون بالنسيان ، وسيعتمدون على الكتابة لتذكر الاشياء عن طريق العلامات الخارجية بدلا من الاعتماد على مصادرهم الباطنة . ان ما اكتشفته يساعد الحفظ ولا يساعد الذاكرة . أما عن الحكمة فسيشتهر تلاميذك بها دون ان يكون لهم في الواقع منها نصيب ، سيتلقون قدرا من المعلومات بغير علم صحيح ، وسيظن الناس نتيجة لذلك انهم على حظ كبير من العلم فى الوقت الذى يكون فيه معظمهم جاهلين جهلا تاما ، ولانهم سيمتلئون بالحكمة الزائفة بدلا من الحكمة الحقيقية وسيصبحون عبئا على المجتمع ... »

ويدلل افلاطون — على لسان سقراط — على رأيه عن تقدم الحديث الحي « المنقوش على صفحة الروح ! » على الكلمة المكتوبة بأن الشيء يطوف بمجرد تدوينه بين الذين يفهمون موضوعه والذين لا يكترثون به ، اذ لا تستطيع الكتابة ولا الكاتب ان يميز القراء الذين يناسبونه من القراء الذين لا يناسبونه « وهى نفس الفكرة التى تتكرر فى هذه الرسالة ٣٤١ هـ » ، واذا اسيئت معاملتها او اسيء استخدامها فهى فى حاجة دائمة الى « ابيها » الذى يهب لنجدتها لانها عاجزة عن الدفاع عن نفسها ! وليس كذلك الامر مع الحديث الحى ، لانه يعرف كيف

يدافع عن نفسه ، كما يمكنه ان يفرق بين أولئك الذين ينبغي ان يوجه اليهم وبين الذين ينبغي عليه ان يلزم الصمت في حضورهم .. ولهذا كانت الكتابة من الحديث الحي بمثابة الظل من الاصل . ولهذا ايضا كان صاحب المعرفة الاصلية بما هو حق وخير وجمال أشبه بالفلاح الجاد الذي يغرس بذوره في التربة المناسبة « لا في حدائق ادونيس او الاوعية الضحلة التي كان الناس في الاحتفال بذكري هذا البطل الجميل قصير العمر يغرسون فيها البذور لتزدهر سريعا قبل ان تمد جذورها في التربة » ثم يفرح بجمع الحصاد بعد ثمانية شهور من غرسها . ولهذا لن يفكر صاحب علم او معرفة حقة في اللجوء للقلم للكتابة على الماء او غرس بذور الحق والخير والجمال في السائل الاسود الذي يسمى بالحبر .. وربما يسلي نفسه بتضييع الوقت في الكتابة والتدوين ليغرس « حدائق الادب » .. ويحمي نفسه ومن يجيء بعده من عوادي الزمن حين يهاجم النسيان الشيخوخة ويتلف ملكة الحفظ والتذكر . فاذا سال القاريء : ولماذا كتب أفلاطون كل ماكتب من محاورات مادام هذا هو رايه في الكتابة ؟ هل نوجه اليه اللوم نفسه الذي وجهه الى « ليزياس » في هذه المحاورة لانه كان يدون أحاديثه وخطبه ، كما وجهه الى كل كاتب في الماضي او المستقبل فكر أو سيفكر ان الحقيقة يمكن أن توجد في شيء مكتوب ـ لو سال القاريء هذا السؤال لكان الجواب عليه هو نفس الجواب الذي قدمه منذ قليل . لقد كانت الكتابة في رايه مجرد « تسلية » و « لعب » ، كما كانت عونا

للذاكرة الاحياء في عصره او بعد موته على تذكر الحقيقة ... اما الحقيقة نفسها فلابد انها كانت « شرارة حية » تنقدح وتنبض في حواره الحى السمح مع تلاميذه وزواره في « الاكاديمية » او في حوار معلمه سقراط مع تلاميذه سواء في حياته وهو يجوب شوارع اثينا « حافى القدمين» او وهو يتحدث بعد موته في محاورات أفلاطون .. ولا يصح ان ننسى ابدا انها « محاورات » وليست بحوثا ولا رسائل عن الحقيقة ، وانه كان صادقا عندما قال في هذه الرسالة انه لم يفكر ابدا ولا ينبغى كذلك لاى انسان جاد ان يفكر في تدوين الحقيقة او اضفاء ثياب الكلمات الجامدة عليها .. والدليل على هذا انه لم يستطع ان يتكلم مثلا عن الخير الاسمى الا عن طريق تشبيهه بالشمس ، وانه يردد كثيرا في الجمهورية « ٥٠٦ وما بعدها » وغيرها ان الفهم الكامل لمثال الخير لا يمكن توصيله للغير ، لانه اقرب الى الرؤية او التجربة الصوفية التى لا يمكن نقلها للاخرين .. والدليل على ذلك أخيرا ان ارسطو عند حديثه عن آراء استاذه التى لم تكتب «الطبيعة ٢٥٩ ب ، ١٥ » يذكر أن نظرية المثل اكتسبت صورة رياضية شديدة التعقيد ، وانها تطورت في احاديثه مع تلاميذه في الاكاديمية « وبخاصة مع ارسطو نفسه ! » تطورا تجاوز كل مانعرفه عنها من المحاورات ..

« ٣٤٤ ب » عن المواهب الطبيعية التى يجب أن يتحلى بها الفيلسوف راجع كذلك الجمهورية « ٤٨٤ ومابعدها » وكذلك ٤٨٦ د » .

« ٣٤٥ أ » هذا مايعلمه الله كما يقول اهل « ثيبة » . ويرد نفس التعبير في محاورة « فايدون » « ١٦٢ أ » على

لسان كييس احد سكان ثيبة ايضا . ويبدو ان افلاطون قد تعلم هذا المثل بلهجته الشعبية من بعض تلاميذه الذين ينحدر اصلهم من تلك المدينة .

« ٣٤٦ ب » توحى هذه الفقرة ـ لاول مرة فى الرسالة ـ بان افلاطون حضر الى سيراقوزة فى صحبة بعض اقربائه الذين يشير اليهم ديونيزيوس فى حديثه معه . ولعل اول من يخطر منهم على البال هو ابن شقيقته « سبوبسيبوس » الذى خلفه فى رئاسة الاكاديمية .

« ٣٤٨ ب » كان هيراكليدس قائدا فى جيش ديونيزيوس وبعد فراره أنضم الى ديون الذى كان مقيما فى بلاد اليونان ، ورجع الى صقلية على راس قوة عسكرية بعد استيلاء ديون على سيراقوزه . ويروى انه اشترك بعد ذلك فى المؤامرات التى دبرت لديون وانتهت نهاية فاجعة باغتيالهما « راجع فى ذلك الفصل الخاص عن ديون فى تاريخ بلوتارك » اما ثيودوتيس فكان عم هيراكليدس .

تم بحمد الله وتوفيقه



فهـرس

المنقذ غادر بيته ٧

إنقاذ العالم ٢٢

المنقذ يهجر كهفه ٤٣

إنقاذ الدولة ٦٥

خاتمة الرحلة وبدايتها ٨٣

الرسالة السابعة لأفلاطون ١٠١

(١) من أفلاطون إلى أقارب ديون واصدقائه ١٢٤
(٢) زيارة أفلاطون الأولى لصقلية ١٢٩
(٣) نصيحة لحلفاء ديون ١٣٧
(٤) زيارة افلاطون الثانية لديونيزيوس الثانى ١٥٢
(٥) عجز الكلمات عن التعبير عن الواقع ١٦١
(٦) أخر أخبار افلاطون ١٦٩
تعليقات ١٨٢

رقم الايداع : ٤٨٢٦ / ٨٧.

الترقيم الدولى : ٩ ـ ٣١٠ ـ ١١٨ ـ ٩٧٧ ISBN

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

الكويت : السيد / عبد العال بسيوني زغلول ـ
الصفاة ـ ص. ب رقم ٢١٨٣٣ تليفون ٧٤١١٦٤

اسعار البيع للعدد العادي فئة ٧٥ قرشا :

سوريا ١٨٠٠ ق.س ـ لبنان ١٠٠ ليرة ـ الاردن ١٥٠٠ فلس ـ الكويت ٤٠٠ فلس ـ العراق ١٦٠٠ فلس ـ السعودية ٧ ريالات ـ السودان ٢٥٠ ق.سوداني ـ البحرين ١٢٠٠ فلس ـ الدوحة ٨ ريالات ـ دبي ٨ دراهم ـ ابوظبي ٨ دراهم ـ مسقط ٨٠٠ بيسه ـ تونس ١٦٠٠ مليم ـ المغرب ١٥٠٠ فرنك ـ غزة والضفة ٧٥ سنتا ـ اليمن الشمالية ١٣ ريالا ـ عدن ١٤٤ سنتا ـ الصومال ١٣٠ بني ـ لاجوس ١٢٠ بني ـ داكار ١٠٠٠ فرنك ـ لندن ١٥٠ سنتا ـ اثينا ٢٠٠ دراخمه ـ كندا ٥٠٠ سنت ـ البرازيل ٦٠٠ سنت ـ استراليا ٦٠٠ سنت ـ ايطاليا ٣٠٠٠ ليرة

منذ القدم والانسان يحلم فى مختلف العصور والحضارات بالانقاذ من الفساد والبؤس ، ويتصور المنقذ القادم "الذى سيملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلما وجورا" فى صورة المخلص او الامام المعصوم أو المهدى المنتظر او المستبد العادل .. الخ ، وقد كان أفلاطون (من ٤٢٧ إلى ٣٤٧ قبل الميلاد) من اوائل الذين فكروا وكافحوا فى سبيل الانقاذ ، وحلموا وعملوا لايجاد المجتمع العادل الذى يحيا فيه الفرد العادل . وقد اتخذ المنقذ عنده صورة الملك الفيلسوف أو الحاكم الحكيم الذى يجمع بين المعرفة والقدرة ، ويوحد بين السلطة والرؤية ، وقال عبارته المشهورة التى يذكرها كل مثقف : "لن تتخلص البشرية من البؤس حتى يصل الفلاسفة الحقيقيون الأصلاء إلى السلطة ، أو يصبح حكام المدن - بفضل معجزة إلهية - فلاسفة أصلاء .

وهذا الكتاب يقدم لك رؤية شاعرية لفلسفة أفلاطون "المثالية الواقعية" التى حركها هذا الحلم الأكبر ، وأفعم قلب صاحبها بالحماس
والاصرار على النضال فى سبيل تحقيقه ... لك على
رسالته السابعة التى كتبها فى أواخر حد ... تفاصيل
رحلاته الثلاث إلى سيراقوزة فى جزيرة ... المريرة
التى قاساها هناك وكادت أن تودى بحياته ... أمل إلى
مدينته أثينا وعكوفه على تعليم الشباب ... د الطيب
يساعد على أن يظهر من بينهم "المنقذ" ا ... ا ويرعى
العدل والحكمة والحقيقة فيها وفى سائر ... شك أن
القارىء سيرحب بقراءة النص الكامل له ... والحياة
ساعات مع حلم أفلاطون وكفاحه من أجل ... فلنا نحن
الهد . فى هذه الفترة العصيبة من تاريخ ... مضى